خطاب الدكتور حسني سبح

رئيس مجمع اللغة العربية

سيادة ممثل رئيس الجمهورية وزير التعليم العالي ، الزملاء الأماثل ، سيداتي سادتي

يحتم عليّ الواجب قبل كل شيء أن أتقدم بوافر الشكر لرئاسة مجلس الوزراء ووزارة التعليم العالي باسم مجمع اللغة العربية لما كان من جميل استجابتها لرغبة المجمع في إحياء هذه الذكرى وإقامة هذا الاحتفال. ومثل هـذا الشكر لمختلف الهيئات الرسمية وغير الرسمية التي أعانتنا على إنجاحه .

والشكر كذلك للزملاء والاخوة الذين لبّوا دعوة المجمع ، وأخصّ أولئك الذين تجشموا عناء السفر من أطراف الوطن العربي ، فأهلاً وسهلاً بهم وبكم جميعاً مع أطيب التمنيات في الحلّ والترحال .

وبعد فإنّ افتراص الفرص لإحياء ذكرى مولد رجل عظيم أو وفاته لسنة حسنة درجت عليها كلّ أمة لها من تاريخها ما تعتز به ، ولها من سيرة عظمائها ما ترتبط به . وفي ذلك كله معنى الوفاء ومعنى التقدير وفيه معنى الموعظة والحافز لشحذ الهمم واقتفاء الأثر .

والمجلس الأعلى للعلوم الذي تعوّد أن يقيم سوق العلم هذه في كل

(*) أقيم في القاعة الشامية بمبنى المتحف الوطني يوم ١٣ تشرين الثاني ١٩٧٦

عام ويجمع العلماء والباحثين من عرب وأصدقاء ليبسطوا ما توصلوا إليه من بحث ودراسة في شتى آفاق العلم والمعرفة — يضيف إلى عمله مأثرة جديدة لا تقل عن مآثره الأخرى هي احتفاؤه بإحياء ذكرى أحد علماء الأمة على مثل ما فعل قبلُ في إحياء ذكرى ابن الهيثم وابن النفيس وابن زهر وغيرهم ممن كان لهم أكبر الفضل في بناء صرح الحضارة العربية الإسلامية .

ومجمع اللغة العربية بدمشق وقد حتّم عليه الواجب أن لا يغفل عن إحياء ذكرى مرور مئة عام على مولد مؤسسه المرحوم الأستاذ الرئيس محمد كرد علي طيّب الله ثراه وأسكنه فسيح جنانه ، قد التقى والمجلس الأعلى للعلوم في هذه المرة على الاحتفال بأحد الخالدين هو الأستاذ محمد كردعلي من الذين أبلوا بلاء حسناً بل وتفانوا في خدمة الأمة في مختلف آفاق العمل الجدي والنافع ، فكان من بناة النهضة القومية التي ننعم بها .

لقد كتب كثيرون من الكتاب والمفكرين مقالات وبحوثاً كثيرة في سيرة هذا الرجل العظيم ونشروا عديداً من الكتب وهم متفقون جميعاً على أنه :

هو الكاتب المبدع الذي يكاد ينفرد بأسلوبه الخاص .

وهو المؤرخ البارع مؤلف خطط الشام الموسوعة التاريخية الغنية عن التعريف.

وهو الصحفي القدير والعفيف اليد الذي أسس أول صحيفة يومية معروفة هي المقتبس ونشر المئات من المقالات في صحف القاهرة عندما التجأ إليها .

وهو المؤلف الفذّ الذي نشر كثيراً من الكتب

وهو مؤسس مجلة المقتبس التي أصدرها في القاهرة ثم انتقل بها إلى دمشق .

وهو الذي أنشأ وغذّى مجلة المجمع ، فلا يكاد جزء من أجزائها يخلو من مقال له أو نقد أو تعريف .

وهو من أبرز دعاة الإصلاح ، لاقى في سبيله ما لاقاه من هجرة وتشريد واضطهاد وتقديم للمحاكمة في العهد العثماني .

وهو المحقق الثبت — إذ حقق الكثير من كتب السلف ورسائل التراث .

هذا إلى فضائل أخرى يندر أن تجتمع في شخص واحد .

إن هذه السجايا التي كانت للأستاذ الرئيس ليست كل ما صنعه في حياته من صنيع سيبقى أبد الدهر ، إن له مزايا أخرى أستميح لنفسي أن أدعوها بالمزايا غير المدونة إذ قلّ من ذكرها له ، مع ما لها من الشأن الكبير .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

لقد شب المرحوم كرد علي في الربع الأخير من القرن السابق وهو القرن الذي عرف بالانحطاط والظلم والاستبداد ، وقيض الله لهذا الشاب الموهوب من يهديه سواء السبيل في جميع نواحي الحياة ، ذلكم هو الشيخ طاهر الجزائري الذي قال عنه الأستاذ الرئيس إنه صدر الحكماء ، وإنه من أشرب قلبي حب العرب وهداني إلى البحث في كتبهم . فسار كرد علي على هدي أستاذه واقتفى أثره فأكثر من المطالعة في كتب السلف وقرنها بمطالعته بعض المجلات التركية والفرنسية التي كانت تصل إلى يده فدب الوعي فيه وأخذ على نفسه إنقاذ وطنه مما آل إليه من فساد . وتربى على يدي ذاك الأستاذ الجليل حفنة من المستنيرين والمثقفين الذين كانوا يتحلقون حوله وينترفون من معين علمه ، وانتهى الأمر بتلك الفتية اليقظة إلى تشكيل جمعية النهضة العربية — وكانت سرية في عهد السلطان عبد الحميد —

ثم أشهروها علنية بعد إعلان الدستور العثماني -- وكان من أبرز أعضائها الشاب محمد كرد علي وكان لها أنشطة مختلفة ترمي إلى رفع مستوى الشعب وبث الروح القومية فيه بعد أن قضى عليها الحكم التركي بقسوته وجوره .

وكان من أعمالها تأسيس مدارس ليلية لتعليم الأميين وفتح دور للقراءة والتزود بالعلوم العصرية التي كانت بحكم العدم .

ولقد أغنى الشاب كرد علي الذي كان في عداد هذه الفئة النابهة عمل هذه الجمعية بعد أن زار بلاد الغرب ولاحظ أن مافيها من تقدم وازدهار هو نقيض ما هي عليه الحالة في الوطن .

وتجسّد عمله بإيفاد أول بعثة علمية إلى خارج القطر ، وأعانه على ذلك صلته ببعض أثرياء هذا البلد الطيب الذين كانوا أصدقاءه وكانوا يثقون به بحكم ما ناله من شعبية منقطعة النظير فيما يكتبه في المقتبس ، الصحيفة اليومية المحببة إلى الجميع ، إلا الفئات التي تخاصمه لأنها كانت تشايع الحكم الفاسد القائم .

ARCHIVE

لقد توفق الشاب كرد علي بإرسال أول بعثة شعبية إلى بلاد الغرب كان من بينها الأمير مصطفى الشهابي والسيد الأستاذ عز الدين علم الدين التنوخي اللذين أصبحا بعدُ من رواد نهضة هـــذا القطر فضلاً عن عملها المجمعي المعروف .

ولا شك أيها السادة بأن هذه البعثة العلمية التي كان للأستاذ كرد علي اليد الطولى في فكرتها واختيارها وتنفيذها وتأمين أموالها وتوجيه أفرادها هي الأولى من نوعها في تاريخ هذا القطر .

وأعاد الأستاذ الرئيس الكرّة بعيد تسنّمه منصب وزارة المعارف في مطالع عهد الانتداب الفرنسي إذ قاد بعثة علمية حكومية في هذه المرة ،

قادها وصاحبها إلى فرنسا وهي تضم نخبة ممتازة من الشبان منهم الأستاذان المرحومان جميل صليبا الذي درّس الفلسفة فكان من أعلامها والأستاذ الأمير جعفر الحسني الذي درّس الآثار واهتم بصيانتها والتنقيب عنها .

ولا غرو فقد أسس المرحوم كرد علي في المجمع داراً للآثار كانت نواة دار الآثار العامرة الحالية . وإن من أتيح له زيارة المجمع في ذاك الحين كان يرى في باحة المجمع عشرات التماثيل الحجرية كما كان يرى في غرفه الخزائن المغلقة التي تحوي الكثير من الآثار الصغيرة مما عني الأستاذ الرئيس بجمعه بشتى الوسائل . وظل هذا المتحف جزءاً من المجمع العلمي العربي عدة سنين وأشرف عليه الأمير جعفر الحسني بعد عودته من الدراسة وبعد انفصاله عن المجمع ، ولم يكن هدف الأستاذ الرئيس إلا صون هذه الآثار وحفظها من الضياع والسرقة لكي لا تتسرب إلى خارج البلاد شأن ما كانت عليه الحال فيما مضى .

وعني الأستاذ الرئيس أشد العناية في اقتناء الكتب النفيسة من مطبوعة ومخطوطة ، منها ما خص بها المكتبة الظاهرية ومنها ما جعله خاصاً بمكتبة المجمع ، منها ما كان شراء ومنها ما كان استهداء من كبار أصدقائه الأعلام من القطر المصري خاصة .

ولم يفت الأستاذ الرئيس تشجيع من يتوسم فيه الخير والجدّ والعمل وما مطبوعات التراث في المجمع إلا بتشويقه وتشجيعه ، كما حفل في شأن الشعراء النابهين فأقام لهم في المجمع حفلاً تكريمياً كان من أثر ذلك أن أضحوا في عداد الأدباء والشعراء المرموقين في هذا البلد ، من أمثال المرحومين أنور العطار وزكي المحاسني وعبد الكريم كرمي والدكتور جميل سلطان أمده الله في حياته وقد رأى من الوفاء إعداد قصيدة بمناسبة هذا الاحتفال وقد تضمنها البرنامج .

هـذا ولن ينسى للأستاذ الرئيس أبداً ما بذله من جهد عندما تسنم رئاسة مجلس المعارف غداة انتهاء الحرب العالمية الأولى قبل تأسيس مجمع اللغة العربية وبعده حين عمل مع من اختارهم فأحسن الاختيار من علماء أعلام أسهموا في إيجاد مسميات عربية حضارية للاستعاضة بها عما شاع وذاع على الألسن من ألفاظ أعجمية تركية في كثرتها أو عربية مشوهة ، وإن هـذه الألفاظ المستحدثة سرعان ما تسربت إلى الأقطار الأخرى وهي تعد بالمئات .

رحم الله الأستاذ الرئيس محمد كرد علي وأحسن اليه بقدر ما أحسن إلى لغة القرآن وما ذاد بقلمه عن حوض الإسلام ورد تخرص المتخرصين عليه وافتراءات المفترين .

وإنه ليحزن النفس حقاً ألا يكافأ هذا العبقري في حياته لأن المعاصرة أبت إلا أن تكون حرماناً وأن لا يفتأ جهال الناس يحسدون علماءهم وشرارهم يحسدون خيارهم .

بيد أن المجمع العربي بالأمس ، مجمع اللغة العربية اليوم ، عمل ما استطاع على الوفاء لمؤسسه ورئيسه ما يقرب من ربع قرن فسعى واستجيب لمسعاه من قبل أولي الأمر في تسمية أحد الشوارع باسمه وإطلاق اسمه على مدرسة ثانوية واعتبار هذا الأديب الكبير في عداد الأعلام الذين يدرسون لطلاب الشهادة الثانوية وإصدار طابع باسمه ثم إقامة هـذا الحفل الذي أجدد الشكر في الختام لكل من أسهم في إنجاحه وتلبيتكم هذه الدعوة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاحتفال بالذكرى المئوية لمولد محمد كرد علي (*)

خطاب الدكتور محمّد علي هاشم

وزير التعليم العالي

رئيس المجلس الأعلى للعلوم

أيها السادة المجمعيون .

أيها السادة العلماء .

إنه لمن دواعي السرور أن نلتقي بكم في دمشق الخالدة ونحن نخوض معركة المصير لإرساء القواعد الثابتة لمجتمعنا ولتحرير اجزاء عزيزة على كلٍّ منا من وطننا العربي الكبير . وإن دل هذا الاحتفال على شيء فإنه يدل على أننا في قطرنا بدأنا نحيي ذكرى أولئك الرواد الذين أسهموا ببناء هذا الوطن فحق علينا وضعهم بالمكان اللائق والاعتراف بالفضل للسابق والالتزام بخط السير الذي رسموه والنهج الذي وضعوه . وإن التقاء اسبوع العلم والاحتفال بذكرى مؤسس مجمع اللغة العربية في بلدنا يعني في نفوسنا معنى جليلاً يلح علينا ويستبد بنا ، فقد كان محمد كرد علي أحد أعلام نهضتنا البارزين ، علّمنا كيف نفيد من تراثنا لنفاخر بما حواه من ذخائر ، وعلمنا الحرص على سلامة لغتنا وصفائها . إنه جهد في أن تكون اللغة خالصة للفكر قادرة على التعبير عنه .

لقد تعود الذين يترجمون لكرد علي أن يتحدثوا عن المجلات التي أصدرها ، والكتب التي حققها أو ألفها . وفي اعتقادنا أن العمل الأكبر

(*) أقيم في القاعة الشامية بمبنى المتحف الوطني يوم ١٥ تشرين الثاني ١٩٧٦ .

والانجاز الأفضل الذي صنعه كرد علي إنما هو مجمع اللغة العربية. إنه حين دعا اليه، ونهض به، وجمع العلماء فيه، وأرسى تقاليده، وربط ما بينه وبين العلماء في الأقطار العربية المختلفة وما بينه وبين المستشرقين في الدول الأجنبية كان ينظر إلى بعيد، كان ينظر إلى عمل أجل تتضافر فيه جهود العرب، كل العرب، على خدمة العربية وعلومها. فبفضل كرد علي شهدت أرض العرب وفي دمشق مولد أول مجمع عربي سنة ١٩٢٠، ثم جاءت القاهرة بعدها تنشىء مجمعاً مماثلاً سنة ١٩٣٤، وتلتها بغداد في ذلك سنة ١٩٤٧ وأخيراً ها هي عمان تحذو حذو إخوتها فتنشىء فيها مجمعاً هذا العام.

لقد كان مجمع دمشق ملتقى الكفايات العلمية الجادة ممثلة في أعضائه العاملين، وفي أعضائه المراسلين، وفي أولئك الذين يناصرونه ويدركون الأبعاد التي يتحرك فيها، والغايات التي يتطلع اليها. من أجل ذلك جاءت الحركة التصحيحية التي قادها الرئيس حافظ الأسد لتبقي هذه الروح وثابة دفاقة ولتبعث بها القوة والدفع من أجل تحقيق الأهداف إيماناً منها بأن مهام المجمع مهام خطيرة الشأن بعيدة الأثر، مهام الدفاع عن كيان الأمة والحفاظ على وجودها، وهي مهام لا تقل عن المهام المنوطة بمن يدافع عن الوطن بروحه ويدفع عنه بسلاحه، وكما يحمي الجندي حدود بلاده يحمي المجمع حدودها الفكرية والنفسية.

أيها السـادة:

مهما اختلفت النظريات التي تعالج مفاهيم قوميتنا فمن المؤكد أن اللغة العربية تبقى روحها ولسانها وعقلها، وتبقى المشعل الدائم الذي يبدأ من أعماق الماضي ويستمر إلى أبعد آماد المستقبل، فاللغة العربية ليست واحدة من هذه اللغات المستحدثة، والعرب ليسوا هذه الأمة الجديدة ولا هذا التاريخ القريب. فوجودنا يمتد في ضمير الزمن إلى البعيد البعيد في الماضي

وبقاؤنا سيستمر إلى البعيد البعيد في المستقبل، وتظل لغتنا عنوان هذا الوجود وهي فكر العرب وحضارتهم؛ إن في أحرفها وأصواتها، ومفرداتها وتراكيبها، وصورها ومجازاتها، منبع عواطفنا وأفكارنا وتطلعاتنا.

لقد علمنا كرد علي أن ساحات العمل اللغوي هي نوع من الجهاد لا يقل بحال عن ساحات النضال الاخرى بل يفوقه ويتقدم عليه، لذلك عندما كادت إحدى مؤسساتنا التعليمية أن تنحرف عن نهج التعليم بالعربية جاءت الحركة التصحيحية لتضعها في الطريق الصحيح وأجبرتها على الالتحاق بالمؤسسات الأخرى. وإننا لنفاخر بأن قطرنا جعل تدريس كل ضروب المعرفة وأنواع العلوم جميعاً باللغة العربية، وإن هذه الظاهرة ما كان لها أن تكون لولا التعاون بين الجامعيين والمجمعيين فاذا جئنا نحتفل بذكرى محمد كرد علي فان هذا الاحتفال يضعنا أمام مسيرتنا العلمية.

لقد كانت سيرة كرد علي سيرة رائعة وكان ميزها في جميع مراحلها الالتزام بقضايا الوطن وقد استطاع هذا الرجل العظيم أن يفي بحقوق هذا الالتزام في حياته السياسية وحياته الثقافية وحياته الفكرية.

إننا نتمنى أن تكون هذه السيرة مثلاً رائداً في أذهان أبنائنا وعقول شبابنا، وعليهم أن يعرفوا أن الانصراف إلى العلم وتغليبه على كل ماعداه هو السبيل إلى تكوين العلماء، وأن حق الوطن على علمائه كبير وحق العلماء على أوطانهم كبير، وعلينا أن نعمل جميعاً على النهوض بأداء هذه الحقوق.

أيها الأخـــوة :

في الختام اسمحوا لي أن أتوجه بالشكر لجميع الذين وفدوا إلى قطرنا لمشاركتنا في هذا الحفل وأعاهدكم على أننا في هذا القطر من الوطن العربي سنعمل لنكون أكثر وفاء لحركة القومية العربية المعاصرة في أعلى جانب من جوانبها. وشكراً لكم جميعاً والسلام عليكم.

ARCHIVE http://archivebeta.Sakhrit.com

خطاب الدكتور محيي الدّين صابر

المدير العام للمنظمة العربية
للتربية والثقافة والعلوم

سيادة الأستاذ الدكتور وزير التعليم العالي

الأستاذ الدكتور رئيس مجمع اللغة العربية

الحفل الكريم

إنه لواجب أن أتجه بالشكر عميماً إلى مجمع اللغة العربية الموقر في دمشق على دعوته الكريمة التي شاء، فضلاً منه وكرماً، أن يوجهها إلي فأظفر بشرف المشاركة في هذه المناسبة القومية الغالية، مناسبة الاحتفال بالذكرى المئة لمولد رائد جليل من رواد اليقظة العربية، الرئيس الأستاذ محمد كرد علي، مؤسس المجمع، وقائده، والذي كانت حياته العريضة والخصبة، ملحمة فكرية ونضالية رائعة: موقفاً أصيلاً من الحياة العربية وقضاياها، ورؤية بصيرة لأبعادها، ومعاناة واعية لمشكلاتها، وإرادة صلبة، وهمة شامخة، وسعياً موصولاً، وجهداً براً، وعطاء ثراً.

وإني إذ أحيي، باسم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ذكرى هذا العالم والمفكر العربي العظيم، فإني أحيي في الوقت نفسه جيلاً من روادنا الشرفاء رفعوا المشاعل ثائرين في وجه الظلام الفكري وحملوا الامانة قادرين أمام الظلم الاجتماعي، وتأبوا مناضلين على القهر السياسي والحكم

الأجنبي ، وأحيي سورية العربية الثائرة الولود التي نبت على أرضها الحرة عشرات من هؤلاء الأبرار الذين قادوا طليعة النهضة الحديثة .

وأحيي كذلك معنى باقياً في طبيعة الفكر العربي الخلاق ، هو عبقريته الدائمة في الأداء والاستيعاب للمعاني المجردة وللظاهرات المادية ، وقدرته الغلابة على المقاومة ، وعلى الاستمرار .

ولعل في احتفالنا اليوم دليلاً أي دليل ، على أن اللغة العربية التي حملت إلى البشرية رسالة السماء الخالدة الدينَ القيم ، الإسلام ، ارتبطت بفكرة التقدم والعدالة والحرية . فقد كانت نهضة هذه الأمة العظيمة في كل حلقات تاريخها المتصل رهناً بنهضة فكرها ، وإن قادتها في مختلف العصور بدأوا من هذا المنطلق التاريخي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وحياة الرئيس محمد كرد علي ، طيب الله ثراه ، تجسيد لهذا كله فقد قاتل تحت لواء العربية في كل قطر عربي ، في وعي رشيد بقدرة الفكر على تغيير الواقع . ولقد فطن في وقت مبكر إلى خطورة الإعلام وأهميته ، فاتخذ من الصحافة ميداناً لنضاله السياسي والعلمي ليصل بذلك بين الحياة العامة وهموم الجماهير العريضة من ناحية ، وبين الأمجاد الشامخة في قيمنا الأصيلة ، وبين متطلبات المعاصرة من ناحية أخرى تأثيلاً للأصالة ، وطلباً للإبداع . فلقد استطاع رحمه الله أن يجمع في مرونة قادرة بين ألوان من النشاط والمواقف وأن يؤلف بينها ، فهو يعكف على التراث تحصيلاً لأمهاته ، واستيعاباً لشوارده ، وفهماً لأسراره ، وهو يعطف على الثقافة الأوربية يجيدها وبتعمقها ، وينتفع بمضامينها ومناهجها ، ثم يعزز ذلك بالمعايشة الحية الواعية والمحصة فيطوف في أوروبا ، حيث تزدهر الحضارة

المعاصرة ، ويدرس طبيعتها وظواهرها ومؤسساتها لتخلص له من كل ذلك رؤية صالحة للحياة العربية ، يظل يدعو لها في اصرار ويعمل في شجاعة وإيمان وقدرة ، ويتحمل في سبيلها التضحية بعد التضحية ويخوض المشكلة بعد المشكلة ، في تجرد وانكار ذات ، حتى تحقق في حياته بعضُ ما كان يحلم به . ولكنه ظل حيث هو عاملاً يعلّم ويتعلم مدى الحياة ، مثلاً من أمثلة الشموخ والالتزام ، فلم يعش في عالم الكتب بعيداً عن حياة أمته ، ولكنه وصل بينهما أخذاً وعطاء في تفاعل حيّ وخلاق .

فلم يتجمد في أمجاد الماضي الذي نشر صوره العظيمة وكشف عن جوانبه المضيئة أحياءً للأمل في الصدور ، وحفزاً للهمم في الضمائر ، ولم يجر وراء بريق الحضارة المعاصرة ، يخلط خيرها وشرها وغثها وسمينها ، ولكنه وقف منها موقف الناقد المتخير ابقاء على الشخصية العربية في كل خصائصها وجلالها تنتفع من كل جديد تضيفه إلى ما لديها من القيم الخالدة ، والفضائل الباقية .

لقد كان الرئيس محمد كرد علي أحد معالم المجتمع العربي والإسلامي الحديث ، وأحد صناعه الكبار ، وإن آثاره العلمية والأدبية ستظل شاهدة على عبقريته شامخة في تاريخ الفكر العربي ، ما كان ، فيما يقبل من الزمان ، وان قصة حياته ستظل كذلك قدوة صالحة بما تنطوي عليه من صفات شخصية نادرة ، ولما ترمز اليه من معانٍ انسانية نبيلة ، تلهمُ الجيل العربي بعد الجيل قيمَ الإرادة والسعي والعطاء والوفاء .

وإذا كان الموت – وهو غاية كل حي – يطوي الوجود المادي للأحياء ، فإن الوجود المعنوي يتجاوز الموت ويستعصي على الفناء ، فالحياة

تهب أبناءها الذين وهبوا لها حياتهم ، البقاء جزاء وفاقاً ، وإن الرئيس محمد كرد علي واحد من هؤلاء الذين يعيشون في ضمير أمتهم وفي فكرها المئات والآلاف من السنين فسلام عليه في الخالدين .

وإلى رفاق دربه وزملائه من المجمعيين الذين يواصلون المسيرة في خدمة اللغة العربية والفكر العربي كلّ التقدير ، على ما ينجزون ويعطون امتداداً للرسالة ، وأداء للأمانة ، ولهم ولأبناء الأمة العربية والإسلامية ، حيث كانوا ، حسن العزاء في الفقيد الباقي ، أنزله الله عنده منزل صدق .

والسلام عليكم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خطاب الدكتور ابراهيم مدكور

رئيس اتحاد المجامع اللغوية العربية
رئيس مجمع اللغة العربية في القاهرة

كرد علي علم من أعلام النهضة السورية الفكرية والأدبية المعاصرة ، ورائد من كبار روادها . والمجتمعات البشرية بين سير ووقوف ، بين يقظة ونوم ، وما أحوجها في فترات وقوفها إلى من يبعث فيها الحياة والحركة ، وفي أزمان نومها إلى من يوقظها وينشطها . وتجود الأيام في أمثال هذه الظروف بدعاة النهوض والتقدم ، ورسل الإصلاح والتجديد ، وكأنما خلقوا لهذا وأعدوا له .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولا شك في أن كرد علي واحد من هؤلاء الدعاة المصلحين . مليء حياة وحركة ، ومنح شجاعة نادرة ، أقدم بها ، في سن مبكر غير هياب ولا وجل ، على ميادين الإعلام والصحافة ، وما كان أشقها وأقساها في العقدين الأول والثاني من هذا القرن ، ويعد بحق أول رائد في الصحافة السورية . وتزود بزاد وفير من الثقافة القديمة والحديثة ، عربية كانت أو أجنبية ، فغاص في بحورها وأخرج منها النفائس الكريمة . وأعطى أمته وقوميته عطاءً سخياً ، دون نزوع إلى طائفية أو عنصرية .

وبرغم أن أباه كان كردياً وأن أمه كانت شركسية ، فإنه كان

مؤمناً بالعروبة إيماناً جازماً ، يعتد بأمجادها ، ويباهي بآثارها الحضارية والإنسانية . ومن آيات عروبته أنه كان يتعصب للأمويين ويدافع عنهم ، ولعل هذا كان مظهراً من مظاهر وطنيته وتعلقه بالشام ودمشق عاصمة ملكهم ، وكثيراً ما حمل على الشعوبية والشعوبيين . ومع هذا لم يكن جامداً ولا متزمتاً ، بل كان يدعو إلى التجديد في غير ما تطرف ، وإلى الأخذ عن الحضارة الغربية في غير ما عدوان على القيم والمبادىء الإسلامية ، وكان يحرص الحرص كله على الملاءمة بين القديم والحديث .

* * *

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

ومجال القول في كرد علي ذو سعة ، فقد كان صحفياً وسياسياً ، أديباً ولغوياً ، محققاً ومؤرخاً ، ويطول بنا الحديث لو عرضنا لجوانبه الفسيحة والغنية . ويعنينا أن نقف قليلاً عند كرد علي في مجمع القاهرة ، وصلته بمصر قديمة ووثيقة ، قصدها في فجر هذا القرن ، وتتلمذ مع من تتلمذوا لمحمد عبده ، فشهد مجالسه ، واستمع لحديثه ودرسه ، وأشبع في القاهرة هوايته الصحفية ، فكتب وحرر في صحفها ، وبخاصة في صحيفة المؤيد ، وأنشأ مجلة «المقتبس» الشهيرة وتابع اصدارها في دمشق ، حيث تحولتْ بعدُ فيها إلى صحيفة يومية . وقضى في القاهرة بضع سنوات كانت مجال أخذ وعطاء ، وإفادة واستفادة ، وتعليق وتوجيه . وشاءت الصدف أن تثار فيها حين ذاك فكرة إنشاء مجمع لغوي يطور اللغة ويحميها من المولد والدخيل ، وسبق أن أنشىء فيها بالفعل عام ١٨٩٢ ما كان يسمى « مجمع البكري » الذي لم يعمر طويلاً . ولكن الفكرة لم تمت ، وبقيت حية نشيطة في العقد الأول من هذا القرن ، ولعل هذا كان ارهاصاً في العقد الثاني « لمجمع دار الكتب » في القاهرة ، وللمجمع العلمي العربي بدمشق . وقد عاصر

كرد علي هذا كله ، وعاش فيه ، ولم يكن غريباً أن يختار أول رئيس لمجمع دمشق الذي ناضل طويلاً في سبيل دعمه ، وعمل جاهداً في نشر آثاره . وكان على صلة بالملك فؤاد الأول الذي تبنى فكرة انشاء مجمع لغوي رسمي يحقق ما هدفت اليه المجامع الأهلية التي أشرنا اليها ، وفي لقاء بينهما عام ١٩٢٦ شاء الملك أن يفيد من تجربة دمشق السابقة ، فقدم له كرد علي صورة صادقة ، ويمكن أن يعد بهذا ممن مهدوا لمجمع القاهرة .

وقد أريد بهذا المجمع يوم انشائه عام ١٩٣٢ أن يكون مجمع اللغة العربية أولاً ، قبل أن يكون مجمعاً مصرياً فكوّن من عشرين عضواً ، نصفهم من المصريين ، والنصف الآخر قسمة عادلة بين العرب والمستعربين ، وبدا هيئة عالمية لا اقليمية ، ومؤسسة أممية لا وطنية . وكان بين العرب التونسي ، واللبناني ، والعراقي ، واثنان من الشيوخ السوريين ، هما المرحومان محمد كرد علي ، وعبد القادر المغربي . فكرد علي من المؤسسين الأوائل لمجمع القاهرة ، ومرحلة التأسيس من المراحل الدقيقة في حياة أي مشروع أو عمل : فيها توضع اللبنات الأولى ، وترسم الخطة ، ويحدد المنهج . وتنبه مجمعيو القاهرة لهـذا كله ، فقضوا دوراتهم الأولى كلها تقريباً في وضع اللائحة الداخلية لمجمعهم ، بينوا فيها أهدافه ، وشرحوا نظم عمله ، وفرقوا في وضوح بين المجلس واللجان ، ورأوا أن الدراسة الحقة إنما تتم في قلب اللجان وعلى أيدي هيئة محدودة من الخبراء والمتخصصين ، وعلى هذا نسير حتى اليوم . فجمعوا في اختصار بين تجارب المشرق والمغرب ، وأفادوا من خبرة العرب والمستعربين . ولم يكن كرد علي بعيداً عن هؤلاء وهؤلاء ، فأتاحت له رحلاته المتلاحقة أن

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

يتصل بعدد غير قليل من المستشرقين المعاصرين ، واختير بعضهم ، بوحي منه في الغالب ، عضواً مراسلاً بمجمع دمشق ، وأضحى علماً من أعلام الفكر والقلم في العالم العربي في الثلث الأول من هذا القرن .

قضى كرد علي في مجمع القاهرة نحو عشرين سنة ، زاملته في سبع منها ، وكان حريصاً الحرص كله على أن يشترك في أدوار انعقاده المتعاقبة ولم يتخلف عنها إلا لضرورة قاهرة . وكانت أطول ما تحظى به اليوم ، فكنا نقضي في مؤتمرنا السنوي وفي صحبة زملائنا العرب والمستعربين شهراً ونصفا على الأقل ، وقد نزيدها احياناً أسبوعاً أو أسبوعين . ولم يقنع كرد علي بالاشتراك في المؤتمر ، بل انضم الى عدد غير قليل من لجان المجمع ، فكان عضواً في لجنة الأصول ، ولجنة الآداب والفنون الجميلة ، ولجنة العلوم الاجتماعية والفلسفية ، ولجنة الإحياء والطب ، ولجنة الأعلام الجغرافية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولكرد علي إسهام واضح في مؤتمر المجمع ولجانه ، فألقى في المؤتمر بعض الكلمات ، وعرض بعض المقترحات ، ونشر في مجلة المجمع طائفة من البحوث . واستمعوا إليه في افتتاح دور الانعقاد الثالث يقول : « بتوفيق الله أتم هذا المجمع دور الرضاعة حولين كاملين ، واليوم يدخل دور الحضانة . يتعهده أولياؤه بالغ العناية ، ويربونه على نحـــو ما يربى الطفل في خير البيئات ، لأن حياته مما يهـــم خمسة وستين مليوناً من العرب ... إن من عهدت إليهم الولاية على هذا الطفل يشعرون أنهم في حاجة إلى العون من كل قادر على تغذيته بما يربي غرائزه ، ويفسح في ملكاته كلما تقدمت به السنون ، تلك دعوة كريمة من مجمعي قديم ، يوم

أن كان مجمع القاهرة في المهد ، ولا نزال نوجهها اليوم بعد أن جاوز هذا المجمع سن الأربعين .

أما مقترحاته وبحوثه فمتعددة ومتنوعة ، فهو الذي وجه النظر إلى ضرورة الإجابة عن سؤال السائلين واستفتاء المستفتين ، ودعا إلى نشر مقررات المجمع بين جماهير المثقفين ، ومتابعة ما يمكن أن يوجه اليها من نقد أو ملاحظة . وتلك ولا شك ثمرة من ثمار تجاربه طوال خمس عشرة سنة في مجمع دمشق قبل أن ينضم الى مجمع القاهرة . وله بحوث أكاديمية مثل «عجائب اللهجات» ، وأخرى عملية تطبيقية كاحياء بعض الألفاظ المهملة ، واقتراح ألفاظ جديدة تسد حاجات العلم والحضارة . وهو في هذا أميل بوجه عام الى إحياء اللفظ القديم السهل ، وفي اللغة كنوز لم يكشف عنها بعد . وكثيراً ما ندد باستعمالات حديثة سرت الى العربية عن طريق بعض اللغات الاجنبية شرقية كانت أو غربية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ونقف قليلاً عند بحث ألقاه في افتتاح مؤتمر الدورة الثانية عشرة ، بعنوان : «من عمل المجمعيين» ، وفيه مجموعة ضخمة في نحو خمسمائة كلمة فصيحة يقترحها نظائر لكلمات حضارية في اللغة الفرنسية ، ولم يخل من ملح وطرائف ، وفيه يقول في صراحة أخاذة : «المجالس في العادة تتناقش في المعاني ، ونحن معاشر المجمعيين أو اللغويين قضت علينا صناعتنا أن نقصر مناقشاتنا في الألفاظ ، والسعيد منا من يأتي بكلمات تستسيغها الأذواق جميعاً ، وتدخل في الكتب المدرسية من أيسر السبل ... ومع ما يلاقي المجمعيون من العناء في تحقيق غرضهم الشريف يعترض عليهم من يعرف ومن لا يعرف ، ويزرأ بعملهم كل من يبدو له أن يتسلى ... وغفر

الله لي بقدر ما دافعت عن المجمع في مصر والشام لتبرئته من التهمة التي ألصقوها به ظلما ، ونسبوا إليه وضع لفظ « الشاطر والمشطور والكامخ بينهما » لكلمة « سندوتش » ... وغير نكير أن بعض اللغويين قد لا يراعون المقام في استعمال ألفاظ استظهروها ، يفرضونها على الناس فرضاً لا يراعون اعتبارات العصر ... واذكر أن أحد علماء اللغة في لبنان (رحمه الله) أصدر في القرن الماضي جريدة زراعية اسبوعية حشاها بكل ما في معاجم اللغة من عويص الألفاظ . وكنت يومئذ آخذ الأدب عن أحد المشايخ وكان إماماً في اللغة ، وما ان عرضت عليه الجريدة حتى ردها ، وقال إنها لا تفهم بدون شرح ، وحاولت فملأ شرحها على طريقة الكتب الصفراء ، وفي شرحي لهـا اختلط رأسها بذنبها ، وامتزجت حواشيها الأربع بعضها ببعض . واذكر أيضاً أن أحد المشتغلين باللغة نقل عن الافرنجية كتاباً من كتب الأطفال أتى فيه بألفاظ الزمخشري والفيروزابادي . والغالب أن معظم اللغويين يحاولون لأول أمرهم أن يسيروا على طريقة الشنقيطي أجزل الله ثوابه في رصف شعره بما وعى من المفردات » .

وواضح أن كرد علي يعبر في كل هـذا عن عصر مضى ، وأصبحنا نؤمن جميعاً بأن اللغة للحياة ، وحياتها في أن تلائم أذواق الناطقين بها ، فتخف على مسامعهم ، وترق على ألسنتهم ، وتصدر عنهم ولا تفرض عليهم . وبهذا تستعيد العربية مجدها ، وتجد مكانتها بين اللغات العالمية الكبرى .

* * *

أيها السـادة :

لقد قصرت حديثي في هذه الذكرى الكريمة ، كما رأيتم - على

جانب واحد من جوانب كرد علي ، وما أكثرها ، ولا أزعم أني وفيت هذا الجانب حقه . وكل ما قصدت هو أن أشير الى صلة وثيقة وقديمة بين مجمع دمشق ومجمع القاهرة ، عرف لها وزنها منذ البداية ، ولا نزال نعول عليها التعويل كله . وميدان البحث اللغوي فسيح ، وما أحوجه إلى أن تتضافر عليه الجهود ، وأن يضطلع به أولو العزم والقوة . واني لشاكر اصدق الشكر للسيد الدكتور حسني سبح رئيس مجمع دمشق وللسادة أعضائه أن أتاحوا لي الفرصة لكي أؤدي الأمانة ، وأقول كلمة الوفاء والتقدير في هذه المناسبة باسم مجمع القاهرة . رحم الله كرد علي رحمة واسعة ، وأحسن له الجزاء على ما قدم للغته وأمته ووطنه ، والسلام عليكم ورحمة الله .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خطاب الدكتور عبد الرزاق محيي الدين

رئيس المجمع العلمي العراقي

السـادة الأعلام

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد فالمناسبة التي نحتفي بها من أكرم مناسبات العربية في جميع أقطارها ، ومن أجدرها بالاستجابة الحرّة المطاوعة من قبل أي مثقف عربي ، ألم بنهضة العرب الحديثة وعرف الرادة الأوائل من أبنائها .

وإذا جاءت الشام في مقدمة الأقطار العربية الرائدة لهذه النهضة – وهي بالحق كذلك – فإن المحتفى به يجيء في طليعة الرادة في هذا القطر ، فالاحتفاء بذكراه يعني أول ما يعني احتفاءً بريادة القطر الشامي للنهضة العربية ، وتنويهاً بحقيقة ما قدمته هذه البلاد للأمة العربية ، ويعني ثانياً الاحتفاء بأبي الرادة ومعلمهم الذي ثقفت الشام به ، وبإخوان تعاوروا معه الأبجدية الأولى من كتاب النهضة الحديثة .

أما العراقيون – وبينهم أعضاء المجمع العلمي العراقي – فحين تلقوا الدعوة لهذه الذكرى – أكبروا في الشام روح الرعاية العلمية ، لذكرى جديرة بالرعاية ، وقدروا أن في مشاركتهم بعض الوفاء لشخصية سبق أن آثروها بالعرفان وبالتقدير ، في كتب وبحوث عادت جزءاً من تاريخ الرجل ومعالم شخصيته .

فإليك ، أبا المجامع ، منا الاجلال والتقدير والعرفان بالسبق إلى إبداع الروح المجمعي ، وتقديم المثال الرائع في ذات مجمع دمشق الخالد .

أيها السادة

لو أن علماً من أعلام الأمة يغني عن تعريف لكانه الرئيس المحتفى بذكراه ، ولو أنّ تعريفاً ضاق بالمعرّف ووقع دونه وضوحاً وجلاء ، لكانه التعريف الذي يرد تجليت لشخص محمد كرد علي ، فالرجل أجلى من أن يعرف بقوم انتسب لهم ، أو قطر أقام فيه ، أو هيئة عمل معها

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم
كلا لعمري ولكن منه شيبان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولقد قرأت سيرة الرجل وآثاره من قبل ، وأعدت قراءتها احتفالاً بهذه المناسبة فكانت على حالها من بعض مظاهر تأثيره في قومه ، وأثره في النهضة الحديثة ، بل كانت المظهر المنظور لعالم غير منظور .

المظهر المنظور من سيرته أن أنشأ مجلة ، وأصدر صحيفة ، كانت يومها من أمهات الصحف والمجلات ، والعالم غير المنظور الهيمنة المطلقة على ما أنشأ والروح التي نُفِثت في كل حرف من حـــروفها ، وكل رأي ضمنته تلك الحروف .

العالم المنظور أن أنشأ مجمعاً لغوياً ورأسه ، وغير المنظور أن كان كل شيء في المجمع ، أو بدا وكأنه كل شيء في المجمع . العالم المنظور أن صادق وخاصم ، وسالم وعادى ، وعاش حياته محارباً أو مجاهداً في أكثر من ميدان ، خرج منها جميعاً بالظفر ، أو بالسلامة في أدنى تقدير ، والعالم غير المنظور أنه لماذا كان كذلك ، وكيف تم له كل ذلك .

مفتاح شخصيته في تقديري اعتداده بنفسه اعتداداً ما كان يرضيه منها إلا بلوغ أبعد الغايات في أكثر من مجال من مجالات الحياة ، ثم ما ساوره بأن ذلك من قدره القادر عليه ، والممكّن منه ، لذلك تراه يعمل في ميادين موزعة على عدة اختصاصات ، بإيمان من قدرة تهيىء له أنها قادرة على ولوج كل هذه الاختصاصات . يعينه على القناعة بما قدّر لنفسه ، وأقدرها عليه ، دأبٌ وحرص على أداء الواجب يوشك أن يبلغ به ما يبلغه المتخصصون الغاوون المنقطعون لفرع من فروع المعرفة .

كان الرئيس محمد كرد علي فاعلاً بفاعلية ذاتية ، مريداً بإرادة لدنيّة ذاتية ولكنه فاعل بذاته لأمته ، ومريد لمجتمعه بشخصه ، ومن هنا اختلط الأمر على بعض معاشريه وخلطائه ، فحسبوا فاعليته الذاتية أنها لغرض ذاتي وإرادته الذاتية اللدنية أنها لإرادة لمحض تحقيق غرضه ، فكثر بذلك مناوئوه وشانئوه ، وانبرى لخصومته بل لعداته فئات تعمل في صفه ، بل فئات تسعى لتحقيق ما هو ساع إليه . ولو فهموا محمد كرد علي - كما يجب أن يفهم - لانتقلوا من صفوفهم إلى صفه ، بل لو استطاع الرئيس أن يغير ما بذاته - وكان من الخير ألاّ يستطيع - لخلت حياته العلمية والاجتماعية من كثير من المتاعب ، ولتجنب المضايقات والمعوّقات التي ألقاها المعوّقون على طريق رسالته .

كان موسوعياً بأشمل ما تعنيه الموسوعية من معنى ، تنوعاً في المعرفة ووفرة الانتاج ، وبلوغاً بها الحدّ الذي تقع دونه همم الموسوعيين ، ولكن الموسوعية عنده لم تتحيف الموضوعية التي يطالب بها العصر الحديث ، ولا التخصص الذي لا بد منه من أجل التوفر على أسباب الاحاطة .

ولقد توارد على صعيد دراساته كثير من المحدثين المتخصصين بالدراسات

الأدبية أو التاريخية أو الاسلامية ، فما وجدوه واقفاً من تلك القضايا بعيداً عما وقفوا ، بل لم يجدوا فيما انتهوا إليه بالتخصص والموضوعية كثيرَ فرقٍ عما انتهى إليه بالشمولية والموسوعية .

وكان الرئيس صحفياً بمجيء العمل الصحفي في مقدمة أعماله ، والنعت به من أظهر نعوته ، ولكنها صحافة الرأي لا الخبر ، وصحافة الدعوة إلى مهيئات الأحداث وإثارة أسبابها ، وليس إلى تسجيل الأحداث وما تسبب من حدوثها .

والفرق بالغ بين الصحافتين ، تلك صحافة مريدة قاصدة ، وهذه – إن صدقت – صحافة متلقية شاهدة ، وشتان بين أن تترقب الحوادث وترصدها ، وبين أن تمهد لها وترهص بها ، فأنت في الثانية مفكر مدبر ، وفي الأولى حاك مصوِّر .

ARCHIVE

آمن بالعربية لغةً فدعا إلى تحريرها وتطويرها ، وصدّق الدعوة بما نشر من آثار وحرَّر من أفكار ؛ وآمن بالعربية أمة لها شمائلها وخصائصها ومقوّماتها فدعا إلى تحريرها وسيادتها ، وصدق الدعوة بكفاح سياسي مرير . وشفع الكفاح بالحجة التاريخية والسند العلمي فخرج من ذلك بها أمة من أرحم الأمم حين تسود ، ومن أقدرها على ردّ الحيف حين تساد ، وحلّى المحبّ والشانىء أنها من الأمم الراقية ذوات التاريخ الحضاري ، المشهود له بالفضل على الانسانية .

آمن بالإسلام ديناً يعبد به الله وحده فطالب بتنزيهه عن شبهات الشرك وتجريده من طقوس الرهبانية ، وآمن به نظاماً حياتياً ميسراً يفرض العمل ويرفض العطل ويريد اليسر ولا يرضى العسر ، وقدر أنه والعلم ردفان ، وأنهما للانسانية عونان ، تعيش بهما عيش سلام وتعاون وإخاء .

ذلك ، أيها السادة الأعلام ، غالب ما تهيأ لي من انطباع عن سيرة الرئيس الرائد لا أدعي أنني استوفيت فيها جوانبه أو وفيت بها حقه ، وإنما هي إلمامة تعبر عما بلغتُ من سيرتِه ، وليس عما بلغته سيرته .

أبا المجامع ، نم قرير العين بما خلد لك من ذكر ، وما كتب لك من صالح عمل ، واهناً فإن جملة ما أسست وشيدت قائم يتسامى مع الأيام ، بجهد النفر الصالح من تلاميذك وأبنائك في الجامعات وفي مجمع الخالدين ، وإن الجامعات العربية علت لها صروح في كل صقع من أقطار أمتك ، فتضاءلت الأمية التي كنت تخشاها ، وانتشر العلم الذي نعمل على نشره ، وأوشكت العربية تعود لغة علم وحضارة بل لغة لها في المحافل الدولية قلم ولسان .

وأنت أيها الشيخ الجليل الرئيس الدكتور حسني سبح . منَّ الله عليك بالعافية ، ولا خلا لنا مجلس منك ، فبارك الله في سعيك ، ومدّ عمرك ، وكتب لك ولإخوانك في المجمع نائباً وأعضاء وأميناً سعادة العيش ، مع أقصى ما ترجون لمجمعكم وأمتكم من تقدم وتوفيق .

وفي ختام كلمتي أستأنف تحية وشكراً للسادة السامعين .

خطاب الدكتور عبد الكريم خليفة

رئيس مجمع اللغة العربية الاردني

سيداتي سادتي ، أيها الحفل الكريم

إنه لشرف كبير لي أن أشارك باسم مجمع اللغة العربية الأردني ، في هذا المهرجان العتيد ، مهرجان الذكرى المئوية لميلاد الأستاذ الرئيس المرحوم محمد كرد علي ، طيب الله ثراه وجزاه عن العروبة والإسلام خير الجزاء . وإنني باسم مجمع اللغة العربية الأردني الفتي ، أقدم جزيل الشكر ، إلى مجمعنا الرائد بدمشق ، حصن العربية الأكيد ، وحامل لوائها الخفاق في مجال تعريب العلوم والتقنية الحديثة . ونحن نعتبر أن هذا المهرجان ، الذي أقيم لتكريم ذكرى أحد علمائنا الأجلاء الذين كافحوا من أجل إعادة العربية إلى سابق مجدها ، إنما هو مهرجان للعربية ، لغة العلم والحضارة والتقنية الحديثة . فإلى شيوخنا الأجلاء ومن سار على دربهم تحية إجلال وتقدير واعتزاز .

لن أتحدث ، أيها السادة ، عن الأستاذ الرئيس ، رحمه الله ، لأنني أترك ذلك إلى الثقات ، ممن صاحبوا الأستاذ الرئيس والذين يسعدنا الحظ أن نستمع إليهم ، ونلتقي بهم ، ولكنني أود أن أقف عند جزئيتين مهمتين ، تزاحمان أفكاراً كثيرة خصبة ، تثيرها مؤلفات الأستاذ الرئيس وتحقيقاته الكثيرة ، في حياته الطويلة المعطاء : إحداهما عامة والأخرى خاصة على مقياس .

فأما الفكرة العامة التي تلح على ذهني ، كلما مررت بمؤلفاته ، فتتمثل بتجسيد الأستاذ الرئيس رحمه الله ، مفهوم العروبة الحقة ، إنـــه المفهوم الإنساني الأصيل للعروبة المشرقة بجذورها الإسلامية العميقة ، التي تمدها بالحياة والخير والخصوبة . فالعرب مادة الإسلام وحملة لوائه ، والعربية لغة القرآن الكريم ، دستور الأمة الذي ينير لها الطريق ، وبالتالي فمن كره العرب كره الإسلام . هذه هي الركائز الأصيلة الـــتي ألمسها في شخصية علم من أعلامنا المكافحين في سبيل توطيد دعائم العروبة والإسلام . فقد رأى الأستاذ الرئيس رحمه الله أن يهدي كتابه القيم «كنوز الأجداد» مثلاً ، الى أستاذه الذي أشرب قلبه حبَّ العرب على حد قوله . يقول في الإهداء : إلى روح من أشرب قلبي حب العرب وهداني إلى البحث في كتبهم ، صدر الحكماء سيدي وأستاذي العلامة الشيخ طاهر الجزائري ، أهدي كتابي «كنوز الأجداد» . فقد هداه تفكيره الإسلامي العميق ، ونزعته السلفية الأصيلة إلى التعالي عن النزعات الإقليمية والطائفية والعرقية . فانتقدها انتقاداً مراً ، وهاجمها دون هوادة . كان يتحدث عـــن قضايا الوطن العربي ومشكلاته ، بروح المواطنة الحقة ، وهل المسلم إلا مواطن في دار الإسلام ، لا تحده حدود ، ولا تعيقه حواجز . ففي هـذا الإطار الرحب نستطيع أن نفهم شخصية الأستاذ الرئيس ، وهو العراقي الأصل ، الكردي الجنس ، الشآمي الموطن والولادة والوفاة .

كان الأستاذ الرئيس ، رحمه الله ، من أعلامنا المكافحين في سبيل وحدة العرب وتحررهم من نير الاستعمار والتخلف . وإن شعوره الأصيل بالمواطنة الحقة في ديار العروبة ، لهو ترجمة حقيقية لعقيدته الإسلامية ،

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتأدبه بآداب القرآن ، وتفهمه لأسرار العربية . فالعروبة عند الأستاذ الرئيس ، رحمه الله ، ليست عروبة الدم والعرق ، إنما هي عروبة العقيدة واللغة والانتماء .

وأما الفكرة الأخرى ، التي أشرت اليها فهي حديثه عن جذور مجمع اللغة العربية الأردني : ففي الفصل الذي عقده بعنوان « كفاءة عمل » في مذكراته ، أشار إلى محاولة مبكرة لم يكتب لها النجاح في الأردن ، لتأسيس مجمع لغوي قال :

« أسس المجمع العلمي العربي في دمشق سنة ١٩٢١ م ، وعلى ماصادف من مثبطات أنتج ما ساعدت بيئته على إنتـــاجه ... » ، إلى أن يقول : « وأرادت بعض الحواضر العربية أن تحذو حذو دمشق في تأسيس المجامع العلمية ، فجاءت مصر بعد أعوام ، فأنشأت مجمعها اللغوي . فوضع ألوفاً من المصطلحات العلمية الجديدة ، وبسّط قواعد اللغة العربية . وكانت بغداد وعمان وبيروت تذرعت بمثل الغرض الشريف . » إلى أن يقول : « واتفق أن كان مجمع عمان ناقص التركيب لقلة الرجال فأخفق .. »

ARCHIVE
http://ArchiveBeta.Sakhrit.com

وها أنذا اليوم ، أيها السادة ، أقف باسم مجمع اللغة العربية الأردني ، بعمان ، لكي نحتفل بالإجلال والتكريم بالذكرى المئوية لميلاده . ولعل روحه الطاهرة ستسر بالنجاح بعد الاخفاق ، بقيام مجمع « عمان » بعد اجتيازه تجربة مثمرة على مدى خمسة عشر عاماً من خلال اللجنـــة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر . فقد مرت أعوام كثيرة ، بعد إخفاق مجمع « عمان » الذي أشار إليه الأستاذ الرئيس رحمـــه الله ، ولكن في سنة ١٩٦١ تأسست اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر ، ثم تحولت

الآن إلى مجمع اللغة العربية الأردني . وسيكون من أولى مهام مجمعنا الأردني إن شاء الله ، أن ينضم إلى اتحاد المجامع اللغوية الشقيقة في دمشق وبغداد والقاهرة .

كان رحمه الله يتطلع بأمل الى الحواضر العربية الأخرى ، لكي تنضم ، في سبيل الكفاح من أجل العربية ، إلى الجهود الخيرة التي تحتضنها دمشق الخالدة . لقد أدرك رحمه الله مع زملائه الأخيار ، أن الأمة لا يمكن أن تلحق بركب الحضارة وتصل إلى الإبداع إلا من خلال لغتها القومية ، وأن العربية ـ من حيث هي لغة ـ مؤهلة لاستيعاب جميع المعارف الإنسانية ، كما برهنت على ذلك في تاريخها الزاهر عندما أصبحت لغة العلم والحضارة في العالم .

ARCHIVE

سئل الأستاذ الرئيس ، في يوم من الأيام ، عن أسباب نجاح مجمع دمشق ، فأجاب إجابة عامة بقوله : لأن أعضاءه أخلصوا في خدمته منذ وضع أساسه . ونحن الآن نعتقد ، أنه إلى جانب هذا الإخلاص والتفاني ، فإن المجمع عرف ببصيرته النافذة ، أن النظرية تبقى جوفاء حتى يملأها العمل . فاتجهت عناية المجمع بدمشق منذ البداية ، بأمور اللغة ، عناية فائقة ، في المدارس على اختلاف مستوياتها من الابتدائية حتى الجامعة . وانطلق إلى تحقيق أهدافه انطلاقة علميـة صحيحة ، فاستعان بالأساتذة المختصين بجميع أنواع المعرفة وبذلك جمع بين القدرة اللغوية وبين الاختصاصيين بمفاهيم الألفاظ الفنية . وهكذا تحققت أيها الأخوة أول تجربة في تاريخنا الحديث لتعريب الطب والعلوم بجميع فروعها ، في جامعة دمشق الحبيبة ، فاحتلت دمشق الخالدة بجدارة وبحق مركز الريادة والقيادة

في معركة تعريب العلوم والتكنولوجيا الحديثة . ونحن نعتقد أن حركة التعريب مرتبطة ارتباطاً عضوياً بحياة أمتنا وتقدمها . فقد أصبح من البديهي القول : بأن الإنسان يستطيع أن يستوعب بلغته القومية أضعاف أضعاف ما يستوعبه باللغة الأجنبية مهما تكن درجة اتقانه لهذه اللغة . وبالتالي فإن الأمة لا تستطيع أن تصل إلى حد الإبداع إلا من خلال لغتها القومية . وإن القول بالتعريب لا يعني مطلقاً إهمال اللغات الأجنبية ، بل على الضد من ذلك ؛ فإن عملية الترجمة والنقل يجب أن تكون مستمرة ومتوازية من اللغات الأجنبية إلى العربية ومن العربية إلى اللغات الأجنبية . ونحن إذا رجعنا الى تاريخنا العلمي ، وجدنا التجربة إياها ، ووجدنا دور الريادة للمدينة الخالدة ذاتها ... أليست في دمشق الفيحاء بدأت حركة تعريب الدواوين وترجمة أمهات كتب الطب والفلك ... أليست في هذه المدينة ، حاضرة الخلافة ، بدأت حركة الانعطاف الحضارية في تاريخنا القديم . وها هي الآن تعود لكي تقوم بدورها التاريخي ، في جعل العربية لغة العلم والحضارة . فتحية إلى دمشق وتحية إلى جامعتها الزاهرة وإلى علمائها الذين أرسوا قواعد التعريب في كلياتها ومعاهدها .

إن المشكلة الأساسية ، التي يجب أن تواجهها مجامعنا اللغوية ، وجميع المؤسسات العلمية ، تنحصر بتمكين الإنسان العربي أن يعبر عن جميع حاجاته الحضارية في حياته اليومية ، وفيما يتعلمه بالمدارس والمعاهد والجامعات ، بلغة عربية فصيحة ، حية وموحدة . فاللغة تحيا بالاستعمال ، وليس بحفظها في بطون الكتب .

أيها السادة ، لا أريد أن أثقل عليكم بجزئيات ، وإن كانت مهمة ،

ولكنني أود أن أؤكد على وحدة اللغة . فاللغة الأدبية موحدة بالرغم من عوامل التشتت والفرقة . فالنص القرآني كفيل بوحدتها . ولكن الخطر الداهم الآن يتمثل بنشوء لغات علمية مختلفة ، مع الأسف ، في أوساط من يؤمنون بالتعريب . فهناك مصطلحات علمية في مصر تختلف عنها في سوريا وفي العراق وليبيا والأردن وهكذا . ويحضرني في هذا المجال مثال صارخ . فهناك مثلاً كتاب في الرياضيات الحديثة ، ترجم في مصر ، وترجم في سوريا ، وترجم في الكويت ، وترجم في العراق ، وترجم في الأردن . وفي كل بلد تستعمل اصطلاحات مغايرة للاصطلاحات المستعملة في البلد الآخر .

إن نشوء مثل هذه اللغات العلمية خطر على وحدة الأمة ، وتشتيت لجهود علمائها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هناك قضايا كثيرة ، يجب أن تواجهها مجامعنا اللغوية والمؤسسات العلمية والرسمية متعاونة متكاتفة . وإن سبل معالجتها والتغلب عليها تتركز بصورة رئيسية على المواقف السياسية التي تتخذها الحكومات العربية . فإن الارادة السياسية التي ترتكز على التنظيم والتخطيط هي العامل الأساسي في تعريب العلوم وتوحيد مصطلحاتها .

لقد قامت مجامعنا اللغوية وعلماؤنا الأجلاء بجهود مشكورة ، ولكن مع الأسف ، بقي أكثرها محفوظاً في المكتبات وعلى الرفوف ، ولم يجد طريقه إلى الاستعمال . وواضح أن ذلك لا يعود إلى تقصير العربية ولا إلى تقصير هؤلاء العلماء ... ونحن نعتقد أن كثيراً من الإخفاق مرده إلى

هذه العزلة المفروضة ، بين النظرية والتطبيق ... بين المجامع اللغوية والمؤسسات التعليمية والرسمية .

أيها السادة ، لا أريد أن أسترسل ، بإثارة قضايانا اللغوية ، ولكنني أعتبر الإشارة إلى بعضها ، في هذا الحفل الجليل ، تكريماً لروح الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ، مؤسس مجمع اللغة العربية بدمشق ، وأحد الأعلام الذين تفانوا في خدمة لغة القرآن . فإلى روحه الطاهرة الرحمة ، وإلى ذكراه الإجلال والعرفان . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كلمة الأستاذ محمد بهجة الأثري

عضو مجمع اللغة العربية في بغداد

وزير التعليم العالي المحترم

أصدقائي وأحبائي العلماء الأجلاء رئيس مجمع اللغـــة العربية وأعضاءه العاملين .

إخواني الزملاء الأشراف أبناء دمشق الميامين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ARCHIVE

قدمت فيمن قدم إلى بلدكم وبلدنا الطيب الجميل الساحر ، بعد فراق طال أمده ، شيقاً إلى مباهجه ، محبوراً بلقاء أهله ، وسعيداً بالمشاركة فيه في أمر جامع خطير – لا تقوم لأمة ما حياة حرة مستقلة سعيدة إلا به ، ألا هو العلم ..

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

وإن من سعادتي أن يكون حظي من المشاركة في « اسبوع العلم » – وأنا أرجو أن يكون الأسبوع رمزاً إلى الدوام والاستمرار – تكريم ذكرى ميلاد قائد النهضة العلمية في هـذا الوطن العربي الأصيل ، العالم المجدد والمفكر المصلح والكاتب العبقري ، صديقي الأمثل ، الأستاذ الرئيس :

محمد كرد علي ، مؤسس أول مجمع علمي في بلاد العرب رحمه الله وطيب ذكراه .

وأنا إذا نعت مع الناعتين هذا الرائد السباق الجليل بـ « الأستاذ الرئيس » فإنما أعني رئاسته في العلم والإصلاح والجهاد والبناء ، ولا أعني رئاسة المنصب كما عنى مثل ذلك قديماً من قدروا نبوغ أبي علي ابن سينا فلقبوه : « الأستاذ الرئيس » وكلا الرجلين إنما رأس بعلمه ومزاياه ، وعلا المنصب به ولم يعل بالمنصب . وكان الأستاذ الرئيس محمد كرد علي أمة في رجل ، لا ينازع في ذلك منازع ، وكان في عصره واحداً من العظماء .. ممن يصدق عليهم في تاريخنا العلمي الزاهر قول أبي العلاء :

جمال ذي الأرض كانوا في الحياة ، وهم بعد الممات جمال الكتب والسير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وسيرة هذا الرجل الفذ ، سيرة يتجسد في مراشدها المثل الحي للقدوة الصالحة في العلم والعمل ، في الطماح والانبعاث ، في الثورة على الفساد والجد في البناء .

وتحيتنا لصاحبها تحية لمجد علمي طارف أثله ، وتحية لحياة عقلية مثلى رسم طريقها ، وأقام عليه الصوى والمنارات الهادية .

وهي سيرة حافلة بالمآثر يضيق هذا الموقف عن استيعابها ، ولهذا آثرت في تحيتها الشعر رمزاً وإيماء ، والشعر – كما قال صاحب سلاسل الذهب : البحتري – لمح تكفي إشارته ، وإني لأرجو ألا أكون فيما طوعته من مياسمها للمح والرمز والايماء ، قد أخللت بشيء من حقيقة صاحبها العظيم .

الأستاذ الرئيس محمد كرد علي

الأستاذ محمد بهجة الأثري

وطنَ الشموس الأعلياء سماءا ... النّاشرين لك الفخارَ لواءا

أكبرتُ قدرَك للنبوغ .. ترفُّه ... عطفاً ، وتُشعره هوىً ووفاءا

رعياً لآصرة الذمام ، وطالما ... شدّ الذمامُ أواصراً ودماءا

قتلَ الجحودُ ، فكم أكنّ مآثراً ، ... وأمات أحياءً ، ودكّ بناءا

لله أنت ! رفعتَ شأنك باذخاً ... لمّا غدوتَ تكرّم النبغاءا

هم أصلُ مجدك في الحياة وسرُّه ... وبهم حياتُك تستديم بقاءا

في المحنة العظمى اذكرت معظّماً ... فجلا [illegible] أفادك نهضةً شمّاءا

لمّا طوى عادي المنون مثالَه ... وسلا البنون حياته العصماءا

وافيتَ محتفلاً به مستحقياً ... تُضفي عليه الهالةَ الزهراءا

إنّ المواهب والمآثر والنُّهى ... لمعٌ .. تنير الدجيّة الدكناءا

رتبٌ جلائلُ .. كلّما صدق امرؤٌ ... أفعالَه ، ألقتْ به أضواءا

تزنُ الموازينُ الرجالَ بنقلهم ... وزناً ، فلا حطّاً ، ولا إعلاءا

أذممتَ أم أطريتَ .. لست بناقصٍ ... شأناً ، ولستَ بزائدٍ سيماءا

قلْ في الحقيقة ما تشاء ، فإنّها ... تبقى الحقيقةَ جوهراً وصفاءا

* * *

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أدمشقُ .! والدنيا دمشقُ خمائلاً ... وجداولاً ومنازهاً وبهاءا ،
ماحالُ زهوكِ بعد بين (محمد)؟ ... ووسامُ لونكِ .. هل ظليلن وضاءا؟
كانت به الدنيا لديكِ وضيئةً ... تزداد من قسماته لألاءا
زهراءَ .. تضحكُ من تضحُّكِ وجهه ... وتسرُّه ويسرُّها استهواءا
(قيسُ) الهوى .. بهواكِ عاش مُدلّها ... غنّى بكِ الدنيا صباحَ مساءا
وجلاكِ (ليلى) في البلاد خريدةً ... تسبي العقول وتسحرُ الشعراءا
ناغاكِ فاردة الفنون ، ولم يُصِبْ ... شيخاً تعشَّقَ غادةً حسناءا
فيحاءَ ، ناضرة الإهاب ، شذيّةً ... أبداً تفوح شذيّةً فيحاءا
نضُرتْ خافقه فرفَّ تصابياً ، ... وتعشَّقتْ ناسمه فخفَّ زهاءا
وزكتْ محبتُه ، فلم يَعْشَقْ بها ... متأنقاً بثوب صفاءَها ورياءا
مُغرًى بزهو الحُسن .. كلُّ كريمة ... في الكون يُغلي حسنَها إطراءا
أغلاكِ أنكِ حرّةٌ عربيّةٌ ... تلدُ العلاءَ وتنسلُ العظماءا
وهواكِ من هذا الهوى في نفسه ... يتجاذبانِ براءةً ووفاءا
إنّ العروبة في هواه مودّةٌ ... تصلُ القلوبَ وتعطفُ البُعداءا
إنّ الذي رزق الشمائل خصّها ... منه بأكرمها جَداً وغناءا
هُنّ العرائس في المحاسن ، لا ترى ... في أمةٍ أخرى لهنّ كِفاءا
شاقته إسلاماً ، ونُبْلَ حضارة ... خلصت كمسبوك النضار نقاءا
روعاء .. قد ملكت حِجاه ، فرقّها ... عطفاً ، وأغلى حبَّها إغلاءا
أجرى بها القلمَ المثقّفَ ناطقاً ... بالسحر يختلب القلوبَ أداءا
يجلو متفاتينَ كلِّ شيء عندها ... صُوَراً كأوضاح السماء رُواءا
وإذا زرى فسلْ شعوبيَّ الهوى ... أصلاه حاميةَ اللظى حمراءا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يُعطي على الأقدار كُلّا حقّه ... بـبلاغة تستوقف البُلَغاءا
جمعت إلى الأدب المصفّى شهدُه ... عقلاً إذا دجَتِ العقول أضاءا
(عبدُ الحميد) يودّ حلوَ بيانه ، ... و (ابنُ المُقفّع) يجتديه الماءا
ضمّ الجديد إلى القديم ممازجاً ... وكساه من سحر البيان مُلاءا
وأتى المعاليَ والمعانيَ غضّةً ... يبغي الجمالَ ويبدعُ الآراءا
وهفا إلى التاريخ ينفض سرّه ... ليُفيد من عِبَرِ العصور وِقاءا
ومشى إلى حرَم التّراث معظّماً ... ما جلّ من أعلاقه إسناءا
وأعزّ ما بنَتِ الأبُوّةُ من علىً ... ملأتْ طِفاحَ الخافقَيْن ضياءا
أعظِمْ بفطنته وصدق بلائه ! ... هُدِيَ السّبيلَ وواصلَ الإسراءا
أنضى الثّمانين الطّوالَ جلادةً ... يُعْلي البناءَ على البناء وِلاءا
لقِيَ الألاقِيْ الشّدادَ ، ولم يَهِنْ ... عزماً ، ولم يَتهيّبِ البُرَحاءا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

أيّ امرئٍ عالي السّنا هذا الّذي ... صدَقَ الكفاحَ وعلّم الأبناءا !
الرّائدُ السّبّاق .. لم يكذب له ... أهلاً ، ولم تنثُرْ خُطاه وناءا
النّاهضُ الوثّاب .. يُمضي عزمه ... بأحدّ من غَرْب السّنان مَضاءا
الموقظُ النّوّام من غفلاتهم ... ليُسابقوا الأقوامَ والأحياءا
الألمعيُّ .. يرى ظنونك صادقاً ... ويُحِسّ ما أسررته استجلاءا
المبدعُ الأدب الطّريف مُحتملاً ... فِكَراً كأفواف النّبات زَكاءا
الجامعُ الأعلام ، والمستنفرُ ا ... أقلامَ ، والمستوثِبُ النّجباءا

* * *

في كلِّ يوم من سَناه ولادةٌ تحبوه من رَوْح الخلود فتاءا
كـ (دِمشق) جلوةَ غُرّة زهراءا ورُؤىً تخايلُ فتنةً وبهاءا
كالنبع من (بَرَدى) تدفّق سلسلاً وكـما الروابيَ والبطاحَ رَواءا
كـ (الرَّبْوة) الغنّاء.. أعلت هامةً ميلءَ الفضاء ترفّعاً وإباءا
كـ (الغوطة) الخضراء.. مدّت رفرفاً وزهت ملاعبَ وانتشت نَعماءا
كسمائها الضَّحْياء .. رقّت منظراً ، وسَناً يمور توهّجاً ، وسَناءا
كرياضها المستلطَفات أناقةً ، الصادحات بهـا الطيور غناءا
كمروجها صدراً على ضاحي السَّنا رحباً ، وطبعاً مسمحاً معطاءا
كنسيمها الهافي .. تنفّسَ وَردُها فيـه ، فحمّله شذاهُ رُخاءا
كنعيمها الخضلِ النضيرِ ، وريّها غضّاً ، وألذّ حلاوةً وصفاءا
.. هذي المفاتنُ ، كيف أخلص زهوها صفواً ، وأربى فوقها ما شاءا

* * *

أمُشيّدَ الصرح العظيم .. تمرّدت شُرُفاته ، وتوطّدت إرساءا
«الناطحات السُّحب» .. تقصُر دونه قُنَناً ، ويشمخ فوقهن سماءا
و« جنانُ بابلَ » تستظلُّ بظلّه متقاصرات دونه استحياءا
فنيتْ وتفنى «الناطحات» ، وعمرُه هو والخلودُ تلازماً ولقاءا
لم يُبْنَ من زُبُر الحديد مناكباً صمّاً ، وبِنيةَ جندلٍ خرساءا
.. أعليتَ في الوادي المباركِ عرشَه وجعلتَ ثمّ دِعامَـه العلماءا
والعلمَ ، والفِكَرَ الثواقبَ كالضحى رُوحاً له ، وشِعارَهُنّ رِداءا
آويتَهُنّ إليه فاستذرت به ، وإلـيه لاذ بيانُها وأفاءا

أمُّ اللغات .. قوامُها وبلاغُها ، وكفى بها شرفاً له وعلاءا

* * *

يا (مجمع الفصحى) الحبيب .. زها بها ، وزهتْ به ، وتقدَّسَتْ أسماءا
عَجَباً عُجاباً ! مالُ زادِك باخلٌ ، لكنْ زادَك كالغمام سخاءا
كتُبٌ تتابعُ سائراتٍ ها هنا وهنا على طول المدى سُفَراءا
سَبْحاً بآفاق البلاد .. تجوبُها شُهُباً زواهرَ تحسر الظلماءا
من أين ذاك ؟ وكيف ؟ علَّكَ ساحرٌ يُعشي العيونَ ويُوهِم الأشياءا !
لا والذي برأ الحقيقةَ علمُه ، وأقام أعيانَ الوجود سواءا
ما كان غير الصدق باعثَ همّة يُعطي من النزر الشحيح ثَراءا
أرساك للقصد الشريف نبالةٌ منوحٌ تنخّلَ رفقةٌ شرفاءا
دامت على الرسم القديم ، وأمعنت في الجهد إخلاصاً له وفداءا
لا تأكل المالَ المرتَّبَ باطلاً ، وتُثيبُه المُطَواءَ والشوباءا

* * *

يا بانيَ العلياء . بُلِّغتَ الرضا ، ورُزِقتَ فردوسَ النعيم جزاءا
في رَفْرَفٍ خُضْر . تُضاحك مُنْفِساً قدَّمتَه ، وتسامر الحُنَفاءا
أرأيتَ غيرَ الصدق يُورِث طيِّباً ، ويُذيق من كَرَم الرضا صهباءا ؟
(المجمع) المعمور .. ذِكرُك عاتق بسمائه ، وبك استطال سماءا
جبَلا (دِمَشْقٍ) .. (قاسيونُ) ثالثٌ لكما رسوُّ قواعد وضحاءا

* * *

أفتى (دِمَشْقَ) وشيخَها وعظيمَها وأجلَّ من أسدى يداً بيضاءا

إنْ أنسَ ، لا أنسَ الودادَ وحظوةً   ألبَسْتَنيها حُلَّـــةً سِيَراءا
ديباجُها الكرمُ الصّميمُ وطيبةٌ   تتفقّـــدُ البُعَداءَ والخُلَطاءا
خُلُقٌ خُصِصتَ به وعمّ وفاؤه   كالشّمس جلّلتِ الوجودَ أياءا
.. كَرُمَتْ لديَّ معانياً ومغازياً   والسِّنُّ دونَ جلالِها علياءا
أغليتَ شأنيَ ناشئاً ، ورفعتَ لي   بين الأعاظم في البـــلاد لواءا
أعززْ بها ثقةً .. لو انَّ كِفاءها   روحي ، لَجُدتُ بها عليك جزاءا
ثقةٌ .. وقفتُ حياتَها مُتيمّناً ،   شاقت مَضائيَ أن يَزيد مَضاءا
ذقتُ اللذادةَ من كفاحيَ بالّذي   أوحت ، ولم أبطر بها خُيَلاءا
وطويتُ أدراجَ الطّريق إلى المدى   يا ليتَ شعري ! هل بلغتُ رجاءا ؟
فلأوسِعَنَّك ، ما حييتُ ، ترحّماً   يستنزل الرّضوانَ والآلاءا
فتّشْ فؤاديَ تَلقَ فيه صحيفةً   للأصفياء ، ترَ اسمكَ الطُّغراءا !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خطاب الدكتور عدنان الخطيب

نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

كانت الدنيا ثم كان الناس ، ثم كانت الأعراف والحضارات ، وبنت كلّ جماعة من هؤلاء أمجادها ومفاخرها .

وتقلّب الناس في النعمى والبؤسى ، تقلب الجديدين على هــذه الحياة الدنيا .

وكان لهم في كل بؤسى ونعمى مُثُلٌ من نور يهتدون بهديها فيرعونها حقّ رعايتها تمدهم بالنور إذا حزب الأمر ، وتهديهم سبلهم إذا دعا الداعي ليوم عصيب .

وكان من هذه المثل ، رعاية الأمم ، الأمم على اختلاف نصيبها من الحضارة ، لذكرى عظمائها بناة مجدها ، والذائدين عن تراثها وقيمها ، حتى لقد غدا من أهم معايير هذه الحضارة وأدق موازين الأخلاق وفاء الشعوب لهؤلاء الصفوة من القادة المصطفين .

ومن أجل ذلك ، كانت الأمم العريقة كالشجرة الطيبة ، أصلها ثابت في الأرض وفرعها في السماء .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

وبوحي من هذه الحقيقة الخالدة ، وبهدي من هذه المثل الرفيعة كان هذا الحفل الذي نشهده اليوم !

* * *

ســـادتي :

قبل مئة عام أنعم الله على دمشق ، لاحجب عنها ما عوّدها من نعم ، بطفل ليس له في أصوله من دماشقة إلا واحد .

درج الصبي على أرض دمشق ، دمشق الطيب أهلها ، النمير ماؤها ، الشذيّ هواؤها ، فاستولت على فؤاد الفتى وغدا أسير هواها .

شبّ الفتى ، وعرف أنّ النور شعّ من دمشق في يوم غبر ، فأضاء صباحه طليطلة علماً وحضارة ، ورقصت على سناه بالمجد بغداد ، فهام الفتى بمدينته ، وغدا بها كلفاً ، يحب لها الخير كلّ الخير ، ويحاول دفع الشر عنها ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وغني قلب الفتى بحب دمشق ، فأوسعه لحب الشام كلها ، فاتسع القلب للحبّ الجديد ، فدفعه ذلك إلى قصّ الخبر عنها في أيام مجدها ، وفي أيام امتحن الله بها جلد أهلها على المكاره وإيمانهم بربوبيته .

وعشق الرجل الحرية فأنزله الغناء بها أرض مصر العظيمة ، مصر الطيبة السمحة الكريمة ، ورأى الرجل قلبه يتسع من جديد للحب الجديد فأحب مصر وأحب أهلها وتغنى بمحامدهم ، غناء لا يعدله إلا غناؤه بما للعرب من فضائل ، وبما في الإسلام من حقائق ، فوقف نفسه للدفاع عن حضارتهم ولغتهم تجاه كل شعوبي وفاجر ، وآلى على نفسه أن يذود عن الدين وردّ شبهات الدفقة والمستشرقين .

هذا الدمشقي البار ببلده وبالأمة التي اختارها الله لحفظ لغة التنزيل العزيز ، هـذا الدمشقي الذي أحب الشام ومصر وكلّ العرب ، وكلّ الموحدين ، هو محمد كرد علي ، محمد كرد علي الذي تحتفل اليوم بذكرى مولده قبل مئة عام ، إنـــه العبقري الفذ ، والمؤرخ والأديب ، والعالم المصلح ، والصحافي اللامع ، صاحب الأسلوب البليغ والبيان الناصع المشرق ، إنه الرجل العظيم الذي أغنى المكتبة العربية بمؤلفات كثيرة يعتز بها ويكمن وراء كل جملة فيها دليلٌ قاطع على واسع علمه ، وعمق تفكيره ، وصدق حبّه للعرب والإسلام .

إنه الرجل الذي أنبتته دمشق فأعطاها قلبه وثمار قلمه ، وترك فيها المجمع الذي تعتز به وتفاخر ، لأنه أقدم المجامع في بلاد العرب ، المجامع اللغوية التي تقوم اليوم لتحمي الفصحى من أعدائها ، ولتغنيها حتى تساير ركب الحضارة في عصر العلم والتقنية .

لقد انتقل محمد كرد علي إلى الرفيق الأعلى منذ نيف وعشرين سنة فهل عرف الناس فضله وحسن بلائه ، وهل وفوه حقه ؟

من صور الوفاء لهذا الرجل العظيم أنّ دمشق يوم وداعه زحفت باكية حزينة تشيّعه ، ثم حنت على رفاته فضمّتها ثراها الندي مضمخاً بالعطر والحب والتقدير .

من صور وفاء دمشق أن محافظة المدينة أطلقت اسمه على بقعة من ترابها العزيز . وأن وزارة التربية في القطر العربي السوري أدخلت أدبه الرفيع في مناهج التعليم . وأنّ مواصلات الدولة البريدية جعلت رسمه يجوب آفاق الدنيا يحمل للناس ذكرى مولده انبهج في صدورهم ما نبهج .

من صور هذا الوفاء أنّ نقابة المحامين ، نقابة الرجال الذائدين عن الحق العاملين على سيادة القانون ، فتحت صدرها وقاعتها لعقد ندوات احتفالاتنا هذه .

وكرّم الفكر الإسلامي محمداً كرد علي يوم علت أصوات نفر من أعلام الرجال تشاركنا الاحتفال من عليكرة في المشرق إلى رباط الفتح في المغرب مروراً ببوادبست على نهر الدانوب .

وكرمته مجامع اللغة العربية واتحادها حين ندبت رؤساءها الأعلام لمشاركة مجمع دمشق مهرجانه .

وكرمت الدول العربية مجتمعة ذكرى ميلاد الرجل فأقبل على دمشق لمشاركتنا احتفالاتها ، الشاعرُ الأديب والمفكر العربي الكبير مدير المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

ويكرمه المجلس الأعلى للعلوم في سورية يوم يدعو رئيسه إلى الاحتفال بذكرى مولد العالم المصلح والمؤرخ الثبت خلال اسبوع العلم هذا .

ونجتمع اليوم في بيت كان من أعرق بيوتات دمشق الخالدة للاحتفال بذكرى ميلاد الرجل الفذ برعاية السيد رئيس الجمهورية ، وهل من تكريم لهذه الذكرى أبلغ من هذا التكريم !!

للسيد الرئيس ولكل من شارك في تكريم مؤسس المجمع العلمي العربي آيات الشكر وخالص التقدير .

رحم الله محمداً كرد علي وطيب ثراه وجزاه كفاء ما قدم لأمته .

شامية محمد كرد علي

الأستاذ شفيق جبري

كان قلم ابن المقفع كثيراً ما يقف ، فقيل له في ذلـــك فقال : تزدحم الأفكار في صدري فيقف القلم لتخيّره . فلما حاولت أن يمضي لي قول في الاحتفال بذكرى الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ، أدخله الله في واسع رحمته ، تذكرت قول ابن المقفع فشعرت بازدحام الأفكار في صدري ، فإنّ حياة الأستاذ مديدة الآفاق ، فلا يدري القلم بأيّ أفق منها يبدأ ، وحسب هذه الحياة أنّ صاحبها عاش في عصر استفاضت فيه حوادث السلب والنهب والقتل والمصادرات وقطع المناخير والآذان وظلم الأبرياء والاستبداد والقضاء على كلّ حرّية ، فضلاً عن طبقة من المشايخ كان الأستاذ الرئيس يعتقد فيهم الجهل والفساد وسوء السيرة ، وخلاصة هذا العصر ظلمات في سياسة الدولة وإدارتها وفي سيرة بعض رجال الدين وفي تسلّط الأعيان وقد خصّ خصائص هذا العصر في فصل من فصول مذكّراته عنوانه : عيدنا الوطني ، فكيف يستطيع أستاذ مثل كرد علي أن تملأ هذه الأمور عينه وأذنه وأن يغضي عليها أو يتغافل عنها ، ففكّر في سبيل الإصلاح وطريق المعالجة فلم يجد سبيلاً أرشد من الصحافة ،

(*) أقيمت في قاعة نقابة المحامين بدمشق يوم ١٧ تشرين الثاني ١٩٧٦

فهي الأداة التي استعملها على نحو ما قال « المطالبة بالإصلاح وطرد لصوص الموظفين من خدمة الدولة وحفز العرب إلى العمل النافع والتذرع بالمشاريع المنتجة وبعث القرائح واستخدام الكفاءات ونشر التعليم بين الطبقات الجاهلة » .

لا شك في أن طريقاً مثل هذا الطريق في الإصلاح والمعالجة لايدخل السكينة على قلب صاحبه ، فقد غالب الأستاذ الرئيس الدنيا وغالبته ، وبلا خيرها وشرّها ، وذاق حلوها ومرّها ، وانقلبت عليه وانقلب عليها ، ومارس الرجال ومارسوه ، ووقع في شرهم ووقعوا في شرّه . ومن قلّب النظر في مذكراته اهتدى إلى نوع من الحياة لم يكتب لها الهدوء في أيامها ، ولكنه على الرغم من هذا كلّه لما أشرف على الثمانين من عمره خاطب نفسه مخاطبة من لم يبال بكل ما مرّ به في سبيل الإصلاح فرجع إلى صفاء عقله فقال :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« يا نفس لا تغضبي ولا تعتبي فقد عمرت طويلاً ، ومتعت كثيراً ، وفتنت بجمال الوجوه وجلال الطبيعة ، وهمت بصنع الخالق والمخلوق ، واستكثرت الخلان والمعارف ، وسعدت إذ كنت أقرب إلى التفاؤل من التشاؤم ، وإلى الرجاء أدنى من القنوط ، والى السرور أكثر من الغم ، وعشت في سلطان الرضا طيّبة الطعمة لا يد لأحد عندك » .

لقد كُتب لي من الاتصال به ما لم يُكتب مثله إلاّ لقليل ، فكان وزيراً للمعارف مرتين ، فتهيأ لي بعد طول المخالطة أن أقف على كثير من خصائصه ، على ظواهره وبواطنه ، على مزاجه وطبعه وخلقه ، ولكني أتعدّى هذا كلّه في كلمتي وأحبس ذهني على ناحية واحدة من نواحيه ، على

فرط حبّه لأرضه وعلى ما نشأ عن هذا الحب من التغنّي بالذين أعطوا هذه الأرض ما وهبه الله تعالى لهم من فضله . وقبل أن أشرع في الإشارة إلى هذا الحبّ وهذا التغنّي أرى من الواجب عليّ أن أختصّ بالشكر الأساتذة الذين لم ينسوا محمد كرد علي ولم يغفلوا عن الاهتمام بذكراه ، فكأنهم أدركوا أن التاريخ سلسلة متصلة الحلقات ، آخر عصر متصل بأول العصر الذي يليه ، يستتمه ما شاع فيه من المحاسن . وما يقال في اتصال هذه العصور يقال في اتصال رجالها على مختلف منازلهم ، فليس من الإنصاف في شيء أن يمل عصر من العصور العصرَ الذي سبقه ، وليس من العدل في شيء أن يهمل رجال زمن من الأزمان التنويهَ بفضائل من سبقوهم ، سواء اتفقت آراؤهم ومذاهبهم أم اختلفت ، فإنَّ في مثل هذا الإهمال طمساً لحقائق التاريخ واستنكاراً المحسنين إلى هذا التاريخ ، ونحمد الله تعالى على أن محمعنا لم ينس أوّل رؤسائه محمد كرد علي ، ولا ريب في أن تذكّره إيّاه يدخل السرور على قلبه في عالم الغيب ، فلقد شكا إهمال الناس لرجالهم من أصحاب الفكر والبيان الذين أنشؤوا ثورة العقول قبل إنشاء ثورة السيوف ، وأفصح عن هذه الشكوى وذكّر أصحاب الأمر والنهي بفئة صالحة كانت من العاملين الممتازين فقال :

« نحن لا نومىء هنا إلى من لم يكونوا مع الثائرين في وقت من الأوقات ، بل إلى من كانوا مع الثائرين من البداية إلى النهاية وكانت عين الرضا متجليّة على كل من حمل السلاح ، أما من شقيت حياتهم في إعداد الأفكار للثورة الحقيقية ومهّدوا السبل لإثارة الأفكار وجاهدوا سنين حتّى لقنوا الأمة معنى الوطن والوطنية والعرب والعربية فهؤلاء لاحظّ لهم من التنويه لأنهم ما حملوا السلاح » .

لاشك في أنه يعني نفسه بشقاوة الحياة في إعداد الأفكار للثورة الحقيقية وتمهيد السبل لإثارة الأذهان ، ولا شك في أنه يعني نفسه بتلقين الأمة معنى الوطن والوطنية والعرب والعربية ، فإذا كانت نهضتنا الحديثة قد نسيت الأستاذ الرئيس محمد كرد علي فإن مجمعنا لم ينس رئيسه الأول الذي أحبّ أرضه وقومه أشدّ محبّة ، وأوحى إليه هذا الحب ما أوحى من مقالات ومحاضرات وكتب أعربت عن منزلة أرضه وقومه في أعماق نفسه أبلغ الإعراب ومكّنت هذه المنزلة من قلوب أهل عصره كلّ التمكين .

انتدبت الحكومة العثمانية الأستاذ الرئيس محمد كرد علي خلال الحرب الكبرى الأولى ليكون في جملة الوفد الشامي إلى الآستانة ، فودع غوطة دمشق في مقال كلّه شعر . ولا مندوحة لي عن الرجوع إلى بعض مقاطع هذا المقال ، من هذه المقاطع قوله :

« وداعاً غوطة دمشق الفيحاء ، مجلى الطبيعة ومغنى الأنس وروضة الطيبات ومهبط التجليات ، سلام زكيّ كتربتك المسكية ، جميلٌ جمال بسطك السندسيّة ، عطِر كأنوار أدواحك الجنيّة ، وتحيّة طيّبة تتساقط على عمرانك تساقط الوابل والطلّ على جنّاتك الفيحاء ، وحراجك الغلباء ، وأشجارك الميلاء ، وغلاتك الكثيرة الإتاء » .

وإذا تغنّى في هذا المقطع بطبيعة الغوطة وأرضها فقد تغنّى في المقطع التالي بطيرها وحيوانها فقال :

« سلام غوطة دمشق كلّما غرّدت أطيارك فملك على المشاعر سجع الحمام واليمام ، وهديل العنادليب والهزار ، وتغريد العصفور والشحرور ، كيف لا تستهويّ النفس ونعيق الغربان ونقيق الضفادع إذا ردّدهما الصدى في

لياليك يفسّرها القلب بمعانٍ لا تُفهم منها في الكور الأخرى كما يفسّر في النهار ثُغاء الماعز وجؤار البقر وخوار الثيران ».

إذا كنتُ قد حبست ذهني على أفق واحدٍ من آفاق الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ، على أفق محبّة الوطن ومحبّة قومه ، فما ذلك إلاّ لأنّ الأستاذ ، نضّر الله عظـامه ، رأى في غوطة دمشق ما رآه بعض الإفرنجة في مدنهم ، فإن مدن الوطن في نظرهم إنما هي بمنزلة الكتب ، ولكنّها كتب مصوّرة ، يقرؤون فيها أخبار أجدادهم ويرون فيهـا صور الأجداد ، إنهم يقدّسون دور أحقر مدينةٍ من مدنهم لأن هذه الدور قد أوى إليهـا الحبّ والبغض واللذة والألم في قرون متوالية ، إنهـا تحتفظ بأسرار رهيبة وتعرف أشياء كثيرة عن الموت والحياة ، ولو كانت حجارتها تتكلّم لقالت لأهلها أشياء تُضحك وأشياء تُبكي .

لقد فتن الأستاذ الرئيس بغوطة دمشق أعظم فتنة ، فإذا اعتزل دمشق إلى ريفه في الغوطة ، إلى داره في قرية جسرين ، فإنما يعتزلهـا ليصغي إلى أحاديث كتاب بمجالسه إصغاءه إلى حفيف الشجر وتغريد الطير وثغاء الغنم وجؤار البقر ، فللغوطة في نفسه منزلة رفيعة ، فقد فتن بكل شيء فيها ، فتن بخضرتها وطيرها وحيوانها وكثيراً ما سمعته يقول : لكل شجرة من شجرها ولكل بقعةٍ من بقاعها منزلة في قلبي ، فقد كان يقضي فيها بعض لياليه ويجمع فيها خواطره ويؤلّف فيها مؤلفاته ، وهذا النوع من التعلق بالأرض والحنوّ عليهـا والحنين إليهـا إنما هو الوطنيّة المجرّدة من الجعجعة وأباطيل البيان لأن هذه الأباطيل تجعل الحبّ باطلاً ، فارغاً ، فمن وراء منعطفاتِ السواقي والأنهار ووراء الحدائق والأشجار بلاد الملوك

القدماء والقصور المصقولة كما يُصقل الجوهر ، فيذكرنا هذا كله وطننا القديم وما كان عليه في العالم ، فنشعر بفرط الحنوّ على هـذا الوطن وهذه الأرض .

لم ألمح إلى ما ألمحت إليه من إفراط الأستاذ الرئيس محمد كرد علي في محبّة وطنه وقومه على شكل عادي ، صافٍ ، إلاّ لأن هذه المحبّة قد نشأت عنها مؤلّفاته القيّمة وفي مقدمتها خطط الشـام ، فقد أضاف بخطط الشام إلى وطنيته الصافية قوميته الراسخة ، أي جمـــع بين محبّة الأرض ومحبّة من ملكوا هذه الأرض وتعاقبوا عليها أحقاباً طويلة ورزقوها مـا أوحاه إليه أدبهم وعلمهم وفلسفتهم وحضارتهم . وما خطط الشام على نحو ما ذكره الأستاذ الرئيس في مقدمته إلاّ « زبدة الوقائع والكوائن وأخبار الصعود والتدلي والمظاهر الغريبة التي ظهرت بها هذه الديار في غابر الأعصار » . فالأستاذ أحبّ أرض الشام ورجالات الشـام ، أحبّ كل عظمائها ، ولم يقتصر حبّه على عظماء الشام وحدهم وإنما أحبّ عظماء العرب بأجمعهم على اختلاف ديارهم .

ولقد حمله حبّه للعرب وتغنّيه بحضارتهم على أشدّ الدفاع عمّا تمّ على أيديهم من جلائل الأعمال ، ومن طالع نقده لبعض الكتب في مجلّة المجمع العلمي العربي شعر بشعوره القويّ بالدين وبالقومية ، ولولا الخوف من الإطالة لتبسطت في الاستشهاد بهذا الشعور .

أمّا في الدين فكان يكره الحشو والتفريق بين المسلمين وبين غيرهم من أهل الأديان وكان يتمنّى أن تكتب كتب الدين في عصرنا بأساليب أبي يوسف في الخراج والزمخشري في الكشّاف والغزالي في الإحياء وابن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حزم في الملل والنحل ، وأمّا دفاعه عن القومية فكان يقف بالمرصاد لكل كاتب يُحس بأن في كتاباته عن العرب بعض الانحراف عن الحقيقة لتعصّب أو لأمر آخر ولا يهمّه في هذا الباب أن يكون لهذا الكاتب صلة بأصحاب الأمر والنهي فكان شديداً على من تحدّثهم أنفسهم بسلب العرب مزاياهم .

أفيحتاج كاتب من بلغاء الكتّاب أو مؤرّخ من كبار المؤرّخين إلى أكثر من هـذا الفضل لتخليده على ترادف السنين ؟ . وإذا كنت لم آت في هذه الكلمة الوجيزة على كل ما اختصه الله تعالى به من المحاسن فإني أكتفي بتلخيص هذه المحاسن في كلمـة واحدة ، فإني أرى في « شامية » الأستاذ الرئيس محمد كرد علي جملة عبقريته وتفاصيلها . وأحمد الله تعالى مرّة ثانية على أن مجمعنا ورجال هذا المجمع لم ينسوا منزلة الأستاذ العظيم الذي أضاءت عبقريته ظلمات الشام من بدء حياته إلى أن دخل جنّة الخالدين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في ذكرى العلامة محمد كرد علي

الدكتور عبد الكريم جومانوس

إن التغيرات السياسية الكبرى في التاريخ العالمي التي شهدتها العصور الغابرة، قد جاءت نتيجة للفتوحات الحربية التي قام بها آنذاك الآشوريون والبابليون والفرس وفرضوا خلالها سلطانهم على شعوب أخرى غريبة عنهم. ونتيجة للتكاثر السكاني المتزايد فقد استعرت نار التسلط والهيمنة في جموع البشر. أما القادة الذين أنعم عليهم بالمقدرة فقد شقوا طريقهم إلى الانتصارات بحد السيف في خضم الحروب التي خاضوها. وكان كل نصر من تلك الانتصارات يواكبه بؤس وفاقة الملايين، وذلك إلى حين نهوض شعوب جديدة جوعى ومتعطشة للدماء، تحت رايات قادتها، لتطرد بالعنف والقوة حكامها الذين استولوا في حينه على مقدراتها بحكم الفتح والغزو، مرسية في الوقت نفسه دعائم سلطانها القائم بدوره على القهر والعنف.

وفي مقابل هذه الحركات المتكررة على شكل موجات من التاريخ العالمي آخذ بعضها بخناق البعض الآخر، فإن الاسلام يقف على طرفي نقيض منها بصفته نظام دولة. حيث ان الاسلام ليس اجتياحاً وهيمنة وشهوة في السلطان، بل هو أسمى من ذلك بكثير، إنه قوة معنوية

زاخرة جبارة ، استطاعت عن طريق الدين الحنيف أن تبعث الحياة من جديد في الامبراطوريات القديمة بواسطة تلك الحضارة الأصيلة التي انطلق بها العرب من قلب الصحراء المجدبة . ومن المعروف أن كلاً من الجيش البيزنطي والفارسي كانا مزودين آنذاك بأقوى وأفضل الأسلحة المتواجدة في ذلك الزمن . بينما لم يكن في أيدي العرب من الأسلحة إلا ما هو قديم ، مما درجوا على استعماله في حروبهم القبلية مثل السهام والحراب والسيوف والمقاليع . وخلال الحروب القبلية في الجاهلية لم يتطور فن الحرب وسوقيته ، حيث كانت الحروب تحسم عن طريق المبارزات والبطولات الفردية . والإسلام بصفته مجموعة تعاليم معنوية وخلقية كذلك فقد عوّد العرب على مزاولة فريضة الصلاة التي تقام بصورة جماعية ، وبطريقة تقرب من النظام العسكري ، وهي ممارسة تطورت في وقت لاحق لتغدو تدريبات سوقية في فن الحرب . ولقد استطاع الإسلام ، باعترافه بأنبياء اليهود والمسيحيين ، بل وبتقديسه لهم ، أن يوحد صفوف كل المؤمنين في معسكر واحد ، وهم الذين تمكنوا بقوة التعاليم الدينية المعنوية ، وبالرغم من تخلف مستوى تسلحهم الحربي ، من قهر الجيوش البيزنطية والفارسية والتغلب عليها . وإلى جانب العوامل الاقتصادية والاجتماعية الأخرى ، فإن كون الإسلام بمثابة دين عالمي لكافة البشر هو العامل الرئيسي الذي قاد خطى أولئك العرب الذين كانوا في حينه فقراء إلى تلك البقاع الخصبة والغنية ، ممن أعلن أهلوها ، بعيد مقاومة قصيرة الأمد ، عن آيات الولاء طوعاً لا قسراً .

وهكذا فلم يكن السيف أو الشهوة في تملك الخيرات المادية الفانية هو الذي انتصر ، بل كان الانتصار لتلك القوة الروحية الهائلة التي جاءت

المسلمين في كل مكان يندفعون ويفتحون ، متسلحين بالتعاليم القرآنية الكريمة وناشرين كلمة الله . والآيات القرآنية الدفاقة المعاني والساحرة المباني هي التي أعلت راي الظفر للإسلام . ولا يوجد هناك أي كتاب قادر على منافسته في مجده هذا ، ولا تستطيع أبرع الترجمات له أن تجعل المرء يتحسس ، حتى ولو على وجه التقريب ، تأثيره ذاك . وكل إيمان وعلم المؤمنين إنما ينبثق من ثناياه ، وهم يرون فيه رائعة شاعرية أسمى من كل تقليد أو تشبيه ، وينظرون إليه كأروع إبداع في اللغة العربية . بل إن أولئك الذين ينظرون فيه نظرة العلم الموضوعي المحايدة ، ممحّصين مضمونه ومحتواه ، يجدون أنفسهم مجبرين على الاعتراف بأثره الجبار . ومن معين هذا الكتاب الكريم اختار المؤمنون تلك الحقيقة الخالدة ألا وهي أن هذا الكون قد خلقته وتوجهه قوة روحية واحدة . وعلى هدي من هذا الكتاب تطور ونشأ المجتمع الإسلامي — العربي ، أحد أكبر إبداع التاريخ الانساني قاطبة . وهو يشتمل في ثناياه على مختلف علوم الفلسفة والعلوم الطبيعية واللغة وإدارة الحكم وتصريفه كما يتناول الإنسان ، مبتدأ التاريخ وخبره ، وطوّر عنه نظاماً للتشريع استطاع أن يتملك ناصية المؤثرات الخارجية المتغيرة منذ ألف وخمسمائة عام ، مؤمّناً في الوقت نفسه التوفيق الفردي للمؤمنين مع ممارسة المساواة في القوانين . كما ان نظاماً اجتماعياً شعبياً بكل ما في الكلمة من معنى قد نشأ على هدي من الشريعة ، التي تمثل أحد أروع إبداعات العقل البشري .

ولقد قام العرب بنقل العلوم الاغريقية والهندية إلى لغتهم الخاصة بهم ، وأنقذوا بذلك علوم العصور القديمة لتكون بمثابة ركيزة ترتكز عليها

النهضة الفكرية الأوروبية . ولقد اكتسب الفكر مجالاً رحباً في الإسلام عن طريق تفسير القرآن والاجتهاد في فهم مراميه . ولقد كانت حركة المعتزلة بمثابة التوقد المتوهج للعقل الإنساني ، إلا أنها لم تنزلق في منزلقات التطرف ، حيث إن المعتزلة يعتبرون أنفسهم أهل التوحيد والعدل . وهكذا فإن حريتهم الفكرية لم تحد بهم عن طريق المثل العليا الأساسية للأخلاق . ومما يسجل لهم أنهم اتخذوا من العقل أساساً لدرسهم وتبحرهم وذلك في القرن الثامن الميلادي ، عندما كانت أوروبا كلها غارقة في ظلام السبات الفكري . وكانت الفلسفة في الإسلام قد انطلقت من الثيولوجيا ، أي من المسائل الخلقية ، وهو أمر لم يحدث مثله في أوروبا إلا عقب انصرام قرون عديدة ، حيث لم يجر التوصل فيها إلى الثيولوجيا العقلانية إلا عن طريق ترجمات كتب الفلاسفة العرب . ولا يزال هذا الفضل العربي تراثاً مجيداً حتى يومنا هذا ، وكل مُنْكِر له إنما هو متنكب لجادة الصواب ليس إلا» . ولقد نجلت الروح العربية وتسنمت القمم عن طريق نقلها وتطويرها للمؤثرات الخارجية بصورة عقلانية هادفة ، تستند على مراقبة الطبيعة وعلى أخذ التطور التاريخي للمجتمع بعين الاعتبار ، خاصة وقد واكبت كل ذلك بتحسسها القانوني للأخلاقيات .

وعبر سيرة المجتمع العربي نلتقي بتلك الإبداعات الروحية الثرية التي أغنى بها كنز المعارف الانسانية . فإلى جانب الثيولوجيا العقلانية ، فإن الأفكار القائمة على الحدس الشعوري قد شكلت معاً التصوف ، وقد قام الغزالي في أثره الخالد « إحياء علوم الدين » بخلق تناسق متكامل للتصورات الصوفية الأدبية الجياشة .

ولقد كان الغزالي مسلماً مؤمناً ، ولذا فقد تقبّل الأمور التي لايستطيع العقل إثباتها وتسجيلها كحقائق معترف بها . وتقوم نظرية الغزالي على فلسفة الأحاسيس ، التي تتجلى من خلالها مخاوف الإنسان وإحساسه بالوحدة ، كما يتجلى فيها أيضاً يقين الانسان بأنه يعتمد على قوة عقلانية ومحبة له ، هي قوة الله ، التي يستطيع أن يستغيث بها من أعماق يأسه ، والتي لا حدود لرحمتها وعفوها .

والأدب العربي يفخر ، عن حقّ ، بالعديد من الإبداعات التي تمثل أموراً فريدة من نوعها . واقتصر هنا على الاستشهاد بذكر واحد فقط من بين الإبداعات الغزيرة والعديدة ، ألا وهو « مقدمة ابن خلدون » ، التي تشتمل على العلوم الطبيعية وعلم الأحياء ، والاشتراكية وكافة القضايا المتعلقة بها وبالاقتصاد والاجتماع على حد سواء ، وهي تقدم إجابات على كل الأسئلة المتعلقة بتلك الموضوعات بشكل يجعل الجيل الحالي يتقبلها بشعور من التقدير والعرفان .

هذه هي الأفكار التي جاشت في خاطري ، هنا في المجر ، وأنا أحني الرأس إجلالاً أمام الذكرى العطرة للمثل والقدوة المغفور له محمد كرد علي تغمده الله برحمته الواسعة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

انطباعات عن محمّد كرد علي

الأستاذ محمد الفاسي

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله .

أيها السادة الكرام والعلماء الأجلة والزملاء الأماثل .

أحييكم باسم إخوانكم في الجانب الغربي من عالمنا العربي الإسلامي وأحيي دمشق الفيحاء من أختها فاس الزهراء ، وأعبر لكم عن عظيم امتناني لإتاحتكم هذه الفرصة لتجديد العهد لأصدقاء أعزاء ولمشاهدة هذه النهضة الشاملة التي تتجلى في هذا القطر الشقيق ، داعياً المولى تعالى أن يوفق قادته إلى تحقيق أهدافهم لاسترجاع أراضيهم المغتصبة وفي تعميم الرفاهية لهذا الشعب الكريم المغوار المتشبث بالعروبة في لغتها وفي ثقافتها .

وإذا كانت مناسبة إحياء ذكرى رجل عظيم من أبرز رواد النهضة العربية الإسلامية في هذا القرن هي الغاية من التقائنا هذا فإني أريد أن أحدثكم قليلاً عن وشائج القربى بين بلاد المغرب وبلاد الشام إحياءً لما كان يعمل له الأستاذ الرئيس محمد كرد علي من توحيد كلمة العرب والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .

إنكم تعلمون أن المسلمين الأولين الذين فتحوا المغرب والأندلس كانوا من عرب الشام لذلك طبعوا أفكارنا في كثير من مظاهر الحضارة بالطابع الإسلامي . فمثلاً : عندما أسسوا المساجد الأولى ببلادنا جعلوا قبلتها إلى الجنوب كما هو الشأن في البلاد الشامية ، وذلك تلقائيّ بدون أن يلتفتوا إلى الموقع الجغرافي حيث إن الكعبة المكرمة بالنسبة إلينا تقع إلى جهة الشرق . ولما تنبّه المغاربة إلى هذا الخطأ صار المؤذنون في المساجد التي قبلتها إلى الجنوب يقولون بعد الأذان : تحرفوا بتحريفة الإمام يرحمكم الله . وهكذا الأمر إلى الآن في أعظم مسجد بالمغرب وأجلّه : جامع القرويين بفاس الذي مرّ على بنائه اثنا عشر قرناً وسبعة عشر عاماً .

ومن جراء هذا سُمّي الجنوبُ بالمغرب القبلةَ وأهله بالقبليين . ولغة المغرب في كثير من مفرداتها شامية فنقول الحليب لا اللبن ونقول الانجاص لا الكمثرى . وفي عوائد فاس شبه بما شاهدته في هذه المدينة الخالدة مثل جعل نباتات الزهور في السطوح والشرفات . ومثل أسواقها المسقّفة . وإني شعرت وأنا أجوب أسواق الحميدية وكأنني بالقيسارية والعطارين بفاس . وماء دمشق العذب كماء فاس النمير ، وحتى الطبيعة لها شبه ، حيث إن مدينة فاس تحيط بها بساتين الفواكه المتنوعة كما هو الشأن في غوطة دمشق . ويطل على جانبيها جبل زالغ كما يطل قاسيون على هذه المدينة الجميلة . والذين رأوا منكم مدينة فاس لمسوا هذا التشابه وهذا التوافق .

ومن أعجب الموافقات أن مدينة فاس كان يخترقها نهر من غربها إلى شرقها فعمدنا إلى تسقيفه ومدّ طريق عليه ، وهذا ما شاهدتكم تفعلونه الآن .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأهل المغرب في كل زمان كانوا يحنّون إلى هذه الديار الشامية بمعناها الأعم القديم أي بما في ذلك مدن القدس والخليل فبذلك يحكي لنا التاريخ مواقفهم في المشاركة في الحروب ضد الصليبيين وتطوعهم للجهاد في صفوف البطل العظيم السلطان صلاح الدين . وليس كذلك من الصدف أن هبوا في رمضان سنة ١٩٧٣ إلى الاستماتة مع إخوانهم في حرب الجولان وتحرير القنيطرة الشهيدة وقد وجد عندهم نداء صاحب الجلالة الحسن الثاني أيّده الله استجابةً عامة لما عرفوا به من الميل العظيم إلى الجهاد في سبيل الله .

أما التحدث عن هذا الرجل العظيم الذي نحيي ذكرى ولادته الميمونة على الأمة الإسلامية منذ مئة سنة مضت فهذا أمرٌ لا تسعه الخطب لأن الرجل، مع بضعة رجال نبغوا في هذا القرن، كان أكبر من كل ما يمكن أن يذكر عن علمه وتآليفه وتأسيسه لأول مجمع في بلاد العرب . وذاك أن الأمة العربية الإسلامية أنجبت في عصور حضارتها الزاهرة نبغاء في كل ميادين المعرفة والفن . وكان المستوى الثقافي إذ ذاك يساعد على انبثاق تلك العبقريات . ولكن محمد كرد علي وشيوخه من أمثال محمد عبده وطاهر الجزائري وشيخ الجميع جمال الدين الأفغاني ومعاصري محمد كرد علي من أمثال الأمير شكيب ارسلان والشيخ رشيد رضا - كل هؤلاء برزوا في عهد انحطاط وخمود وجمود تقاعست فيه الهمم عن متابعة أعمال أسلافهم وتشبثوا بقشور العلم ، وابتعدوا عن الروح الإسلامية الصافية وتعلقوا بالخرافات والبدع . وقام هؤلاء الدعاة والمصلحون ينادون بإصلاح الأوضاع في كل الميادين الدينية والثقافية والسياسية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد كان لمحمد كرد علي نصيب وافر من هذه الحركة المباركة الجبارة وإن كنت أنا شخصياً لم أحظ بمعرفته لأن الفترة التي كان يمكن أن ألتقي فيها به كانت ونحن نكافح في سبيل استقلالنا . ولكننا كنا نتغذى بما كان يصلنا من كتبه ومقالاته . ويعتبر ، مع من ذكرت من رجالات العرب زعماء الإصلاح والوطنية الحقة ، من المفكرين الذين أوقدوا شعلة الوطنية في نفوس شباب المغرب الذين تزعموا حركة الإصلاح والكفاح في سبيل الاستقلال من أمثال الزعيم الراحل ابن العم علال الفاسي ، والأستاذ محمد غانم ، والأستاذ عبد الخالق الطريسي رحمهم الله .

ونجد في كتابات كثير من رجالاتنا الاعتراف بفضل محمد كرد علي على تكوينهم . وقد قرأت لأخينا وزميلنا في المجامع العربية الأستاذ عبد الله كنون شافاه الله صفحة بديعة في التنويه بأثر محمد كرد علي عليه . ولا ننسى أن الشبان الذين خاضوا ميادين الكفاح السياسي والثقافي في البلاد العربية تأثروا هم أيضاً بسيرة محمد كرد علي وأفكاره ومبادئه .

ولعل من أبرز ما عمل لخير الأمة العربية كفاحه في سبيل اللغة العربية ، ليس فحسب بتأسيسه لأول مجمع في العالم العربي ولكن بما كان ينشره من مقالات ومن دراسات في المجمعيّن الأبوين وفي مجلتيها وفي غيرهما من دوريات البلاد المشرقية . وإنه بمحبته للغة العربية وتعلقه بها لمثال صادق لكثير من علماء العجم الذين ثقفتهم لغة القرآن والذين هم نتاج البيئة العربية . ويحضرني في هذا الصدد قولة الفيلسوف العالم الفذ البيروني حيث قال : « لأن أُسَبّ بالعربية أحبُّ إلي من أن أمدح بالفارسية » . بمثل هـذه الروح كافح محمد كرد علي وقاوم مناوئيه في سبيل إنشاء الأداة التي يتمكن

بواسطتها من المحافظة على هــذه اللغة وتصفيتها من الشوائب . وإن لنا في كفاحه هــذا الذي سطر مراحله الدكتور عدنان الخطيب في كتابه « مجمع اللغة العربية في دمشق في خمسين عاماً » لعبرة تحدونا إلى العمل المتواصل مع التيقن من بلوغ الغاية ، لأن التحدي هو مفتاح النجاح . وكأنني في قولي هذا أخاطب نفسي لأنني منذ سنين وأنا أسعى وأدعو إلى تأسيس مجمع مغربي يتخصص في دراسة الحضارة الإسلامية العربية في الجناح الغربي من العالم الإسلامي . وقد قرب أن ينبلج الصبح عن هذه المؤسسة بفضل رعاية جــلالة الملك العالم الحسن الثاني أيده الله . وإننا في طريق إتمام وضع القوانين التي سيصدر بها قريباً مرسوم ملكي يرسم قواعد هذا المجمع وسيكون على بعد الزمان من مآثر محمد كرد علي ، وإن من سن سنة حسنة له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة .

وفضل محمد كرد علي في تأسيس أول مجمع في العالم العربي فضل كبير لأنه إذا كانت المجامع الأولى في العالم الأوربي وليدة اهتمام الملوك ورجال الدولة فإن المجمع الذي أسسه رحمه الله وليد فكرة رجل واحد لا ملك ولا زعيم وإنما عالم مفكر رائد .

وأريد أيضاً أن أذكر هنا أنه ليس من باب الصدف أن تكون سوريا هي البلد العربي الوحيد الذي تدرس فيه سائر المــواد في كل مراحل التعليم باللغة العربية فذلك نتيجة هذه الروح المؤمنة بصلاحية اللغة العربية التي بثها في هذه البلاد محمد كرد علي . وقد لمح إلى هذا سيادة الدكتور محمد علي هاشم وزير التعليم في كلمته الختامية يوم افتتاح الاحتفال بهذه الذكرى ، والاعتراف جميل بفضل رائدنا الجليل جازاه الله خيراً عن لغة كتابه الكريم .

وإن معهد التعريب الذي أسسته في سنة ١٩٦١ جامعة محمد الخامس لما كنت رئيسها هو كذلك وليد فكرة محمد كرد علي . وقد كانت وزارة التربية الوطنية دعت إذ ذاك إلى عقد مؤتمر التعريب حضره كثير من رجالات العلم والأدب العرب ، وكان لي شرف رئاسته ، وقد دعوت فيه إلى توحيد المصطلحات العلمية العربية ، هـذه القضية التي تشغل بال المسؤولين عن التعليم الجامعي والعلماء الباحثين ، كما تعرضت لأول مرة إلى مسألة الأرقام العربية التي يسمونها انكليزية وإن كان كل العلماء في العالم العربي اقتنعوا الآن بأصالة أرقامنا ، وأن الذي أدخلها إلى أوربا هو الراهب المسيحي الذي صار بعد ذلك البابا سيلفستر الثاني ، وقد تعلمها في جامعة القرويين ونقلها باسم Chiffres arabes كما لا يزال يسميها الأوربيون إلى الآن .

ARCHIVE

أقول إن كانت هـذه الحقيقة ثابتة عند العلماء المشارقة اليوم فإن http://Archivebeta.Sakhrit.com البلاد العربية التي تستعمل الأرقام الهندية لم تقدم بعد على إبدالها بالأرقام العربية . وأول من يتعين عليه أن يبدأ بهذا العمل هو سوريا معقل العروبة العتيد ، وما ذلك على همتكم بعزيز ، زيادة على ما في ذلك من الاتفاق مع العالم بأسره الذي استعمل حروفنا ، ولئلا تنقطع الصلة بالكتب القديمة فلا مانع من تعليم تلك الأرقام العشرة كما يفعل الأوربيون بتعليم أبنائهم الأرقام الرومانية العديدة . زد على كل هذا أن استعمال الأرقام العربية يوفر على الشعب مشقة استعمال الطريقتين في لوحات السيارات وأرقام المنازل كما هو الشأن في مصر ، وفي المطارات وفي كثير من المناسبات للاضطرار لاستعمال الأرقام العربية مع الأرقام الهندية . ولي اليقين أن محمد كرد علي لو أدرك هذا الزمان واكتشف أن عرب المغرب حافظوا على هذه الأرقام

العربية ، لأنه في وقته كانت الصلات منقطعة بيننا بسبب الاستعمار ، لنسارع إلى الدعوة لاستعمالها .

وأخيراً فإن من آثار دعوة محمد كرد علي للعناية باللغة العربية والمحافظة عليها ونشرها ما عملنا له من إدخالها لليونسكو في الأسبوع الماضي كلغة عمل ، وقد صودق في مؤتمر نيروبي لهذه المنظمة على المرحلة الأخيرة من جعلها في مستوى واحد مع اللغات الأوروبية الأربعة التي كان لها وحدها هذا الشرف ، مع العلم أن اللغة العربية هي لغة العالم الثالث الوحيدة التي نالت هذا الشرف .

رحم الله الأستاذ الرئيس محمد كرد علي وجازاه أحسن الجزاء بما أسدى من خدمات للأمة الإسلامية وللغة العربية ، ووفقنا جميعاً إلى متابعة هذا الكفاح الشريف حتى نتبوأ في كل الميادين المقام اللائق بمجدنا القديم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولا يفوتني أن أتقدم بخالص الشكر لرجال مجمع دمشق وعلى رأسهم الزميل الرئيس الدكتور حسني سبح شافاه الله وعافاه ونائبه الدكتور عدنان الخطيب وكل أعضائه الكرام على دعوتي للمشاركة في هذا المهرجان مهرجان الوفاء وتقدير العلم والعلماء ، كما أتوجه بالشكر لرجال الحكومة السورية وفي مقدمتهم الرئيس القائد حافظ الأسد والوزيرين الجليلين الدكتور محمد علي هاشم والدكتور شاكر الفحام وكل العاملين على إنجاح هذه الذكرى على ما أسدوه إلي من رعاية وحسن استقبال .

والسلام عليكم ورحمة الله .

محمد كرد علي
من علماء العرب الخالدين

الدكتور ناجي معروف

الرئيس محمد كرد علي : شخصية فذة ، عديدة النواحي ، متشعبة الجوانب ، حافلة بجلائل الأعمال ، ومن أهم أعماله ومزاياه في نظري بعد إنشاء المجمع العلمي العربي بدمشق إيمانه بالعلم أساساً لكل عمل باعتبار ما يبنى على العلم يبقى ويخلد ، وما لا يبنى على العلم يزول وينهار ، وأمران آخران جديران بالبحث والدراسة :

أولهما : أنه كان مؤمناً بالعربية وأهلها .

وثانيهما : أنه كان يقف بالمرصاد للشعوبيين ، يرد طعونهم على العرب والإسلام ، ويفنّد حججهم بحجج وبراهين لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها .

ومن الحق أن أقول : إنني نشأت على حب محمد كرد علي في كتاباته وبحوثه وكتبه منذ عهد النشأة ، وأشربْتُ مبادئه وآراءه العربية والإسلامية ، وردوده على الشعوبيين والمستشرقين المتعصبين على العرب والإسلام ، تلك الردود التي اتسمت بالبحث العلمي والرصانة في التفكير ، والتحري عن الحقائق ، والصفة بالنزاهة والإنصاف وعدم التحيز وبخاصة في كتابيه :الإدارة في عز العرب ، والإسلام والحضارة العربية .

ومن هنا كان للمرحوم محمد كرد علي أثر كبير في نزعتي القومية ، وتوجيهي وجهـــة عربية إسلامية ، وكان لي مدرسة عالية تعلمت فيها الاعتزاز بالعرب والعربية ، والحضارة العربية ، والثقافة الإسلامية ، حتى أصبح رائدي البحث عن كل جديد في هذه الحضارة العربية العتيدة من حيث أصالتها ، ومن حيث عروبة المدن التي أنشئت عبر العصور ، ومن حيث عروبة العلماء المنسوبين إلى البلدان الأعجمية في المشرق والمغرب ، وقد أثبتّ في كتابي الأخيرين وفي الكتب التي تنشرها لي وزارة الإعلام العراقية أن ألوف العلماء المسلمين الذين يضافون إلى البلدان الأعجمية إنما هم من العرب الخُلّص .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وإذا كنت قد تطرقت في هـــذه الكلمة إلى ذكر العلماء العرب المنسوبين إلى المواطن الأعجمية فلأني وجدت وأنا أصلح الصفحات الأخيرة من « تجارب » كتابي الخاص بعروبة العلماء المنسوبين إلى الأرباع الأربعة في خراسان : نيسابور ومرو وهراة وبلخ . أن المرحوم محمد كرد علي أشار قبلي بزمن طويل إلى عروبة اثني عشر عالماً من أعلام العرب المنسوبين إلى البلدان الأعجمية في كتابه أمراء البيان ، وبحث في عروبة الصاحب ابن عباد .

قال ، رحمه الله ، في عروبة الصاحب بن عبـــاد (١) وكأنه يتكلم عن نفسه :

أجمع من ترجموا لابن العميد أنه فارسي من أهل « قم » ، ولا يفهم

(١) أمراء البيان ج ٢ ص ٥٥٠ – ٥٥١

من كونه فارسياً أنه من صميم الفرس ، فقد يسكن العربي قم" وقزوين وشيراز ونيسابور والري وهو عربي بأصوله ، فينسب إلى البلد الذي نزله أو ولد فيه ، وما هو فارسي بالمعنى الذي نفهم به اليوم معنى هذه النسبة ، ولا يبعد أن يكون ابن العميد أو أجداده عرباً أقحاحاً ، نشأوا في تلك الأرض فنسبوا إليها . وقد حدثنا التاريخ بأن مئات من علماء المسلمين وأبناء الأنصار والمهاجرين هاجروا إلى البلاد التي فتحت على أيدي العرب في الشرق والغرب فنسبوا إلى أوطانهم لا إلى آبائهم كما كانوا من قبل ، فضاعت بذلك أصولهم .

وليس من المستحيل أن يكون غرام ابن العميد بالعرب والعربية موروثاً وتأصل فيه بالدرس ، وكم من غريب عن هذا اللسان خدَمَهُ خدمة أبنائه الأصليين . وقد قال أبو الريحان البيروني ، وهو من خوارزم ومن أعظم علماء الإسلام : « الهجو بالعربية أحب إليّ من المدح بالفارسية ، وسيعرف مصداق قولي من تأمل كتاب علمٍ نُقل إلى الفارسي كيف ذهب رونقه ، وكسف باله ، واسودّ وجهه ، وزال الانتفاع به ، إذ لا تصلح هذه اللغة إلا للأخبار الكسروية والأسمار الليلية » .

وقال ، رحمه الله تعالى ، في الهامش المرقم (١) من الصفحة ٥٥ من كتابه « أمراء البيان » :

« تُعلَم أصول من اشتهروا في فارس من العلماء بإلقاء نظرة على كتب الأنساب ، والوفيات ، وتراجم المحدّثين وغيرهم .

فقد نسبوا صاحب الأغاني إلى أصفهان ، وهو أموي عربي (١)

---

(١) وفاته سنة ٣٥٦ هـ ، كتابنا عروبة العلماء ... في المشرق الإسلامي ج ١ ص ٣٧٨ – ٣٧٩

ونسبوا صاحب القاموس إلى فيروزاباد ، وهو بكري عربي [١] .

ونسبوا القزويني ، صاحب آثار البلاد ، إلى قزوين ، وهو عربي من سلالة مالك بن أنس [٢] .

ونسبوا ابن حِبّان البُسْتي ، صاحب التآليف العظيمة ومن طبقة البخاري إلى بُسْت ، وهو تميمي [٣] .

ونسبوا أبا حيّان التوحيدي إلى شيراز ، وهو من صميم العرب [٤] .

وكان أبو داود السِّجِستاني ، صاحب السنن ، من الأزد [٥] .

وأبو العباس النَّسَوي ، مصنف المسند ، من بني شيبان [٦] .

وأبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري ، صاحب المسند ، من بني قُشَيْر [٧]

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) وفاته سنة ٨١٧ هـ . وهو مجد الدين أبو طاهر بن يعقوب شيخ الإسلام . كتابنا عروبة العلماء في فارس والأهواز . تحت الطبع .

(٢) وفاته سنة ٦٨٢ هـ . كان مدرساً بالمدرسة الشرابية بواسط . كتابنا عروبة العلماء في إقليم الجبال . تحت الطبع .

(٣) وفاته سنة ٣٥٤ هـ . كتابنا عروبة العلماء .. في المشرق الاسلامي ج ١ ص ٣٧٥ — ٣٧٧

(٤) علي بن محمد ولد بشيراز (أو نيسابور) وتوفي سنة ٤١٤ هـ في رواية . كتابنا عروبة العلماء في فارس والأهواز . تحت الطبع .

(٥) وفاته سنة ٢٧٥ هـ . كتابنا عروبة العلماء في المشرق الإسلامي ج١ ص ٢٨٧ — ٢٨٨ .

(٦) وفاته سنة ٣٠٣ هـ . وهو النسائي أيضاً . كتابنا عروبة العلماء ... في خراسان ج ١ ص ١٧٧ — ١٧٨

(٧) وفاته ٢٦١ هـ . كتابنا عروبة العلماء ... في خراسان ج ١ ص ١٥٦-١٥٧

والهَرَوي المفسر من ولد أبي أيوب الأنصاري (١) .

وأبو الوليد النيسابوري ، فقيه خراسان ، أموي من ذرية سعيد بن العاص الأكبر (٢) .

والفخر الرازي المفسر عربي (٣) .

وقال ابن قتيبة : إن خارجة بن مصعب هو من بني شجنة من ضُبَيْعة ، وكان أفقه أهل خراسان وأرضاهم عندهم، وعقبه بخراسان ، وكان أبوه مصعب بن خارجة مع علي بن أبي طالب » (٤) .

ومع أني حاولت أن أبحث في المشرق الإسلامي عن العلماء المسلمين الذين ينحدرون من أصلاب عربية فإني وجدت المرحوم محمد كرد علي يؤكد هذا الأمر ، ويحاول أن يؤكد أيضاً أن العربي هو من يحذق العربية ، ولو كان من أصول غير عربية ، وفي هذا دلالة كافية على سعة أفقه ، ومبلغ تفكيره ، وتحرّيه عن علماء العرب واعتزازه بهم وإعجابه بلغة العرب . وإنك لتجد في محاضراته التي ألقاها في كلية الآداب بجامعة القاهرة سنة ١٩٣٣ م ، أي منذ أكثر من أربعين سنة ، تعابير مختلفة تنمّ كلها

---

(١) هو أبو ذر الهروي الأنصاري المتوفى سنة ٨٣٤ هـ . كتابنا عروبة العلماء ... في المشرق الإسلامي ج ١ ص ٤٨٩ – ٤٩٠

(٢) هو حسان بن محمد الأموي المتوفى سنة ٣٤٩ هـ . كتابنا عروبة العلماء ... في خراسان ج ١ ص ١٩٠ – ١٩١

(٣) وفاته سنة ٦٠٦ هـ . وهو عربي من سلالة أبي بكر الصديق . كتابنا عروبة العلماء في إقليم الجبال . تحت الطبع .

(٤) وفاته سنة ١٦٨ هـ . كتابنا عروبة العلماء ... في خراسان ج ١ ص ١٢١

عن حبه للعرب وإعجابه بهم ، وبحضارتهم وثقافتهم بلْه الدين الإسلامي الذي بشروا به في العالم .

وإليك فيا يأتي مقتطفات من أقواله وآرائه التي دوّنها في الكتابين المذكورين عن العرب والعروبة والحضارة العربية ، مفتخراً أو مدافعاً ، أو مناقشاً للشعوبيين والمستشرقين مفنّداً لآرائهم بحجج ووثائق من تاريخ العرب أنفسهم ، أو بأقوال من آراء المستشرقين المنصفين الذين أنصفوا العرب والإسلام .

قال طيّب الله ثراه وعطر ذكراه :

كان الصحابة [١] « عظاماً في كل مظاهرهم حتى أدهشوا الأمم بجميل صنعهم ، وأنشأوا في نحو مئة سنة مملكة عظيمة لم يسبق لأمة قبلهم أن دانتهم في مثل ما تمّ على أيديهم » [٢]

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقال : « إن ما نقله العرب عن غيرهم من تراتيب الممالك معروف ومعترف به ، والإنصاف يقضي أن يُسجل لهم قسطهم من الأعمال المنبعثة مباشرة من قرائحهم المزينة بأخلاق عالية ، ما عهد ، فيا نظن ، مثلها كثيراً في الأمم السالفة ولا الخالفة » [٢] .

وقال : يقول دريول Driault « .. كان الفتح العربي في طرفي البحر المتوسط أعظم وأخصب من الفتح الروماني ، وقد دامت ممالكه قروناً ، وكانت مصانعه أعظم أثراً من مصانع رومية ، وما هي إلا عنوان

---

(١) كان عددهم (١١٤) مئة وأربعة عشر ألفاً .

(٢) الإدارة في عز العرب ص ٦

ثقافة عالية جداً . وقد كان لهم الأثر المشهور في إسبانية إلى آخر القرن الخامس عشر » [١]

ويقول بارتلمي سان هيلير . « تَدَمَّثَتْ نفوس قساة الطباع من سادة القرون الوسطى بملابستهم العرب وتمازجهم بهم وعرف الفرسان بدون أن يفقدوا شيئاً من شجاعتهم شعوراً أرق وأشرف وأعرق في الإنسانية من شعورهم » [٢] .

ويقول لوبون : « .. كان للمدنية الإسلامية تأثير عظيم في العالم ، وتمّ لها هذا التأثير بفضل العرب ، بل العناصر المختلفة التي دانت بالإسلام . وبنفوذهم الأدبي هذبوا الشعوب البربرية التي قضت على الامبراطورية الرومانية . وبتأثيرهم العقلي فتحوا لأوربا عالم المعارف العلمية والأدبية والفلسفية ، وهذا ما كانت تجهله . وعلى ذلك كان العرب أساتذتنا مدة ستمئة سنة » [٣].

ويقول لوبون أيضاً : حاول « رنان » أن يثبت عجز العرب ، في محاضرة ألقاها في جامعة السوربون عن الإسلام ، فنقض بيده كل مزاعمه ، فقد ذكر مثلاً أن ارتقاء العلم كان بفضل العرب خلال ستمئة سنة [٤] .

ونقل رحمه الله عن لوبون قوله : .. لأصحابنا كولد زيهر المجري وموركليوث الانكليزي ولامنس البلجيكي أقوال بعيدة عن محجة الصواب في الإسلام (وهناك) طبقة راقية تأخذ بمذاهب العلم والأدب وتفاخر

---

(١) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٢٠
(٢) ن . م الجزء الأول ص ٨
(٣) ن . م الجزء الأول ص ٩
(٤) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ١٠

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

إلى اليوم بمجد العرب وتاريخهم ، وتحرص على إحياء مدنيتهم ، ودراستها ، حرصها على إحياء كل علم نافع (١) .

وأنحى المرحوم محمد كرد علي باللائمة على أولئك الذين أصدروا أحكاماً جائرة على العرب ومدنيتهم فقال : « ومنهم من أعمى التعصب المذهبي بصره وبصيرته فكال الباطل كيلا ، وخاط وخبط تحت أستار العلم والبحث » (٢) .

وقال أيضاً : « إن من أعظم العابثين بتاريخ المسلمين المنكرين أثر العرب في الحضارة جماعة ... قد جعلوا همهم الأكبر .... تشويه بعض الحقائق الثابتة .... ومنهم ، بل من المقدمين فيهم ، مؤلف اسمه « لامنس » ، عاهد تاريخ الإسلام على مناقضته ، وتمحض للحط من قدر العرب منذ عرفوا بين الأمم (٣) .

ويذكر المرحوم محمد كرد علي الشعوبيين الذين ألفوا الرسائل والكتب ، وصنفوا المسامرات والخطب ، وراجت عندهم أسواق المادح والمقابح ، وناهضوا العرب في القديم والحديث وفي الشرق والغرب ، وقاموا ينقصون من حضارتهم وتاريخهم ، لأغراض في نفوسهم لا تخفى على أرباب البصائر . ويقول : لهؤلاء الشعوبيين طرق غريبة في الحط من العرب ، يتناولون فيها كل مسألة تؤدي مباشرة أو غير مباشرة إلى العبث بمزايا تناصرت الأخبار على تفرد العرب بها (٤) .

(١) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٢٤
(٢) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ١٤
(٣) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٣٠
(٤) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٣٥ — ٣٦

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويقارن محمد كرد علي بين المستشرقين المنصفين وغير المنصفين منهم فيقول : إن « لامنس » الشعوبي البلجيكي يسقط من شأن مؤرخي العرب كما يسقط من شأن علماء الافرنج ، وبراون الانكليزي يقول : إن كتب العرب في التاريخ أوسع الكتب وأدقها ، ويرى أن التاريخ في بعض المؤلفات العربية لم يكتب على نسقه في أوربا . ويذكر بالإعجاب ابن خلدون وابن الأثير ، والطبري ، والفخري وغيرهم . قال : وفي باب العلم والفلسفة والأخلاق نجد من المؤلفات مالا يوجد له مثيل [١] .

ويقول محمد كرد علي : شق على بعض الشعوبية أن تنسب مزيّة للعرب فسلبوهم كل فضائلهم المحسوسة الثابتة في الإسلام والجاهلية . وشق على آخرين ، وهم معترفون ضمناً بفضل العرب ، أن يقوم العرب بقسطهم من خدمة الحضارة . وينقل من كتاب « أخلاق المسلمين وعاداتهم » لگوتييه Gautier قوله :

http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد ثبت أن الفاتحين من العرب كانوا على غاية من فضيلة المسامحة لم تكن تتوقع من أناس يحملون ديناً جديداً ... وما فكر العربي قط في أشد أدوار تحمّسه لدينه الجديد أن يطفىء بالدماء ديناً منافساً لدينه [٢] .

وردّ على كارادفو [٣] (Carra de Vau)فقال : أخطأ في قوله : إن معظم مدنية المسلمين قامت بعناصر غير عربية . وقال أيضاً : فانه أن من دخلوا في الإسلام من الفرس والقبط والسريان

---

(١) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٣٨

(٢) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٤٢

(٣) اسم كتابه « المفكرون في الإسلام » Les Penseures de L,islame

والروم وغيرهم درسوا في مدرسة العرب وأخذوا لغتهم وثقافتهم ودينهم وعاداتهم . وإذا كان ابن سينا والغزالي والبيروني والرازي مثلاً أعاجم بأصولهم فهم عرب بتربيتهم وثقافتهم .. (١)

وحاول المرحوم محمد كرد علي أن يقتبس نبذاً من أقوال العلماء الغربيين في العرب فدوّن ما وافق رأيه في العروبة والعربية والإسلام ، فنقل عن كوستاف لوبون الفرنسي قوله :

« كان المسلمون من الشعوب الوحيدة التي حملت علم التمدن حقيقة ، وهم الذين فازوا وحدهم بنشر المواد الجوهرية من المدنية وأعني بها : الدين ، والمصانع ، والصناعة ، بين ظهوري عناصر جديدة من غير عنصرهم » . ثم قال وتساءل لوبون أيضاً بقوله : « هل من الواجب أن نذكر أن العرب ، والعرب وحدهم ، هم الذين هدونا إلى العالم اليوناني واللاتيني ، وأن الجامعات الأوربية ، ومنها جامعة باريس ، عاشت مدة ستمئة سنة من مترجمات كتبهم ، وجرت على أساليبهم في البحث . وكانت المدنية العربية من أدهش ما عرف التاريخ ... وإن العرب هم الذين مدّنوا أوربا في المادة والعقل والخُلق ... ومتى درس المرء ما عمل العرب ، وما كشفوه من العلم يثبت له أنه ما من أمة أنتجت مثل ما أنتجوا ..... ولئن كان تأثير العرب في الغرب عظيماً فإن تأثيرهم في الشرق أعظم . وما من عنصر أثّر تأثيره قط ..... وإن العرب أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين » (٢)

(١) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٥٢

(٢) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٥٤

وذكر عن أحد علماء ايطاليا - رينالدي - قوله : « لماذا لا نسمع كلمة إعجاب بالشعب العربي العظيم الذي ترك في طريق المدنية آثاراً عديدة ، والذي حمل معه أعظم المعاونات ، وأجلّ الخدم للنوع الإنساني ؟ » [١]

وقال بريس دافن الفرنسي في كتابه « الفن العربي » : « إنه بعد سقوط الدولة الرومانية لم يكن هناك شعب يستحق أن يعرف غير الشعب العربي ، وذلك أولاً لكثرة فحول الرجال الذين أخرجهم هـذا الشعب العظيم ، وثانياً لما أحدثته في العالم فنونه وعلومه من التقدم العجيب مدة قرون عديدة » [١] . ونقل عن كستلو قوله في كتابه قانون التاريخ : « كان التقدم العربي بعد وفاة الرسول عظيماً ، جرى على أسرع ما يكون ..... فنشأت المدنية الإسلامية نشأة باهرة ..... وقبض العرب بأيديهم خلال عدة قرون على مشعل النور العقلي ، وتمثلوا جميع المعارف البشرية التي لها مساس بالفلسفة والفلك والكيمياء والطب والعلوم الروحية فأصبحوا سادة الفكر ... » [٢] .

ونقل عن لوثروب ستودارد الأمريكي مؤلف حاضر العالم الإسلامي قوله : « ما كان العرب قط أمة تحب إراقة الدماء ، وترغب في الاستلاب والتدمير ، بل كانوا على الضـد من ذلك أمة موهوبة ، عظيمة الأخلاق والسجايا ، توّاقة إلى ارتشاف العلوم .... » [٣] .

ونقل عن كتاب إيقاظ الغرب للإسلام « لهيدلي » قول « ليونارد » : ولقد وصلت المدنية الإسلامية عند العرب إلى أعلى مستوى من عظمة العمران

(١) الاسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٥٥
(٢) » » » » » ٥٦
(٣) » » » » » ٥٨

والعلم فأحيت المجتمع الأوربي ، وحفظته من الانحطاط ، ولم نعترف – ونحن نرى أنفسنا في أعلى قمة من التهذيب والمدنية – بأنه التهذيب الإسلامي ، ولولا مدنية العرب ، وعلمهم ، وعظمتهم في مسائل المدنية ، وحسن نظام مدارسهم لكانت أوربا إلى اليوم غارقة في ظلمات الجهل ، وكيف ننسى الخسارة الفادحة التي جنيناها على آداب العرب ؟ بل الجناية التي جنيناها على العالم أجمع بتدميرنا عن جهل وغرور ألوفاً من كتبهم ... »[1] .

ونقل عن گوتيبه قوله : « إن محصول المدنية العربية في العلم على اختلاف أنواعه يفوق محصول المدنية اليونانية كثيراً ، ذلك لأن العيلم العربي كان له أصول قديمة »[1] .

وبعد : فهذا يسير جداً مما دوّنه (الأستاذ المرحوم) محمد كرد علي في دفاعه عن العرب ، والعربية ، والذبّ عن حضارتهم ، إما نقلاً عن كبار علماء الغرب المنصفين ، ومناقشة الشعوبيين منهم ، أو مما توصل إليه نتيجة دراسته الدائبة للدين الإسلامي والحضارة العربية ومزايا العرب والعربية . وقد رد بكل ذلك على منازع الناقمين على العرب والعروبة والإسلام . وإنك لترى أنه رحمه الله تعالى كان يتسقط الأخبار من أفواه العلماء ، ويلتقط كل ما هو حسن عن العرب ، ويدوّن كل صفة حسنة وصف بها العرب ، وينفي عنهم كل معيب وقبيح .

وإنني لسعيد جداً أن تتاح لنا هذه الفرصة لنكرر هذا الدرس البليغ الذي درسناه على هذا الأستاذ الكبير قبل أكثر من أربعين سنة ، وأن نحيي الذكرى المئوية لولادته ، وأن نكثر من الترحم عليه . فقد دافع عن الإسلام وعن العرب وعن لغة العرب ، وذب عن حضارة العرب ، وكان حقاً من علماء العرب الخالدين .

---

(١) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٧٢ – ٧٣

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

تحيـة دمشق (*)

الأستاذ حسن كامل الصيرفي

يا قلبُ هلّلْ وكبّرْ ! دمشقُ : جنّةُ عبقرْ
بدتْ لعينيَّ منهـا رغمَ السحابِ المكوَّرْ
مشاهدٌ مشرقاتٌ وأدوُرٌ تتنوَّرْ
ازيّنتْ وتحلّتْ في كل عضوٍ بجوهرْ
لها من المجد تاجٌ من البدور مضفّرْ
ولم تزل في قواها تطوي الدهورَ وتنشرْ
قدْ عشتُ فيها خيالاً مع «الوليدِ ابن بحترْ» (1)
يهفو اشتياقاً إليها في عهدِ «فتحٍ» و«جعفرْ» (2)
مصوِّراً مـا تبدّى منْ حسنِها ، وتأزّرْ
بريشةٍ حملتها يدُ صَناعٌ تُعبّرْ
باللفظِ حلّى المعاني من الرشاقةِ يخطرْ

(*) القصيدة التي استهل بها الأستاذ الصيرفي بحثه التالي عن الأستاذ كرد علي .

(1) إشارة إلى السنوات التي قضاها الشاعر في تحقيق ديوان البحتري .

(2) الفتح بن خاقان ، والخليفة جعفر المتوكل .

وجئتُها ذاتَ يومٍ والعودُ ما زالَ أخضرْ
ترى الحقيقةَ عيني مجلوةً دونَ مئزرْ
أرى الملائكَ فيها بين الأناسيِّ تظهرْ
أرى الطبيعةَ تزهو فنًا يشوقُ ويسحرْ
لوحاتُها رسمتْها يدُ القديرِ المصوِّرْ
والماءُ في بردَيْها كفضةٍ تتحدّرْ
والخيرُ في غوطتيْها على الأفانينِ منثرْ
تفاحُها كخدودٍ خجلى من اللثمِ تحذرْ
وكرمُها حانُ شعرٍ يدنو ليُجنى ويُعصرْ
والحورُ يعلو شموخًا على كواهلِ دُمَّرْ
والنيربانِ وشاحا فتاةٍ تتبخترْ
قد وُشّيا في اتساقٍ بالزهرِ غضًّا منوَّرْ
في كلِّ لونٍ بهيجٍ منهُ النسيمُ تعطّرْ
يا للجمالِ الموشّى بينَ الوشاحِ المحبّرْ
دمشقُ آيةُ مجدٍ تعزُّو السنينَ وتقهرْ
سماؤها في علاها تردّدُ «اللهُ أكبرْ» !
فوقَ المآذنِ تعلو تسبيحةٌ تتكرّرْ
وأرضُها وثراها تبرٌ ، ومسكٌ ، وعنبرْ
وأهلُها من تُقاهم وجهٌ منيرٌ منضّرْ
والشعرُ فوقَ لماهم يُصغي له كلُّ منبرْ
من كلِّ مبدعِ شعرٍ رنّى ، وغنّى ، وصوّرْ
وكلِّ كاتبِ نثرٍ يَسبي العقولَ ويأسرْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكلِّ صاحبِ فكرٍ ... في كل فنٍّ تبحَّرْ
وكلِّ عالمِ دينٍ ... هَدى السبيلَ ونوَّرْ
وللبطولاتِ سِفرٌ ... مع الخلودِ مُسَطَّرْ
من ثائرينَ أزاحُوا ... ليلَ الدخيلِ المُسَيطِرْ
لكنَّ أحداثَ يومٍ ... من القطيعةِ أغبرْ
قد حلأتني اعتسافاً ... عن سلسيلٍ مقطَّرْ
فعدتُ منها بقلبٍ ... من الأسى يتفجَّرْ
بزفرةٍ تتسعَّرْ ... ومُهجةٍ تتفطَّرْ
كآدمٍ وهو يُقصى ... عن الجنانِ وكوثرْ
كان انفصالاً ، ولكنْ ... لم يستطعْ أنْ يدمِّرْ
مشاعرَ الحبِّ فينا ... أو يستبدُّ ويأمرْ
دمُ العروبةِ فينا ... صافٍ ، وإن يتكدَّرْ
مهما اختلفنا فإنا ... أهلٌ ، وصهرٌ ، ومعشَرْ
بين الجوانحِ أنتمْ ... - رغمَ المسافاتِ - حُضَّرْ

* * *

وبعدَ عشرٍ وخمسٍ ... من السنينَ يُقدَّرْ
أنْ أستعيد خطايَ ... على ثراها المعطَّرْ
والشيبُ جلَّلَ رأسي ... والسُّقمُ فيَّ تجبَّرْ
لكنَّ قلبي شبابٌ ... لمَّا يشِبْ أو يَكْبَرْ
أرنو إلى كلِّ حُسنٍ ... باللحظِ وهو محيَّرْ
إنْ رفرفَ القلبُ خفقاً ... قام الحجى فتصدَّرْ
وإنْ تقدَّمتُ باعاً ... قالَ السَّقامُ : تأخَّرْ !

ما لِسقامٍ ومالي ! أنا على الحسنِ أسهرْ
الحسنُ كأسي وخمري أصحو عليهِ وأسكرْ !

* * *

« فيحاء » جئناكِ أسعى سعيَ الحجيجِ لِمَشعَرْ
شعري صلاةُ فؤادٍ من النفاقِ مطهَّرْ
نزلتُ في صبحِ فجرٍ من المؤاخاةِ أسفرْ
طوى الأشقاءَ فيهِ ليلاً كئيباً تعكَّرْ
جلاهُ عزمٌ وحزمٌ ل ِ وحافظٍ ، ول « أنور »
صِيدٌوا كفاحٍ مريرٍ من التعجرفِ بثأرْ
ودَيْدَبانا حفاظٍ لكلِّ شبرٍ مُحرَّرْ
وقائدا عزماتٍ إلى انتصارٍ مظفَّرْ
وكاتبا صفحاتٍ من الخلودِ ستُذكرْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

يا مجمعيّي دمشقٍ عن الوفاءِ أعبِّرْ
اختَرتموني ضعيفاً بين الشوامخِ أظهَرْ
في مجمعٍ - لرجالٍ بناةِ فكرٍ - مُوقَّرْ
اختَرتموني - حُفظتمْ - فجئتُ أسعى لأشكُرْ
والحرُّ إنْ أسرتهُ يدٌ ، فلنْ يتنكَّرْ
أسرتُموني فعفواً إذا بياني قصَّرْ !

محمد كرد علي

نموذج فريد في ريادة تحقيق التراث

الأستاذ حسن كامل الصيرفي

عندما بدأت المطابع العربية في الآستانة والقاهرة وبلاد الشام (كما كان يطلق عليها حينذاك) تدور في ريث وأناة في السنوات العشرين الأخيرة من القرن الماضي لتنشر على الناس بعض ذخائر التراث الفكري العربي على قدر طاقة تلك المطابع في ذلك الحين، وحين أخذت بعض دوائر الاستشراق في أوربا على عاتقها نشر طائفة مما تيسر لها جمعه من تراثنا المجيد، وقبل أن يحث القرن العشرون خطاه لتطلع شمسه بإشعاعاتها الجديدة غامرة الشرق باعثة فيه نهضة جديدة ووثبة فريدة ... كانت سماء دمشق الفيحاء عاصمة الأمويين ومسرح جولات العلماء والشعراء والأدباء الذين ملأوا الدنيا نوراً، تطل على الفتى الذي ولد — بعد أن مضى عام من الربع الأخير من القرن المنصرم — في مدينة دمشق وهو يحث خطاه ولما يبلغ بعدُ الرابعة عشرة من سنيّ حياته نحو ينابيع الثقافة ومناجم كنوزها ومخابيء دررها سعياً وراء الحصول على كتاب أو صحيفة مما تنشر تلك المطابع ليقضي ليله ساهراً مع أنجمه يلتهم في نهم وشغف ما في الكتاب أو الصحيفة غير مبالٍ بإضعاف نظره أو إرهاق بنيته، وحين يضع ما بين يديه ليستسلم إلى

سنة من النوم ، تراود خياله قبل النعاس وخلال النوم صورة الكتب وهي مصفوفة على الأرفف التي شاهدها في بيت زاره وهو في السادسة من عمره لا يفقه من أمرها شيئاً وقتذاك ، ولكنه تمنى وهو الطفل الساذج أن يكون له في المقبل من حياته مثل هذه الصفوف من الكتب .

وكان ثمة حلم آخر يراود خيال الفتى بعد أن كبر — بين حين وآخر — هو أن يستطيع بهذا الإدمان الدؤوب على الاطلاع في جلد عجيب والنهم الشديد إلى الاستزادة من كل طارف وجديد من العلم والمعرفة ، أن يشق — فيما بعد — طريقه إلى عالم هؤلاء الأعلام من رجال الفكر والأدب واللغة ليتسنم مقعده بين هؤلاء الأفذاذ ، وفي ذهنه مع هذا الحلم الكبير خيال آخر لا يبارحه لشخصية أعجب بها طفلاً وفتى وشاباً وشيخاً ، وحفظ لها في نفسه كل إجلال وتقدير ووفاء منذ رأى صاحب هذه الشخصية وهو يفد على مدرسته كمفتش ، فملك عليه حواسه ، واستولى عليه الإعجاب به ؛ فعاش هذا التلميذ حاملاً لهذا الأستاذ العالم هذا الإعجاب طيلة حياته وبعد وفاته .

كان هذا الفتى الذي لا تكاد المطابع أن تسد نهمه إلى القراءة الجادة هو « محمد كرد علي » أو « محمد فريد » ، كما أسماه أبوه ، والذي ولد منذ مائة عام أي في سنة ١٨٧٦ م . وكان هذا الأستاذ المفتش هو الشيخ طاهر الجزائري رائد النهضة العلمية في بلاد الشام [1] ، والذي انتقل إلى

(١) انظر الدراسة الواعية التي كتبها الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب وألقاها محاضرات على طلبة معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية ونشره المعهد المذكور في القاهرة سنة ١٩٧١

جوار ربه بعد حياة حافلة بكل مجيد من الأعمال في الخامس من كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٢٠ ، أي قبل وفاة تلميذه الوفي باثنتين وثلاثين سنة . والذي كان يقول عنه هذا التلميذ : « أستاذنا العلامة الشيخ طاهر الجزائري في هذه الديار كالأستاذ محمد عبده في مصر » .

* * *

ومشى الفتى بعد ذلك مع القرن العشرين المشرق خطوة بخطوة ، يتسع أفقه باتساع قراءاته لآثار أمراء البيان حتى يحقق حلمه الكبير فيتسنم بينهم مقعده المأمول ، كما تتسع رحاب البلاد لأدبه وعلمه ، وحين تضيق به بلده لظروف سياسية قاهرة ، تفتح له القاهرة صدرها رحباً ليعود إليها ثانية في إعزاز وتكريم ، فيشارك في تحرير الكثير من مجلاتها وصحفها ، ويلتقي فيها بطائفة من أعلام الفكر وقادة الرأي . ويصدر في القاهرة أوائل عام ١٩٠٦ مجلته « المقتبس » شهرية علمية أدبية على مدى ثلاث سنوات برزت فيها شخصية « محمد كرد علي ، المحقق المعنيّ بتراث العرب ، والرائد لنشر هذا التراث بطريقة علمية صحيحة ، إذ يعارض ما ينشره على عدد من النسخ حين يتهيأ له الحصول على ذلك . ويجمع طائفة مما نشر في مجلته من كنوز هذا التراث في كتاب يضم القسم الأول منها بعنوان « رسائل البلغاء » . وكما تبرز في هذا الكتاب شخصية المحقق العالم ، تبرز شخصية صاحب الذوق الرفيع فيما يختار للتحقيق والنشر . وبين هاتين الشخصيتين تتجلى شخصية هذا الرجل الوفي لأستاذه الشيخ طاهر الجزائري فيقدم في كتابه ما قام بتحقيقه أستاذه لكتاب « الأدب الصغير » لابن المقفع .

ويقدم الطبعة الأولى لهذا القسم ، المنشورة في القاهرة عام ١٣٢٦ هـ =

١٩٠٨ م بقوله : « خير ما يخرج لطلاب الآداب العربية في هذا العهد كلام أئمة البلاغة من أهل القرون الأولى . وقد وقع الإجماع على أن عبد الله بن المقفع وعبد الحميد بن يحيى الكاتب كانا من زعماء هذا الشأن ، وأن أسلوبهما أحسن أسلوب في إحكام ملكة البيان . كانت حِكَم ابن المقفع أول ما كتب لي الوقوف عليه من رسائل هذين الإمامين ، عثرت عليها في قسم المجاميع (عدد ١١٩) بدار الكتب المصرية في مجموع كتب سنة ٨٤٤ هـ فنشرتها في مجلة (المقتبس) ، ثم نشر فيه أستاذي العلامة العامل الشيخ طاهر الجزائري كتاب الأدب الصغير لابن المقفع أيضاً ظفر به في مجموع عند أحد أعيان بعلبك من بلاد الشام » .

ويختم هذه المقدمة بالكشف عن الهدف النبيل الذي يقصد إليه من نشر هذه النوادر من تراثنا الخالد بقوله : « وإني لأرجو أن تكون هذه الأوراق خير مثال يحتذيه المتأدبون في كتابتهم وأن يقع فيه المشتغلون بتاريخ الشرق واجتماعه على ما يتمم بعض الأحكام على الحضارة العربية ، وأن يستخدمها الدعاة لإصلاح الأخلاق خير ذريعة يعالجون بها أدواء النفوس ، فيكون منها عموم النفع كلما كررتها ألسن الأنام ، وكرت عليها الأعوام والأيام » .

على أن صورة المحقق المدقق والحجة الثبت مع التواضع الشديد الذي لازمه طيلة حياته وظهر في كثير من مقدمات ما نشر من تآليف وتحقيقات ، لتظهر واضحة جلية – وهو يخطو من حياته عامه الثاني والثلاثين – حيث يقول في مقدمة هذه الرسائل ، وقد هاله ما وقف عليه في مخطوطة كتاب « المنثور والمنظوم » لأحمد بن أبي طاهر المحفوظة بدار الكتب المصرية (عدد ٥٨٧) قسم الأدب – من أخطاء وتصحيف وتحريف :

ARCHIVE

« ولغلبة التحريف على كتاب المنثور والمنظوم[١] اضطررت مرة إلى حذف جمل برمتها والإشارة إليها أو أبقيتها على علاتها وأشرت إليها بعلامة استفهام إذا كان يفهم مع التحريف حاصل المعنى . إلا أن الغلط وقع في الأكثر في رسالة الصحابة وولي العهد واليتيمة »,... ثم يقول : « كنت أود لو قيض لي الرجوع إلى الأصل الذي نقلت عنه نسخة المنثور والمنظوم لأعارض عليها ما أنشره اليوم في هذا المجموع عساني أسقط فيها على ما فات الناسخ الثاني ، ولعل ما تعذر علي إثبات صحته من عبارات ذينك الصدرين المقدمين يتيسر لغيري من الباحثين العارفين فيرشدوني إلى أصل آخر أو يهتدون إلى وجه الصواب في هذا الكلم الطيب » .

وكان دستوره في تحقيقاته أن يثبت في المتن الرواية التي يعتقد أنها أقرب إلى الصحة أو ترجيح عنده أنها كذلك ، ويُبقي الاختلاف للحاشية ، وإذا أعجزه إثبات الصحيح في كلمة أو جملة أبقاها على حالها مع الإشارة إلى أنه توقف فيها ، ثم إصلاح بعض الأخطاء بالاستعانة بما تيسر له من المصادر ، وإبقاء ما لم يهتد إلى ما رسمه الناسخ متجنباً التخمين والاستنباط ما أمكن .

ولقد ظل هذا دأبه في السعي وراء الحقيقة ، وحث غيره - في هذا التواضع الجم - على البحث معه أو بعده ، والاهتداء إلى وجهها الصحيح السليم من كل شائبة . وهو خلق فريد في نوعه .

* * *

(١) ما ذكره الرئيس « كرد علي » عانينا منه نحن في الرجوع في تحقيقاتنا عند النظر في مخطوطة المنثور والمنظوم المحرفة تحريفاً غير معقول والكلمات الناقصة التي ترك ناسخها بياضاً في موضعها .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ونراه، بعد أن نشر لابن المقفع أيضاً «الدرة اليتيمة أو الأدب الكبير» بتحقيقه هو معارضةً على ست نسخ يقول — وقد وقع على يتيمة ثانية لابن المقفع كذلك — مظهراً لنا صورة العالم البصير والناقد الخبير بأساليب هؤلاء الأعلام، والمطلع على ما كتب الأقدمون عنهم، في سمت القاضي الذي يحكم عن علم وإدراك وروية في مثل هذه المشكلات:

«وقعت شبهة لبعض أهل العلم فيما إذا كانت هذه الرسالة المنشورة قبلُ هي اليتيمة بعينها، أم هي يتيمة ثانية لابن المقفع. ويزول هذا التناقض إذا لوحظ ما قاله إمام المتكلمين أبو بكر الباقلاني البصري المتوفى سنة ثلاث وأربعمائة، فإنه ذكر في كتابه إعجاز القرآن أن الدرة اليتيمة كتابان: أحدهما يتضمن حكماً منقولة، والآخر في شيء من الديانات. غير أنه يبقى هناك إشكال في أنه ليس في إحدى الرسالتين ما يتعلق بالديانات، كما قال الباقلاني. وإذا رضينا بالظن فنقول: إن هذا الاسم وضعه أناس لبعض رسائل ابن المقفع، ومن هنا نشأ الاشتباه فعددها الناظرون. ويبعد أن يقال إن ابن المقفع سمّى الرسالتين معاً باسم واحد لمخالفته في الظاهر لمقتضى الحكمة. ولو قلنا إنه سمّى إحدى الرسائل، فيبعد مع قرب عصر الناقلين عنه وقوع الاشتباه في المسمى مع شدة عنايتهم بجميع ما قال».

* * *

ثم نراه بعد أربعة أعوام من نشره للقسم الأول من «رسائل البلغاء» يعيد نشره من جديد في طبعة ثانية يقدم لها بقوله:

«نشرت القسم الأول من رسائل البلغاء وفيه ما عرف لعبد الله بن المقفع وعبد الحميد بن يحيى الكاتب من الرسائل والحكم لأول مرة سنة

١٣٢٩ ه = ١٩٠٨ م فوقعت موقع الاستحسان من رجال العلم والأدب وجهابذة الذوق السليم في كلام العرب ، وأقبل المتأدبون عليها حتى نفد المطبوع منها في مدة وجيزة . وها قد صحت العزيمة الآن على إعادة طبعها في هذا المظهر مضافاً إليه ثماني رسائل نادرة ُجمات القسم الثاني من الرسائل ، وكانت نشرت أيضاً في سني مجلة المقتبس السبع الأولى ، ومنها ما نشره كاتب هذه السطور [أي محمد كرد علي] ، والآخر لبعض مؤازري هذه المجلة من الأعلام . وقد نظر الأستاذ سليم أفندي البخاري الدمشقي في رسالة الأدب الصغير واليتيمة لابن المقفع وعلق عليها حواشي وفوائد ، ُمعظم الحواشي التي عليها هي له . وعارضتُ الأدب الصغير على الطبعة التي نشرها منها في العام الماضي (أي سنة ١٩١١ م) الأستاذ أحمد زكي باشا المصري معتمداً فيها على مخطوطين منها عثر عليها في إحدى مكاتب الآستانة وأثبتُّ في الهامش الاختلاف بين النسخة البعلبكية والنسخة الاستانبولية . أما الرسائل الأخرى فإن الرسالة العذراء لابن المدبر ورسالة ابن القارح هما مما أسعدني الحظ بنشره ، ورسالة ُملقى السبيل(١)

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) ضبط في كتاب « تعريف القدماء بأبي العلاء » (٤٣) : « ُملقَّى » بما يؤيد سكون اللام لأن القاف لم تشدد . ثم ورد هذا التعليق في الحاشية رقم (١) من تلك الصفحة : لأبي الربيع الكلاعي كتاب : « منابذة الأمل الطويل ، بطريقة المعري في ملقى السبيل » (انظر نفح الطيب ٢ : ٧٦٩) . وفي مكتبة جامع الزيتونة معارضة أخرى للحافظ الكبير محمد بن الأبار القضاعي سماها : « مظاهرة المسعى الجميل ، ومحاذرة المرعى الوبيل ، في معارضة ملقى السبيل » وهي برقم ٤٧٩٩ وضبطت فيها كلمة « ملقى » بضم الميم وفتح اللام وتشديد القاف المفتوحة . وفي مكتبة الأسكوريال برقم ٥١٩ معارضة ثالثة لذي الوزارتين محمد بن مسعود بن أبي الخصال الغافقي » . ثم ضبطت القاف مفتوحة =

لأبي العلاء المعري ورسائل الانتقاد لابن شرف القيرواني نشرهما الأستاذ السيد حسن حسني عبد الوهاب التونسي ، وكتاب العرب في الرد على الشعوبية لابن قتيبة نشره الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي ، ورسالة رشيد الدين الوطواط والمنتخب من عهد أزدشير في السياسة نشرهما الأستاذ أحمد بك تيمور المصري ، وكتاب الأدب والمروءة لابن جناح الربعي نشره الأستاذ الشيخ طاهر الجزائري الدمشقي » .

وها هو يرينا هنا صورة أخرى يتجلى فيها حرصه على الاقتراب بعمله وعمل أستاذه من درجات الكمال بقدر مايستطاع — والكمال لله وحده — ثم هو لايغمط عمل إنسان أو جهده فهو يذكر ما بذل سليم البخاري في إعادة النظر في الأدب الصغير الذي حققه طاهر الجزائري ثم لا يقف عند ذلك فيعاود هو النظر فيه على ضوء مارجع إليه أحمد زكي باشا من مخطوطات أخرى ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثم يرينا في هذه الصورة كذلك جانباً من جوانب خُلُقه الكريم هو روح التعاون وعدم الأثرة حين يذيع على الناس مانشره طائفة من

= غير مشددة في صفحة ٥٣٨ .

وقد أشار الأستاذ محمد سليم الجندي في كتابه « الجامع في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره » (٩٠٢) إلى معارضة ابن الأبار وضبط كلمة « ملقى » بضم الميم وفتح اللام وتشديد القاف المفتوحة في اسم هذه المعارضة .

ولكن الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب ناشر « ملقى السبيل » لم يشر إلى ضبط الكلمة وتركها غفلاً إلا من ضمة فوق الميم . (انظر رسائل البلغاء ص ٢٨٣ الطبعة الثالثة) .

المحققين الأعلام في مجانّه « المقتبس » من تحقيق بعض الرسائل النادرة فيضمّها إلى مجموعته .

* * *

ويجيء في الطبعة الثالثة التي نشرها سنة ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م في القاهرة أيضاً - وهذا وفاء كريم منه للبلد الذي احتضن الطبعتين الأولى والثانية ، والوفاء طبيعة فيه - وقد أضاف إلى هذه الطبعة « يتيمة السلطان » لابن المقفّع بتحقيقه هو ، وهي ممّا لم تظفر به الطبعتان السابقتان من آثار ابن المقفّع التي نشرها فيها . قال عنها إنها « رسالة بين مجموع مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية برقم ٦٧٢ مجاميع ، وهي في نحو من ثماني عشرة ورقة بخط فارسي مجوّد ، ولا يعرف لها تاريخ كما ليس بها إشارة إلى الأصل المنقولة عنه ، وهي غير كاملة كما يدلّ على هذا ختامها ، وبين عبارات هذه اليتيمة ماجاء بلفظه فيما سبق لابن المقفّع أو في ثوب من اللفظ قريب منه . أما عن صحة نسب الرسالة إلى ابن المقفّع فذلك شيء لم يُعنِنا عليه ما كان بين الاختيار والطبع من زمن قصير . وها هي ذي الرسالة بين يدي الباحثين منشورة بعد أن كانت مطمورة ، وهم على الأيام شركاؤنا في التعقيب والبحث » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثم يضيف إلى هذه الطبعة الجديدة رسالة أخرى هي « قانون البلاغة » لأبي طاهر محمد بن حيدر البغدادي المتوفّى سنة ٥١٧ هـ ، وهي مما نشره المجمع العلمي العربي [مجمع اللغة العربية حالياً] في المجلد السابع من مجلته وشفعها بما نشره في هذه المجلة الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي الهندي عن كتاب « جاويدان خيرد » . وتبعها بما نشره في المجلد الرابع من مجلة المجمع أيضاً من رسالة « تهذيب الأخلاق » ليحيى بن عديّ ، وكان بعض

القدماء نحلها للجاحظ . وأتبَعَ حيكَمَ ابن المقفَّع المنقولة من كتاب الأدب بحكمٍ أخرى له جاءت في مخطوط كتب سنة ٥٥٧ هـ ذكر فيه أنه كتاب « الأدب الصغير لأبي عَمْرو عبد الله محمد بن المقفع » ، ثم بيتيمة له . وشرح مافاته وفات غيره التعليق عليه في الطبعتين السابقتين .

وهذه أيضاً سُنَّةٌ سنَّها الأستاذ محمد كرد علي — رحمه الله — وسار عليها المجمع الموقَّر في سنوات سابقة حيث كان يعيد طبع ما نشر بعض العلماء الأجلاء من تحقيقات في المجلة لنوادر من التراث ... ولعل المجمع الموقَّر يعيد نشر الكثير مما تضمَّنه المجلة في سنواتها الطويلة المثمرة كرسائل منفردة ، أو كرسائل مجموعة ، سيراً على سُنَّة الأستاذ الرئيس الأول ، فإن مانشر على حدة أصبح في حكم المخطوط النادر ، وما نشر في متن المجلة قد لا يعلم به إلا قِلَّة من الأدباء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

إن هذه الملامح التي عرضناها من خلال أول عمل شرع فيه العلامة الجليل الأستاذ « محمد كرد علي » في ميدان التحقيق ، وأوضحنا منها دستوره الذي عمل بأحكامه ، لهي صورةٌ متميزة ونموذجٌ فريد لمحقق رائد أفنى حياته في خدمة اللغة العربية حتى أنشأ لها مجمعاً خالداً على الزمن — بإذن الله — وهو أقدم المجامع العلمية الرسمية في العالم العربي يقترب الآن بخطاه الواسعة من سنواته الستين ، وأنشأ له مجلة جديرة بالتقدير والاحترام جاوزت عامها الخمسين ، وهما يحتضنان التراث العربي أكرم احتضان ويحنوان عليه أعظـم حنان ، كما أقام مكتبة قيِّمة ضمَّت الألوف من المؤلفات والمراجع والمخطوطات .

وإن هذا النهج السليم الذي سلكه هذا العالم الجليل — بهذه الملامح

الكريمة لم يَخلُ منه كتاب من الكتب الخمسة التي حققها ونشرها بعد « رسائل البلغاء » ، وهي :

١ - « سيرة أحمد بن طولون » لأبي محمد عبد الله بن محمد المديني . طبع في دمشق سنة ١٣٥٨ ﻫ = ١٩٣٩ م .

٢ - « المستجاد من فعلات الأجواد » لأبي علي المحسِّن بن علي التنوخي . من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٣٦٥ﻫ = ١٩٤٦ م

٣ - « تاريخ حكماء الإسلام » لظهير الدين البيهقي أبي الحسن علي ابن زيد من سلالة خزيمة بن ثابت الملقب بذي الشهادتين صاحب رسول الله ﷺ . وهو غير البيهقي المحدث والبيهقي الأديب . من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٣٦٥ ﻫ = ١٩٤٦ م .

٤ - « كتاب الأشربة » لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة . من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٣٦٦ ﻫ = ١٩٤٧ م .

٥ - « البيزرة » تأليف بازيار العزيز بالله الفاطمي . وكان هذا الكتاب آخر عمل علمي قام به الفقيد العظيم وأشرف عليه وكتب مقدمة له تاريخها ٢٢ ذو القعدة سنة ١٣٧١ ﻫ = ١٢ آب (أغسطس) ١٩٥٢ م . وتم طبعه بين منشورات المجمع العلمي العربي سنة ١٣٧٢ ﻫ = ١٩٥٣ م بعد انتقاله إلى رحاب ربّه الكريم في الثاني من نيسان (ابريل) ١٩٥٣ م .

وهو في هذه الكتب الخمسة لم يَحِدْ قطُّ عن هذا المنهج السليم ، ولم يُغفل لإنسان أعانه في عمله ذِكرَ هذا العون ... وهذا خلق العالم الكبير ، والرائد الخبير ، والحجة القدير ، والناقد البصير .

وإن هذا الوفاء الذي ألمعنا إليه حين أشرنا إلى وفائه لأستاذه الشيخ طاهر الجزائري، وأشرنا إليه في طبعه «رسائل البلغاء» ثلاث طبعات في القاهرة، وفاءً لمدينة القاهرة التي عاش فيها فترة من الزمن ... هذا الوفاء هو من أبرز صفات هذا الرجل العظيم المتعدد المواهب والجوانب، فلقد امتد هذا الوفاء فشمل الأعلام من الأدباء والعلماء والمؤرخين والحكماء - على اختلاف عصورهم ومواطنهم - والذين عاش مع آثارهم منتفعاً بعلمهم، متشرباً أساليبهم، مُحيياً تراث بعضهم أو دافعاً غيره لإحيائه، حيث سجل تواريخ حياتهم في كتابيه: «أمراء البيان» الذي نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة في جزءين سنة ١٩٤٨، و«كنوز الأجداد» الذي نشره المجمع العلمي العربي سنة ١٩٥٠ ... كما شمل هذا الوفاءُ الوطنَ الذي ولد تحت سمائه وفوق بطحائه واستمد حياته من غذائه وفيض مائه، وتقلّب في نعمائه، وتلقّى العلم على نوابغ أدبائه وعلمائه، وتربّع على مناصبه العلمية ومراكزه الثقافية، فألف ونشر من أجله مُعلّمته التاريخية «خطط الشام» في ستة أجزاء(١)، ثم سجل تاريخ «غوطة دمشق» التي

(١) ذكر المرحوم الأستاذ الدكتور سامي الدهان في «مجلة المجمع العلمي العربي» (ص ٢٤٥ من المجلد الثلاثين. الحاشية رقم ٢) أنه قرأ في الكلمة التي ألقاها الأمير مصطفى الشهابي لحفل استقباله عضواً بمجمع اللغة العربية في مصر إشارة إلى هذا الكتاب يقول فيها عن الأستاذ الرئيس: «وقد ذكر لي مرة أنه لم يبق له في الحياة إلا أمنية واحدة وهي أن يتاح له طبع هذا الكتاب طبعة ثانية منقحة».

فلعل المجمع الموقر يعمل على تحقيق أمنية منشئه، وأن يضاف إلى أجزائه =

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أحيا، ونشره له المجمع العلمي العربي بدمشق سنة **١٩٥٢** . وشجع محققين آخرين ونشر لهم تحقيقاتهم عن « **فضائل الشام ودمشق** » للربعي ، و « **تاريخ مدينة دمشق** » لابن عساكر ، و « **تاريخ داريا** » للقاضي عبد الجبار الخولاني ، وغير ذلك .

* * *

رحم الله الفقيد العظيم ، وجزاه الجزاء الأوفى عما قدم للأمة العربية ولغتها وآدابها وعلومها وتاريخها وأعلامها من جهود باقية على الزمان ، لا يمسها جحود أو يأتي عليها نسيان . ورفع قدره في أخراه ، كما رفع قدره في دنياه ، وأبقى في العالمين ذكراه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

= السنة ما كان قد نهضت به اللجنة التي تشكلت لوضع معجم خطط الشام مشفوعاً بالمصورات لتتم الفائدة من هذا الكتاب القيم . ويقدم هذا كله تحية لروح الفقيد العظيم في إحياء ذكراه .

تحية إلى روح الأستاذ الرئيس محمد كرد علي

الدكتور عيسى الناعوري

حين يخطر على بالي اسم المغفور له محمد كرد علي، يسبق اسمه إلى خاطري لقبُ «الشيخ الرئيس». ولست أدري - أو لعلي أدري - لماذا يقترن هذا اللقب القديم - الذي عُرِف به ابن سينا وحده في الماضي - باسم محمد كرد علي كذلك، فأراه لا يقلّ جدارة به عن شيخ العلم القديم، الطبيب الرئيس ابن سينا.

وحين أفكر في الجوانب العديدة التي اشتهر بها الشيخ الرئيس محمد كرد علي، أراني لا أدري أيها أعظم وأجدر بالتقدير والتكريم في هذه الذكرى المئوية لولادته، التي أحسنَ مجمعُ اللغة العربية الدمشقي صنعاً في الاحتفاء بها: أهي مؤلفاته العديدة؟ أم هي «خططه» الشامية الشهيرة؟ أم هي تأسيسه للمجمع العلمي العربي في دمشق، وإدارته ورعايته له - بين العواصف الهوج - حتى وفاته؟ أم هو فكره الحكيم المتزن، وتواضعه الجمّ، وأخلاقه الرفيعة؟ أم هو حفاظه على لغة الضاد - لغة القرآن الكريم، ولغة القومية العربية، وما عمله من أجل بعثها وإحيائها، واستعادة زهوها وقوتها ومكانها في حياة القرن العشرين؟

كل هذه جوانب، لا تدري أيها أجدر بالتقدير والتكريم، ولكنها كلها بالتقدير أكثر من جديرة.

الجيل الذي جاء فيه « الشيخ الرئيس » محمد كرد علي كان جيلاً عظيماً : واجه المواصف الماحقة للعروبة ولغتها العزيزة بإيمان الجبابرة ، وصمد لها صمود الرواسي ؛ فحفظ اللغة العربية من التتريك ، والفرْنسة ، والتَّكلُّنز ، وردَّ سفينتها إلى شاطىء السلامة ظافرة منتصرة . وكان كرد علي جباراً من أولئك الجبابرة ، وصخرة من تلك الصخور الراسية التي تحطمت عليها الأنواء الهوج ، ولم تتأثر بها ، ولا بهجماتها العنيفة المستمرة .

جهاد الشيخ الرئيس من أجل تكوين المجمع العلمي الدمشقي ، ومن أجل استمراره ، ومن أجل جعله ضرورة ملحة ، وشعلة وهاجة ، لا مجرد مجلس يجتمع فيه شيوخ للدردشة وقتل الوقت ، كل هذا معروف مشهور ، وفضل محمد كرد علي فيه لا ينكره منكر ، ولست بسبيل أن أفصل ذلك ، فإن هنالك من سيفصله غيري ممن رافقوا الشيخ الرئيس في عمله المجمعي ، وممن عرفوا جهاده وجهوده ، وممن قبسوا من علمه وفضله ، فهم به أعرف وأدرى ، وهم أقدر على أن يقولوا فيه كلمة الحق التي يستحق ، للتاريخ وللعلم ، ولإعطاء الحق لذويه . ولكنني مع ذلك أود أن أذكر بالتقدير العميق أنه ، لولا فضل الشيخ الرئيس محمد كرد علي ، فلربما ظل مجمع دمشق حيث توقف بعد فترة قصيرة من إنشائه ، هي فترة تأسيسه الأولى ، عندما عُطِّل عمله في نهاية شهر نوفمبر ١٩١٩ ، « بصرف رئيسه وخمسة من أعضائه من وظائفهم ، توفيراً لرواتبهم ، واكتفى بعضوين إداريين للقيام بالإشراف على داري الكتب والآثار » — كما يقول الدكتور عدنان الخطيب في كتابه (مجمع اللغة العربية بدمشق في خمسين عاماً) الذي صدر عام ١٩٦٩ في منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق .

لعله كان من الممكن أن يظل المجمع واقفاً عند ذلك الحد، بسبب العواصف السياسية والاقتصادية التي كانت الحكومة العربية الفيصلية يومئذ تدور وتلف في قلب دوامتها، وفي ظل الخوف من المستقبل الذي كان على كف عفريت من مؤامرة سايكس بيكو، والتهديد الفرنسي بغزو سوريا، لولا أن «عُهِدَ بتاريخ ٧ أيلول «سبتمبر» ١٩٢٠ إلى الأستاذ الرئيس محمد كرد علي بوزارة المعارف، فأعاد الحياة والنشاط إلى المجمع العلمي ... وعاد المجمع العلمي العربي يسير بخطى حثيثة، بجهود رئيسه العظيم، الذي كان يدعمه بنفوذه الأدبي العميق، وبسلطات الحكومة ...» — كما يضيف الدكتور عدنان الخطيب كذلك، وكما يعترف بعدئذ بأنه «لم تمض عشر سنوات على تأسيس المجمع العلمي العربي بدمشق، حتى أصبحت هـذه المؤسسة، الفريدة من نوعها في العالم العربي، صرحاً شـامخاً.. ملأ أسماع الناس، من عرب ومستشرقين.. وكلُّ ذلك بفضل جهود الأستاذ الرئيس محمد كرد علي، وما عرف عنه من همة عالية، وحيوية فائقة، وبفضل الصلات التي أحكمها مع أكابر العلماء وأهل الفكر من مختلف الأمم والشعوب ...»

كان اهتمام محمد كرد علي بتأسيس المجمع، ثم باستمراره رغم كل شيء وكل عائق، نتيجة لشعوره بالحاجة الماسة إليه. كان (التعريب) يومذاك ضرورة قومية قصوى – كانت (العثمنة) هي السائدة في لغة المدارس، ولغة الدوائر الحكومية، ولغة الحياة العامة. وكان العثمانيون قد خرجوا من الأرض العربية، وعاد الحكم العربي والروح العربية يحتلان مكانها فيها؛ فلم يعُد من الممكن أن تظل تتعايش على الأرض العربية (العثمنة) الماضية، والروح القومية العربية. واللغة العربية كانت دائماً، وما تزال،

وستبقى ، أهم عنصر يربط العربي بالعربي ، ويُبقي جذوة العروبة مشتعلة في الصدور . وكان لا بد إذن من (التعريب) . وكان مجمع دمشق ، برئاسة محمد كرد علي ، وبهمته ، وبدأبه ، وبجهوده الشخصية ، معقد الأمل في عملية (التعريب) – أو عملية رد العربية ، ورد العروبة ، إلى مكانها الأصيل ، وإلى أهلها الأقحاح ، فبذلك تبعث القومية العربية بعثاً حقيقياً . وكان لا بد من السرعة في عملية التعريب هذه . واستطاع المجمع الدمشقي في زمن قصير أن يؤدي رسالته في الإحياء اللغوي والقومي بأكثر مما كان ينتظر منه .

وزالت العثمنة عن لغة الدواوين ، ولكن جاء عنصر غريب آخر ، هو الحكم الفرنسي الاستعماري ، الذي حاول بدوره (فرنسة) كل شيء عربي ، مثلما فعل من قبل في أقطار المغرب العربي : تونس ، والجزائر ، والمغرب . وكان على مجمع دمشق وللشمية في تلك الفترة بمجمع محمد كرد علي ، فلن يكون في ذلك مبالغة ، ولا خروج على الواقع ، ولا تجنٍ على زملاء محمد كرد علي ورفاق جهاده ، وكلهم للتقدير والتعظيم والفضل أهل – كان على مجمع محمد كرد علي ذاك أن يقف طوداً شامخاً ، يحول دون هذه (العجْمنة) الجديدة . وقد أفلح أكثر مما كان ينتظر منه .

أتراني بما أقول أكرّم مجمع دمشق في ذكرى مؤسسه المثوبة هذه ، أم تراني أكرم المؤسس نفسه في ذكراه ؟

كلاهما جدير بالتكريم ، فقد اقترن كلاهما بالآخر في تلك الفترة اقتراناً لا يجوز معه الفصل بينهما : بين المجمع والمؤسس .

فلكليهما أطيب التحية في هذه الذكرى الغالية على قلب الضاد ، وعلى قلب العروبة الشريفة المناضلة لأجل حياة أفضل وأرسخ جذوراً .

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

النـــدوة الثانية (*)

قصة المذكرات (١)

الدكتور عدنان الخطيب

- ١ -

تاريخ كلمة بين الأصالة والتوليد

يقول أرباب المعجمات : الذال والكاف والراء أصلان عنهما يتفرع كَلِم الباب ، أحدهما : ذكرتُ الشيءَ : خلافُ نسيتُه ، وذكرته ذِكراً وذُكراً وذِكرى وتذكاراً : حفظتُه واستحضرتُه وجرى على لساني ، وما يجري على اللسان بين الناس ، قد يدوِّنه البعض في قرطاس .

وذكرَ الشيءَ : عابَه ، والناسَ : ذكر عيوبَهم ، **والتذكُّر : ذكر الشيء بعد نسيانه** ، والاستذكار : الدراسة للحفظ . والذاكرة عند المولدين : قوة من قوى العقل تبعث على استذكار المعلوم في الذهن ؛

(*) أقيمت في قاعة نقابة المحامين بدمشق مساء يوم ١٧ تشرين الثاني ١٩٧٦

(١) كتب الدكتور عدنان الخطيب بحثاً مطولاً عن « مذكرات محمد كرد علي » تحت عنوان « قصة المذكرات كاملة » وقد حال ضيق الوقت في ندوات الاحتفال دون قراءة القصة كاملة ، فاجتزأ منها بالمقدمة التي تنشر هنا ، وستنشر كاملة في كتاب مستقل .

وعند الحكماء : قوة تحفظ ما تدركه القوة الوهمية من المعاني وتذكرها؛ وعند الفلاسفة : القوة التي تدرك بقاء ماضي الكائن الحي في حاضره . والمذكِّرة : **ما تحفظه أو تدونه ليذكِّرك أو تبعث به ليذكر غيرك** ، أي لتجعل الذاكرة تعمل عملها .

وفي مصطلح المترجمين **المذكِّرة** : ما يعبر عنه بالافرنجيـــة بكلمة Note حيناً ، وبكلمة Mèmoire أحياناً . وعند رجال القانون : بيان مجمل أو مفصل يقدم إلى القاضي **تشرح فيه بعض المسائل القانونية أو تفند فيه مزاعم** أو بيانات الخصم ، وقد تطلق على أمر يصـــدره القاضي لينفذ .

خلق الإنسان نسيّاً ، يحفظ شيئاً وينسى الكثير ، والناس مذ عرفوا الكتابة ، بدأ أفراد منهم يحفرون الحروف والرموز ليذكروها أو أو يذكرها من يمرّ بها ، ثم أخذ آخرون يثبتون حادثاً أو يجلون غامضاً كي لا يُنسى ، وقام علماء يؤرخون للعظائم ، وارتد بعضهم يسجل ما سمعه عن ما جرى منها **لينتفع الناس بذكراه** .

وصف كثيرون رحلات قاموا بها ، ودوّن كثيرون معلومات جمعوها يوماً فيوماً أو كلما حصلوا عليها حفظاً لها من الضياع ، **جرى هذا في الشرق وفي الغرب** ، وكان المؤلفون هنا وهناك يُعنْوِنون كتاباتهم ، بأسماء تدل على الموضوع الذي كتبوا فيه أو تبين عن الدافع إليه أو ترمز إلى الغاية منه ، وكان من أجلّ كتب التراث ما عنْوِن بـ « **السيرة** » أو دون في « **السيَر** » ، كما كان مما وصل إلينا من كتب ما أطلق عليه اسم « **التذكرة** ».

وفي الغرب ترك كثير من الكتـاب والأدباء مدونات تحت أسماء

ARCHIVE

رسم الطابع التذكاري الذي صدر بمناسبة الاحتفال بمرور مئة عام
على مولد الأستاذ الرئيس محمد كرد علي

(تصميم الفنان عزيز إسماعيل)

مختلفة مثل « **خواطر** » و « **اعترافات** » و « **أسرار** » و « **قصة حياتي** » و « **مذكرات قضائية** » كما شاع لدى رجال السياسة تدوين ذكرياتهم ولا سيما بعد الحروب الطاحنة أو المعارك الفاصلة ، يفندون فيها ما قاموا به من أعمال أو يشرحون الملابسات التي اكتنفت بعض مواقفهم فدفعتهم إلى سلوك معين أو إجراء مستغرب ، مطلقين على ما دونوه اسم « Mèmoires » ، وما كادت الحرب العالمية الأولى تضع أوزارها حتى عكف كثير من الرؤساء والوزراء والقواد الذين حكموا بلادهم خلال الحرب على تدوين الحوادث التي شاركوا فيها وعرض الأسباب **التي يرونها تسوّغ لهم ما فعلوه** ، ونقلت إلى العربية عشرات من الكتب تحمل كلها تقريباً اسم « المذكرات » .

فكيف طغت لفظة Mèmoires لدى الافرنسيج **على غيرها من الكلمات التي** كانت شائعة قبل **زمن ليس** ببعيد ، ومن أين جاء المترجمون بلفظة « مذكرات » ، ولماذا اختاروها دون غيرها من ألفاظ عربية ؟ . ولماذا فضلوها على لفظة « **ذكريات** » التي نرى لها حتى اليوم أنصاراً يجبون لها أن تحتل عناوين كتبهم ؟.

لقد مرّ على البشر زمن كانوا فيه إذا ما تنازع اثنان **منهم على حق** قنما ، **وأحدهما مكره طبعاً** ، بتحكيم القوة بينهما ، فيتبارزان أمام الناس بالشائع من السلاح ، ويغدو الحق لمن غلب ، ثم أصبح **للمهارة في المبارزة أثرفي إنهاء الخصومة بين المتنازعين** ، وعندما تولى القاضي في الدولة الحكم في المنازعات بين الناس ، غدا الخصمان يتبارزان أمامه **بمساعدة من يتقن عرض النزاع ويحسن البيان عن أوجه الحق لدي**

موكله ، يقارع خصمه بالحجج ويجبهه بالنصوص معتمداً على نصاعة الأسلوب وفصاحة الكلام .

وهكذا وسمت المحاكمات في العصور الحديثة بطابع المبارزة ، غير أن السلاح فيها أصبح : علماً من القانون ، ومهارة في العرض ، وروعة في البيان ، وكان على المترافع أمام القاضي أن ينهي كل هذا برقعة Mèmoire يدون فيها خلاصة ما قال ، ويوجز فيها أهم ما أطال في شرحه ، لتكون سنداً يستعين به الخصم للردّ ، وتذكرة للقاضي تلمّ له أطراف النزاع قبل أن يقطع بالحق .

وشاعت كلمة Mèmoire في البلاد العربية مذ تسربت إليها تشريعات الفرنجة وأصول التقاضي لديهم ، مترجمة بلفظة « مذكرة » .

وأحب المشتغلون بالسياسة ـ ومضى وقت كان أكثر هؤلاء في الشرق كما في الغرب ، من رجال القانون ـ إثباتَ ملخص ما جرى في مفاوضات اشتركوا فيها أو تدوين ما وقع في اجتماعات حضروها ، في « مذكرات » تحفظ المعلومات التي عرفوها وحقائق ما شاركوا فيه ليتمكنوا من الرجوع إليها إذا ما دعت إلى ذلك مصلحة ما ، ثم أخذ نفر من رجال السياسة يتابع تدوين ذكرياته حتى كانت كتب كاملة تحمل اسم « مذكرات » فيها قصة كاملة لموضوع عام أو تاريخ حقبة من الزمن يحكي سيرة كاتبه من خلال الحوادث التي كان بطلاً لها أو مشاركاً فيها .

ولم يقتصر تدوين « المذكرات » على رجال السياسة ، بل كان للقضاة والأطباء ، فضلا عن الأدباء والصحافيين ، نصيب كبير في تدوين الذكريات حتى غدا ما يسمى بـ « أدب المذكرات » أدباً عالمياً مرموقاً

في مختلف الفئات ، يتهافت الناس على قراءته للتمتع بما يتضمنه من أفكار أو بيان رائع ، أو للاطلاع على تراجم ذاتية قيمة ، أو لمعرفة حقائق سياسية مستورة ، أو وثائق تاريخية مجهولة ، وبعض المذكرات كانت تتضمن كل هذا أو بعضه .

إن المذكرات ، بصورة عامة ، ذكريات شخصية تحمل في الغالب بأسلوبها أو روحها الطابع المميز لكاتبها ، ويمكن تصنيف المذكرات في ثلاث فئات .

الأولى : يجمعها وصف « المذكرات السياسية » وهي مفيدة لتأريخ فترة من الزمن أو لتفسير حوادث وقعت خلالها ، وقد لا يكون الهدف من تدوينها إلا الدفاع عن سلوك قام به صاحبها أو عن رأي ارتآه خلال تلك الحوادث ، أو رد تهمة ألصقت به .

الثاني : مذكرات اجتماعية ، وأصحابها يهتمون عادة بتصوير عيوب الناس أو شرح مزايا فيهم ، رغبة منهم في إصلاح المفاسد ، أو محاولة لتطوير مجتمعاتهم أو النهوض بها .

الثالثة : المذكرات الأدبية ، وقد تتضمن سيرة ذاتية لأصحابها ، مفصلة واضحة أو موجزة ، لا يلتزم بالتتابع في حوادثها ، وكثيراً ما يستخدم بعض الكتاب في مذكراتهم الأدبية الخيال أو الرموز لغايات قد لا يصرحون بها تاركين إدراكها للقراء .

هذا وفيما نشر من مذكرات ، ما يصعب تحديد انتمائه إلى إحدى هذه الفئات ، وفيها ما قد يكون مجرد انطباعات وذكريات سجلها الكاتب حتى لا تنسى ، وهي تتضمن بعض ما في الفئات كلها مرتبة أو غير مرتبة .

- ٢ -

المذكرات بين التأريخ والادب

قلم الأديب حرٌ طليق ، أما قلم من يتصدى لكتابة التاريخ ، فيجمع العلماء على وجوب اتصافه بـ « **العدالة** » لا تحرفه عن تدوين الحقيقة رغبة ولا رهبة ، ولا يثنيه عن قولة الحق هوى ولا ميل ، **يسجل الحقيقة غير متزيد فيها ولا متستر على شيء منها** ، وهم يشترطون فيمن يؤرخ للعصر الذي يعيش فيه « **الانصاف والتجرد** » ، حتى إن بعضهم يوصي المؤرخ بالابتعاد عن كل ما من شأنه أن يشكك في عدالته أو يريب **في إنصافه** ، فلا يسرف في مدح من يحب ولو كان فاضلاً ، **ولا يشتط في نقد** من يكره ولو كان سيئاً .

أما من يتصدى لتدوين ذكرياته ، فشأنه غيرُ **شأن المؤرخ** ، **فلا يمكن أن يطالبَ امرؤ يترجم لنفسه ، أن يتجرد عن عواطفه فيعدد مثلاً مثالبه الشخصية ، ويكشف للناس عما جبل عليه من مطامع ، أو ينقد تصرفاته وسلوكه ، ولكن إن فعل فهو حرٌ !**

كما أنه لا يمكن أن يطالب امرؤ يدون ذكرياته أن يسجل الحقائق كما رآها مبغضوه أو خصومه ، فالمرء لا يلجأ عادة إلى كتابة مذكراته أو تدوين سيرته الذاتية إلا ليبين عن حقيقة قد ينكرها الناس أو يجهلونها ، أو ليكشف عن الحقائق كما رآها بنفسه ، أو يشير إلى الأسباب التي مكنته من رؤيتها ، أو ليسجل مشاعره إزاء بعض الحوادث أو صانعيها .

إنما يشترط فيمن يدون « المذكرات » **الصدق والانصاف ؛ الصدق**

فيما يرويه أو ينقله ، والانصاف مع من يكرههم فلا ينحلهم رأياً لم يرتأوه ولا يزور على لسانهم كلمة لم يتفوهوا بها ، ولا يتهمهم بفعل هم منه براء ، فإن التزم بهذا الشرط تغدو مذكراته من الوثائق التي يمكن المؤرخين أن يعتمدوا عليها .

- ٣ -

ثلاثة نماذج من أصحاب المذكرات

عرفت سورية في تاريخها الحديث عدداً من رجال السياسة ، نشروا سيرهم الذاتية في « مذكرات » فأغنوا المكتبة العربية بوثائق فذة، أضاءت جوانب هامة من الواقع الاجتماعي المتخلف ، أو من التاريخ السياسي المضطرب ، وكشفوا حقائق كانت مجهولة ، أو كانت غائمة تكتنفها الشبهات وتدور حولها أقوال تشوبها الأهواء .

ARCHIVE
http://Archive.beta.sakhrit.com

وكان في طليعة من نشرت مذكراتهم بعد « مذكرات » الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ، ثلاثة من كبار رجالات هذا الوطن (١) ، أخلدوا إلى كتابة سيرهم الذاتية وتدوين ما عرفوه من الحوادث السياسية ، بعد نضال طويل وكفاح مرير في سبيل الوطن ورفاهه وأمنه ، فترجموا لأنفسهم وسجلوا الأعمال التي قاموا بها وهم يتولون أمانة الخدمة العامة ، عارضين على الناس ما عرفوه من خفايا السياسة ، وسخة كانت أو نظيفة .

لقد أثنيت مرة على مذكرات هؤلاء الرجال فأوصى ثناني كثيراً

---

(١) هم الأساتذة حسن الحكيم ويوسف الحكيم أطال الله حياتهما وخالد العظم رحمه الله .

من العلماء وطلاب الحقيقة ، ولكنه أغضب بعض رجال السياسة ، فأنكروا علي رأبي ، لأن هؤلاء يختلفون عن أولئك في تقويم الأشياء وتقديرها ، ولا سيا إذا كان لهم صلة بهذه الأشياء ، أما أنا فقد عرفت الرجال الثلاثة وعرفت ما جبل عليه كل واحد منهم من خلق .

إن الرجال الثلاثة لم يدونوا في مذكراتهم كل ما يبحث عنه المؤرخ من حقائق تاريخنا السياسي ، إذ كان الواحد منهم لا يهتم إلا بما عرفه أو اتصل به أو شارك في صنعه ، كما كان أسلوب كل منهم نابعاً من مزاجه الخاص ، ومن تحليل شخصي للحوادث التي دوّن تفصيلاتها ، واختلافهم هذا ما كان ليفسد تقويم ما كشفوا عنه من حقائق التاريخ كما عرفوها أو كما خيل إليهم أنهم عرفوا حقيقته .

الأول منهم رجل صدق واستقامة ، رفعته إلى قمة العمل العام أخلاقه ومزاياه ، فسمى ما وسعه الجهد في خدمة الوطن ، بدأ يدون ذكرياته عن الطريق الذي مشى فيه خطوة خطوة ، ودوّن مشاهداته واصفاً ما رآه دون أن يعطي اهتماماً كبيراً لما يجهله من خلفيات ماشاهده ، وصور من رآهم من الناس أو عمل معهم من رجال السياسة ، دون أن يهتم بما تنطوي عليه صدورهم من عواطف ، كما سجل ما سمعه أو قرأه دون أن يركض وراء الدافع إليه أو يتحرى عن الباعث عليه ، وكان في جميع ما كتبه صادقاً في روايته منصفاً في أحكامه .

والثاني منهم كان رجل قانون أمضى جلّ حياته بقطع بالحق منازعات الناس ، مشرفاً على توزيع العدالة بينهم ، ثم أخذ يدوّن ذكرياته في العهود التي عمل خلالها على دعم سيادة القانون ، فجاءت مذكراته وكأنها كتبت على المنصة التي كان يجلس عليها ، إثباتاً للوقائع التي جرت

ARCHIVE

أمامه أو أثيرت في مجلسه دون التفات إلى غير الموثق منها ، ووصفاً حباً المتداعين وشهود الجلسة ، وقد بدا **التهذيب في تصرفاتهم** ، **كما بدت النظافة في ثيابهم** ، دون التفات إلى حقيقة أخلاقهم وما تحت ثيابهم من سوءات .

أما الثالث رحمه الله **فوارث مجد قديم ، جُبل على حب الفن** ، كان يتلهى برسم من يراهم وهو في أحرج المواقف ، دفعه طموحه **إلى** خضم السياسة فخاضه **حتى علقت أوحالها بثيابه فخلعها ثم عرّى من عرفهم من الرجال** ، وأخذ يرسمهم بقلمه كما بدوا لناظريه بادئاً بنفسه مسجلاً عيوبه وعيوبهم غير مفتقد عيوب نفسه ولا حافل بجوانب الحسن والجمال عند من يكرههم ، ولكنه كان صادقاً في تسجيل عواطفه ومشاعره تجاه من وقفوا في سبيل تحقيق طموحه ، كما كان جهده وعنته في **إنصافهم من خلال ما** كتبه واضحاً بيناً .

- ٤ -

الإنسان الذي تعددت عبقرياته ولم يستطع ارضاء نفسه

بدأت عبقرية محمد كرد علي **بالتفتح والقرن التاسع عشر الميلادي قد** شارف على الانقضاء ، كان العالم الغربي يومئذ في **أوج** التقدم الحضاري الناجم عن الثورة الصناعية والتوسع الاستعماري ، بينما كانت بلاد الشرق الأدنى تتثاءب وهي بين النوم واليقظة ، **ومبادىء الثورة الفرنسية قد تسربت إلى بعض الطبقات فيها بقصد القضاء على النظم السياسية والسلطات الاستبدادية القائمة فيها يومئذ .**

كانت الدولة التي كنا جزءاً منها تتمخض عن ثورة عارمة، ما لبثت أن انفجرت سنة ١٩٠٨، وقام فيها نظام جديد يخفي بين برديه استبداداً أشد مما كان بحجة صيانة أحكام الدستور وكفالة سيادة القانون، وانتهى الأمر بأصحاب النظام الجديد إلى المغامرة في حرب عالميـــة لم تنته إلا وخارطة العالم السياسية قد تبدلت.

في بلاد العرب أعلنت الثورة ضد الاحتلال والتمزق، وفي سورية قامت مملكة مستقلة، ولكن المطامع الاستعمارية لدى الدول المنتصرة، أعاقت الاستقلال وزادت في التمزق وفرضت الانتدابات، وابتدأ العرب في صراع جديد في سبيل الحرية والوحدة والتقدم.

في هــــذه الفترات المضطربة من تاريخ العرب السياسي، عاش الانســان محمد كرد علي صحافياً يعمل على نشر الوعي بين الناس، وأديباً يسعى لاحياء العربية وتراثها المجيد، وكاتباً يحاول إصلاح المجتمع والنهوض به، ومؤرخاً يجمع لبلاد الشام خططها وما تفرق من أخبارها، ووزيراً يطلع على كثير من الأمور التي تجري وراء الأستار.

دخل محمد كرد علي من مطلع شبابه في خدمة الحكومة بدمشق ولكن الصحافة استهوته فترك الحكومة ليشتغل فيها فوجدها في بلده وليدة تحبو، وتطلع إليها تدرج في مصر وارتحل إلى القاهرة ليخوض غمار المهنة التي استهوته حتى واتته الفرصة فعاد إلى بلده ليواصل الانغماس في متاعبها لأنه كان يراها أعظم وسيلة « للمطالبة بالإصلاح وطرد لصوص الموظفين من خدمة الدولة وحفز العرب إلى العمل النافع والتذرع بالمشاريع المنتجة وبعث الفراغ واستخدام الكفاءات ونشر التعليم بين الطبقات الجاهلة ».

غير أن الأحوال السياسية لم تكن تسمح بقيام صحافة حقيقية ترضي الإنسان في محمد كرد علي ، فقد كان على الصحافي يومئذ أن يبتعد عن أمور كثيرة ليتقي المتاعب وأحياناً ليحفظ حياته ولهذا قال : « وأكثر ما يجب أن يتوقاه المحرر ذكر شيء يمس السلطان من قريب أو بعيد أو يمس عمله ورجاله وجيشه وإدارته وسياسته ، وألا يشير إلى مسألة تاريخية فيها ذكر الخلافة والحرية والشورى والدستور وقتل الملوك وخلعهم » .

يكتب محمد كرد علي في النقد الاجتماعي ووصف التخلف وكيفية « تسرب الجهل إلى العبث بالعقول » حتى لم يبق « من العلم الحقيقي غير قشوره » مئات من المقالات صور فيها الناس في تشدقهم بالأقوال وتخاذلهم بالأفعال ، ونقد ساوكهم ، كما نقد ظلم الولاة واستهتارهم بمصالح الرعية ، ورغم حذره الشديد من كل هذا واكتفائه بالتلميح دون التصريح في أحيان كثيرة فقد تعرض لمخاطر التعرض لرجال الدولة فأقيمت عليه الدعاوى ولوحق من قبل رجال الأمن وطلب رأسه في بعض الحالات فاضطر إلى المغامرة والفرار مجتازاً البوادي والقفار يلبس لبس الاعراب وينتحل تجارة الجمال .

رغب محمد كرد علي في أن يؤرخ لبلاد الشام من غابر الأزمان حتى عصرها الحديث ، فأعد للأمر عدته وألزم نفسه بالشروط الواجب توافرها فيمن يتصدى للتأريخ ، ثم قدم « خطط الشام » واضعاً جهده في « العناية بتجريد هذا الكتاب ما أمكن من المبالغات والخرافات » ، ونخل لباب الوقائع المهمة الثابتة وحذف ما فيه من شبة شبهة أو شائبة غلو ، ثم قال : « وعنيت في قسم التاريخ السياسي أن أبين علل الحوادث

وتسلسل الكوائن ودواعي الأحوال القريبة والبعيدة واستخراج النتائج واستنباط القواعد ، والتاريخ ربيب الحرية لا يتصرف فيه على هوى من يكتبه أو يقرؤه ولا على أذواق المعاصرين وميولهم . وما دام موضوعه الاعتبار بالخالي لمعرفة الحالي والآتي ، فهو جدير بأن يتحرى فيه الحق ، ولا يدون سواه ولا يتناغى فيه بغير الواقع » .

في كل ما كتبه محمد كرد علي كان **الصحافي الحق والناقد المنصف والمؤرخ الصادق** ، وعندما التجأ إلى مصر وجد فيها من الحرية ما افتقده في بلاد الشام فاحبتها ، كما وجد فيمن تعرف إليهم من المصريين ما حببهم إليه ، فأخذ يشيد بمصر والمصريين بقلمه ولسانه حتى انه **أهدى أضخم جهوده إلى** صديق مصري ، وأنزل مصر منزلة الشام من حبه لها معتقداً **أنهما شقيقان** يتم كل منهما الآخر وهو يقول عنها : « **انتفع الشام وهو القطر الشقيق** الأصغر لمصر المحبوبة ، بالنهضة المصرية **أكثر من عامة الأقطار العربية ، للجوار وأواصر القربى وكثرة التشابه بينهما** » .

وألزم محمد كرد علي نفسه بالدفاع عن مصر العزيزة على قلوب العرب والمسلمين ، ضد كل من يحاول الانتقاص من مركزها من العالم العربي والإسلامي ، حتى أنه دفع إليّ ذات يوم مجلة قائلاً : « اقرأ ما كتبه منتقص من فضل مصر على العرب ، وتولّ الرد عليه إن كنت تحب الدفاع عن الحقيقة التي يتجاهلها أمثال هذا الكاتب » ، وكان ردّي من بواكير ما نشرته لي مجلة المجمع العلمي العربي .

كان لمحمد كرد علي مجلس يوم الثلاثاء يرتاده العلماء والأدباء وأهل الفضل ، وتسلل ذات يوم إلى هذا المجلس رجل باسم الأدب والشعر ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان الناس قد تسامعوا بمشادة وقعت في مصر بين كرد علي وزميل له من كبار المجمعيين ، دافع كرد علي عن العربية وسمعة مصر في العالم الإسلامي ، وهاجم رأي من لا يهتم بالعرب وبالعربية ولا بسمعة مصر عند المسلمين . واستثار الدخيل على مجلس محمد كرد علي غضبه بدفاعه عن كاتب لم يلتزم جانب الحق في النزاع وماق المستخفين بالعربية .

لقد كان هذا الكاتب عضواً في مجمع دمشق رشحه للعضوية محمد كرد علي نفسه وأعلى شأنه في البلاد ، وأرسل كرد علي إليه ذات يوم مقالاً ينقده على كتاب أصدره متخيلاً فيه قصة تعيب تاريخ العرب والمسلمين ، فأهمل نشر النقد غير معتذر عن إهماله للأستاذ الرئيس .

وغضب الأستاذ الرئيس من ذكر اسم الكاتب في مجلسه فجرى على لسانه كلام يجري على لسان من يغضب ، وقام الدخيل على مجلس الأستاذ الرئيس ينشر ما كان في المجلس وما لم يكن ، **فكانت الشرارة التي التهمت بلهيبها جزءاً من منزلة محمد كرد علي في مصر ودمرت قلعة من الحب والتقدير** كان رحمه الله قد تعب في بنائها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أن محمداً كرد علي إنسان قبل أن يكون مؤرخاً وأديباً وصحافياً ، انسانٌ مرهف الحس ، يحب ويكره ، يحب الخير والصدق والجمال ، ويكره الشر والكذب والفساد ، إنسان عصبي المزاج يطرب ويغضب ، تطربه الكلمة الحلوة ويسره المنظر الجميل ، تستخفه النكتة في موضعها وتنقبض نفسه من أي انحراف يراه أو يسمع به ، كان يتألم من الظلم ينزل بأحد الناس ، ويغضب إذا ما استثير أو استغضب .

لقد ارتضى محمد كرد علي لنفسه التقيد بشروط التاريخ عندما أرخ ،

واتبع الحذر من سطوة الرقيب واستبداد الدولة عندما مارس الصحافة ، والتزم وهو يدعو إلى إصلاح المجتمع بالموضوعية ، دون أن يسمي من عرفهم من الحشويين أو المفسدين أو المخرفين .

ولما بلغ محمد كرد علي الستين من العمر وزهد بالدنيا ومناصبها ، **وجد نفسه يحمل في صدره عبئاً ثقيلاً من كبت ما في صدره** من حب وبغض تقيداً بشروط التأريخ ومجاملة لما تعارف عليه الناس .

فأحب أن يجرد ما علق في ذاكرته من انطباعات وارتسامات ، **وأخذ يقيد ما يرد** على قلمه حراً ، غير مقيد بتاريخ أو بترتيب **أو تصنيف** ثم وصف ما بدأ في صنعه **بقوله** :

« أصور بهذا التقييد طائفة ممن عشت بينهم صورة صادقة ، وأدوّن كل حق عرفته ، ليشاركني أبناء هذا الجيل والذي بعده في الإنكار على من أضجروني بقصورهم ، وآلموني بغرورهم .

كتبت كتباً كان الجدّ سُداها ولحمتها ، وما جوّزت لنفسي الحياد عن قوانين المؤلفين ، ولا الصدود عن آيين المتقدمين والمتأخرين ، وأريد هنا أن أنزع قيوداً أثقلتني وأنا أراعيها ، وأن أبعد عن ذاك الطراز المقيد وأخرج إلى هذا الأسلوب المطلق .

أحاول اليوم ، وقد رأيت الدنيا مهزلة ، وذقت حلوها ومرّها ، وكرعت خلها وخمرها ، أن أهزل أحياناً ، وأسخر أحياناً ، وأضحك أحياناً ، وأبكي أحياناً ، لأن نفسي سئمت الالتزام بالجد ، وتبرمت من الاضطراب فيه زمناً طويلاً ، وطبيعتي تعصى على العيش الرتيب .

وأمنية النفس يوم تنشر هذه المذكرات ألا يشمئز منها تاليها

وسامعها كثيراً ، وأنا إلى هذا لا أطمع أن يجمع الملأ على استحسانها ، فتلك بغية ما تمت حتى الآن لتأليف ، ومن أين لصفحات محدودة أن تستوفي عامة شهوات النفوس .

وإذا كنت لم أستخذ أمام من كان في أيديهم النفع والضر ، فأنا لا أصانع من لا يرضيهم إلا سكوتي عن مساويهم . دأبت على قتال الأدنياء، والشباب غض ، والرغبة في إطالة حبل الأجل عظيمة ، فحريّ بي ألا أكف عنهم ، وأنا أطوي آخر مراحل العمر ، وأنفض اليـــد من بهرج الحياة .

قصدت بما دونت التحذير من دجل الدجالين ، **والتنبيه على أحابيل المبطلين** ، والعمل على مكافحة الظالمين ليُعرف أن كل جيل **لا يخلو من** دعاة يجلو لهم الجهر بالحق مهما جشّمهم ، **ومن أفضل الطرق إليه** ضرب السفهاء في وجوههم بعيوبهم .

جربت السكوت عمن لم يأتوا ببرهان واحد على حبهم الخير ، وما جنيت من الإغضاء إلا البلاء .

الجهر بالحق ، ومقاومة الظلم ، من أول مراتب النهوض « **والساكت عن الحق شيطان أخرس** » .

* * *

سـادتي

لقد أخذت اليوم أكثر من حقي في الكلام عن محمد كرد علي وإن كان حقه عليّ وعلى أمثالي من تلامذته لا يوفى بأضعـاف ما صنعناه في هذه الاحتفالات .

إن قصة مذكرات محمد كرد علي وما دار حولها من جدل بين عارفي فضله وبين مبغضيه لم تكمل ، والكلام على ما حوته من معلومات قيمة تفيد المؤرخ الدارس والباحث في أحوال المجتمع الشامي والمصري في الربع الأخير من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين كلام طويل ، فاسمحوا لي أن أرجىء تتمة القصة إلى مناسبة أخرى .

وليسمع لي صديقي علامة العراق وشاعر العربية الكبير محمد بهجة الأثري أن أستعير ختام تعريفه بالمذكرات حفظه الله .

« ... وذكرت متنزهات الدنيا بين يدي أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد فقال : « هذه متنزهات العيون فأين أنتم من متنزهات القلوب ؟. قالوا : « وما هي ؟ » قال « كتب الجاحظ ، وأشعار المحدثين ، ونوادر أبي العيناء » قال الأثري حفظه الله : **وأنا أضيف إليها رابعاً : كتاب المذكرات** ، فهو بدع في كتب هذا العصر ، وما يرجى من نفعه **أمتع وأفضل وأغزر .**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

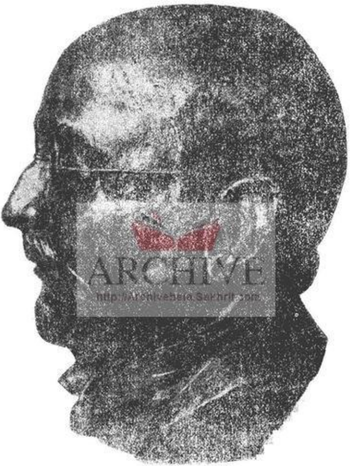

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

تمثال نصفي للأستاذ محمد كرد علي

(صنع الفنان عفيف البهنسي)

محمد كرد علي من خلال المقتبس

الدكتور شكري فيصل

- ١ -

تقع مجلة المقتبس من حياة الأستاذ الرئيس محمد كرد علي موقع بداية الشوط في مضمار واسع قطعه هذا الفارس على مدى ثمانين عاماً مباركات أو تزيد، لم يتوقف - أو لم يكد يتوقف - خلالها عن العَدْو وراء غاياته البعيدة.

والحق أنها لم تكن غاياته في نفسه فحسب، ولكنها كانت غاياته في أمته .. فلم يكن بينه وبين أمته هذه الفواصل أو الستور .. فتح لها قلبه، وقصر عليها عقله، ونذر لها جهده، وظل حياته كلها يتحرق شوقاً إلى مطامحها، ويتحرك قدماً نحو تطلعاتها.

ولم يكن في حياة كرد علي حَدَثٌ دفع به واندفع هو به، وأنشأه ونشأ به، ولوّنه وتلوّن به، كما كان حادث إصدار المقتبس في القاهرة في هذه الفترة المبكرة من حياته وهو يغادر الثلاثين، فترة اكتمال الفتاء، ووضوح النماء، وجمال التفتح.

- ٢ -

وإذا كان هذا موقع المقتبس من حياة كرد علي فإن هذا كذلك

هذا الموقع المتميز في حياة الجماعة العربية التي كانت تمضي في أول مراحل طريق النهضة .. كانت بدأت تُحسّ وجودها المغبون في بعض جوانب الحياة : في حياتها اللغوية وحياتها الثقافية دائماً ، وفي حياتها السياسية أحياناً .. وكانت تتطلع إلى وجود جديد يضع العرب في مكانهم من المشاركة والمساهمة ضمن المجتمع العثماني الكبير الذي كانوا يعيشون فيه .. ، وكانت بدأت تتململ .. وكان في إيمان جماعاتها وجمياتها والمصلحين الذين أخذوا يرفعون الصوت فيها أن العلم وحدَه هو سبيلُ الجماعات إلى وجودٍ صحيح سليم ، وأنه لا سبيل إلى هذا العلم إلا أن يتصل ما بين ماضي العرب وحاضرهم . تُشاع الحياة في هذا الماضي وتضاء جوانبه ، ويُحيى تراثُه ، ويُعرّف أعلامه ، وتدخل لغتُه دورةَ الحياة حتى تكون لغة الحياة . . ثم تُشتق الطرق إلى المستقبل الذي يضع العرب في مكانهم من الإسهام الحضاري والمشاركة الإنسانية .. على الخلاف الذي كان ، بين أن يتم ذلك في وجود عربي مستقل ، وبين أن يكون ضمن المجتمع الكبير الذي كانوا أبعاضاً منه .

وإنما كانت تعمل المقتبس من أجل هذه النهضة الفكرية وتتحرك بها ولها .

– ٣ –

ومن التقاء ما بين موقع المقتبس من حياة كرد علي وموقعها من حركة النهضة العربية العلمية تتخذ هذه المجلة الرائدة سماتهـا وشياتها ، وتكتسب صبغها المميّز ولونها الخاص ، وتتحرك على محاور ، بعضُها هذه المحاور مما كانت تشاركها فيه المجلات الأخرى وبعضها مما تنفرد به ، لا يشاركها سواها أو لا يكاد .

وتستطيع أن تنظر في المجلات التي كانت تعاصر المقتبس من مثل المنار والهلال والمقتطف .. وستلاحظ أن صاحب المقتبس كان يريد أن يشارك الآخرين في بعض ما يتجهون إليه .. ولكنه كان فيما بينه وبين نفسه حريصاً على أن يتفرد وأن يتميز .. بعض هذه المجلات كان يغلب عليه الطابع العلمي أو السمة الأدبية أو النزعة الإصلاحية السلفية .. ولكن أياً من هذه الطوابع لم يكن يستبد بالمقتبس أو يغلب عليها . فقد فتحت صفحاتها لهذه الأشياء كلّها ولكثيرٍ غيرها ، على اختلافٍ واضح في حظوظها من الاهتمام وأنصبائها من الرعاية .

ولم يكن ذلك عملاً عفوياً وإنما كان عملاً مقصوداً .. كان المنطلق والهدف في آنٍ عند كرد علي « السعي في سبيل الإفادة والاستفادة » كما قال في خاتمة السنة الأولى .. وهل هنالك حدود محدودة لهذه الإفادة والاستفادة ؟ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

— ٤ —

هذه المزاوجة بين جملة من المحاور التي سيتحرك عليها كرد علي في المستقبل ، تتمثل في هذه السلسلة من الثنائيات :

ا — هنالك في البداية هذه المزاوجة بين الماضي والحاضر : الماضي العربي الذي يستحق الإشادة به ، والوقوف عنده ، والإفادة منه ، والحاضر العربي الذي يحتاج أن يُعالَج ويُداوى .

ب — ثم تكون هذه المزاوجة بين الشرق والغرب : فللشرق روحه وتقاليده التي لا يستطيع أن يخرج منها ، وللغرب نهضته ومدنيته التي لابد من الإقبال عليها والأخذ منها .

ح — ووراء ذلك هذه المزاوجة بين اللغة العربية واللغات الأجنبية :

فلغتنا جزء منا ، ولكن حاجتنا إلى اللغة الأجنبية جزء من التمهيد لمستقبلنا .

د - ثم تكون عند كرد علي بعد ذلك هذه المزاوجة بين القديم والجديد : القديم لأنه آية قدرتنا على المشاركة الحضارية ، والجديد لأنه هذه المشاركة الواجبة .

هـ - وبعد ذلك تكون هذه المزاوجة بين العلم والأدب : الأدب بمعناه العريض هو الذي يغلب على التراث العربي وهو الذي يشغل أكبر الحيز فيه ، على حين أن العلم هو الذي يشغل أكبر الحيز في ميدان المعارف الإنسانية المعاصرة ، ويشكل قطب اهتمامها .

بل إننا لنلمح هذه المزاوجة في جزئيات من هذه المحاور . . ففي نطاق الأدب العربي كان كرد علي كذلك حريصاً على أن يبتعث العرب أدبهم كله . . أدبهم الذي قالوه في المشرق وأدبهم الذي قالوه في المغرب . . ولذلك كان من جهده أن وقف وقفات طويلة عند ابن حزم وابن زيدون على نحو ما وقف عند الجاحظ والقاضي الفاضل .

وفي نطاق الثقافة الغربية كان كرد علي يقرأ الفرنسية ويترجم عنها ويقبس منها كثيراً من المقالات . . ولكن مجلته لم تَصْفُ لهذا المورد وحده وإنما كان حريصاً ، فيما يبدو ، على أن تكون هنالك ترجمات كثيرة عن اللغات الأخرى : مقالات عن اللغة الانجليزية ؛ وملامح من ملامح المجتمعات الأميركية في شعر شعرائها أو أدب أدبائها .

وحين كانت حركات الإصلاح تتطلع حولها هنا وهناك تلتمس النموذج أو الأسوة ، كان أمام كرد علي فيما تقودنا إليه مقالات المجلة مثلان يلح عليهما : أحدهما من اليابان هذه الدولة الشرقية ، والآخر من أمريكا هذه الدولة التي لم تكن قد انزلقت بعدُ في مهاوي التحيز ، ولم يكن يعرف العالم منها إلا قسمات وجه بريء .

- ٥ -

وأحسبني - في رصد هذه المزاوجات - دللت على طابع أساسي لا في مجلة كرد علي فحسب ، بل وفي حياة كرد علي كلها .. ولعلي لا أخطىء إن قلت إن هذه الثنائية أيضاً يمكن أن تستقطب على نحو أو آخر ، شخصية كرد علي ، في الذي كان من مواقفها أو آثارها أو سلوكها .

أكان ذلك ضريبة العصر الذي كان كرد علي فيه ، عصر التحولات.. أم كان أثراً للنزعة العلمية المتسامحة التي كان يتحلى بها والتي كانت تقود إلى مثل هذه الثنائية المتوازنة ، لأنها كانت لا ترى أنها وحدها صاحبة الحق المطلق ، وأن الحق مشاع على حد تعبير كرد علي في واحدة من مقالاته .. أم هما الأمران معاً تقدما بكرد علي نحو هذه المواقف المتكاملة ؟.

- ٦ -

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقبل أن أمضي شوطاً آخر في دراسة الخطوط العريضة للمقتبس ومعرفة هويتها والكشف عن أبرز ملامحها ، أريد أن أقول إن المقتبس مجلة من نوع خاص .. ليست هي مجلة كرد علي لأنه هو صاحبها فحسب ، ولكنها مجلته لأنه هو الذي كان يشرف عليها ، ولأنه هو الذي كان يختار أبوابها يضيف إليها حيناً ويحذف منها حيناً آخر ، ولأنه هو الذي كان يعدُّ الكثير من مقالاتها .. كان يكتب المقال مرة ، ويترجمه مرة ، ويقبسه مرات أخر .. ولأنه هو الذي كان ينسج صفحاتها سطراً بعد سطر بما يفكر فيه أو يتحدث عنه أو يحاور حوله أو يقترحه ويراه ويسمعه .

وإنك لتلاحظ واضحاً أنه كان هو المحرر وكان المترجم ، وأنه إذا استعملنا مصطلحاتنا المعاصرة ، كان مجلس الإدارة ورئيس التحرير وكان المخرج ، وأخشى أن أقول إنه كان كذلك المصحح .

ومعنى هذا أن المقتبس كانت هي فكرة كرد علي وكانت عمله .. أقدم على إصدارها لا يملك إلا قلمه .. ولعله كان يتطلع من وراء الغيب إلى بعض الأقلام التي تساعده .. ولذلك لم يكن عجباً أن يتلاقى في الصفحة الأولى من العدد الأول هذان المقطعان :

أما أحدهما فهو هذه الضراعة الحارة التي تعبر أصدق تعبير عن تهيُّب هذه الخطوة :

« بسم الله الرحمن الرحيم

ربِّ إليك المفزع وفيك الرجاء ومنك الهداية

فاحلل اللهم عقدة من لساني وعلمني بالقلم ما لا أعلم

كما علمت عبادك المخلصين واهدني صراطك المستقيم »

وأما الآخر فهذا التطلع المؤمل من خلال هذه الدعوة الصريحة :

« فليتفضل مَنْ أوتوا حظاً من العلم ، فكان همُّهم نفع الإنسان من حيث هو إنسان ولخدمة المعارف لأنها مساعدة في الأمم نافعةٌ للعمران ويمنّوا علينا من فيض قرائحهم وثمرات أبحاثهم » .

وما بين هذين المقطعين وما بعدهما كان التعريف بالمقتبس ومذهبها الذي ستذهب فيه .

— ٧ —

ولكن السؤال الكبير هنا : كيف كان يعمل كرد علي في المقتبس ؟ كيف كان يطمع إلى إقامتها وحدَه ، والعهدُ بالمجلات أن ينوء بها العصبة أولو القوة ، وكرد علي يصدرها في القاهرة وهو بها حديث العهد ، ليس حوله أحد من أهله الأدنَيْن ؟

١ ــ إذا تجاوزنا السجايا الأخلاقية الرفيعة التي تتمثل في عزيمة كرد علي الطموح وإرادته العنيدة .. وذهبنا نتلمس طرائق كرد علي في العمل على

إصدار مجلة في رأس كل شهر تنهض لهذه المجلات الأخرى ذات الجذور الغليظة في القاهرة ، كالمقتطف والهلال والمنار - وجدنا أن كرد علي كان قدرة عجيبة على القراءة والعمل .. كان يكثر من القراءة ، وكان يفيد من كلّ ما يقرأ .. كان يقرأ بالعربية كما يقرأ بالفرنسية والتركية ، وكان يقرأ المطبوعات كما كان يقرأ المخطوطات .. ومن كل ذلك كانت تستوي له بعض البحوث ، أو يوحى إليه - أريد يلهَم - بعض المقالات ، أو يندفع في طريق الاقتباس والترجمة .. قراءاته هي التي كانت تثيره ، وهي التي كانت تفتح الآفاق من حوله .

إن كرد علي يعترف بذلك ويدلّ عليه بنفسه ، ويمثل صراحته .. فهو ينشر مثلاً مقالاً بعنوان : « فتيان يؤلفون » [١] فمن أين وقعت له فكرة هذا المقال ؟

لنستمع إلى كرد علي يحدثنا عن ذلك فيقول :

« تناقلت الصحف الدورية في الغرب هذه الأيام رأياً للمسيو إميل فاغي Emile Faguet من رجال العلم في فرنسا وأحد الأعضاء الأربعين في المجمع العلمي البارزي قال فيه : [إنه لا ينبغي للكاتب أن ينشر ما كتب لينفع به الناس قبل أن يبلغ الثلاثين من عمره - وأرجو أن تذكروا أنه كان آنذاك في الثلاثين - وما هو ، قبل هذا السن ، إلاّ معلم نفسه ومُمَرِّنُ قلمه] .

هذا الكلام الذي قاله مجمعي عريق في الغرب أومض في رأس كرد علي في الشرق وانبعث عنده فكرة جديدة فمضى يقول :

---

(١) المقتبس م ١ ص ٨٣

[وقد أذكرني هذا الرأي بأن في أمتنا من نبغوا قبل بلوغهم تلك المدة المعينة وأفادوا واستفادوا من ثمرات عقولهم . ولا يحضرني الآن من أهل الغرب إلا اسم الشاعرين الانكليزيين كيت وشيلي اللذين قضيا في نحو الثلاثين من عمرهما وقد راق شعرهما كثيراً من الناقدين .

أما في الشرق العربي فقد توفي ابن المقفع صاحب كليلة ودمنة وغيره من الكتب وهو في السادسة والثلاثين ، وتوفي سيبويه وهو لم يتجاوز الأربعين وقد برز في النحو حتى كان من لا يحفظ كتابه لا يعد بشيء في علم الإعراب ..] .

ومضى يكتب مقاله يتابع مثل هذه الأسماء لينتهي إلى هذه الخاتمة :

[هذا ومن يستقرِ التاريخ يجد أمثلة كثيرة للنوابغ قبل السنّ الذي ضربه الكاتب الافرنسي . على أن النفع إذا لم يحصل ممن بلغ الرشد فأحْرِ به أن لا يحصل أصلاً ، وحصول النفع الحقيقي من ثمرات أعمال الكاتب قد لا يكون في الثلاثين ولا في الأربعين من عمره ولذلك قيل :

إذا بلغ الفتى عشرين عاماً ولم يَفْخَر فليس له افتخار]

مثل هذا الموقف في مقاله : « فتيان يؤلفون » نجده وراء مقال آخر بعنوان : « عميان يؤلفون »(٢) .. بدأه كرد علي على النحو التالي : [تكاد تكون قاعدة لا تختلف أن من فقد إحدى حواسه تقوّى فيه غيرها ، فمن فقدَ بصره مثلاً تقوى ذاكرته ، ومن فقد سمعه يشتد إدراكه . ولما قرأت ترجمة هوميروس الشاعر اليوناني وعلمت أنه كان ضريراً ، وقرأت ترجمة ملتون الشاعر الانجليزي وعلمت أنه كان كذلك ، وقرأت ترجمة أبي العلاء

(١) المقتبس م ١ ص ٣١٥

المعري الشاعر العربي وقلت إنه كان مثلها ، وقرأت ترجمة ابن الخناط ـ وقع في نفسي أن أكتب مقالاً في عميان صنفوا وأجادوا أيام كان العرب يؤلفون ويجيدون . فمنهم قتادة بن دعامة ..] ومضى يعددهم ويذكر آثارهم .

أترون إذاً إلى هذا الذهن اللمّـاح الذي كان وراء صناعة المقتبس ومقالات كرد علي ؟ .

ب ـ ولكن كرد علي لم تكن هذه سبيله وحدها .. لم يكن يجوس ماضي العرب بهذا الضوء أو ذاك من الأضواء التي تتوالد عنده من مثل هذه المقارنات .. إنما كان يلجأ إلى الترجمة . ففي مقال له عنوانه : الجنون بالكتب(١) يكتب كرد علي هذه المقدمة القصيرة : [الغالب أن عشاق الكتب كعشاق الجمال أو هم أضلُّ سبيلاً ، فتراهم هائمين خاملين لايعبون على شيء في الأرض ولا يحفلون بعظائم الأمور فضلاً عن صغارها ، يجعلون الكتب روحهم وراحهم وريحانهم ، بل فرضهم ونوافلهم وأحاديثهم وأسمائهم . وكل شيء إذا جاوز الحد انقلب إلى الضدّ . وكذلك الحال بعاشق الأسفار ، فربما جوّز لنفسه السرقة ، ولكن سرقة الكتب ، بل وربما أفتى بحِلّ ذلك لمن يستفتيه] .

ثم يكشف كيف تأدّت له هـذه الفكرة فيقول : [ولقد قرأت فصلاً لأحد كتّاب الفرنجة فآثرت تلخيصه كما يلي . .] ثم يمضي في هذا التلخيص .

وقد يجاوز مثل هذه المقدمة القصيرة التي يمهد بها لموضوعه ليباشر الموضوع بعيداً عن هذه المقدمات فيقول : (٢) [من مقـالة لأحد علماء الفرنسيين نشرت حديثاً في إحدى المجلات العلمية] ويتابع فيترجم المقال .

هذان نحوان استعان بها كرد علي في صناعة مجلته .

(١) المقتبس م ١ ص ٨٥ (٢) المقتبس م ١ ص ٩

حـ ـ أما النحو الثالث فقد جاء نتيجة لاهتمامه بالتراث وتطلعه إليه .. كانت تقع له المخطوطة من المخطوطات فيتحدث عنها في باب ، ويتحدث عن مؤلفها في باب آخر ، ويقتطف منها هذه المختارات في باب ثالث :

فالوهراني مثلاً « ركن الدين أبو عبد الله محمد الوهراني الجزائري ، الذي كان خطيب داريا ، القرية الدمشقية المعروفة ، كاتب من كَتَبَة الرسائل والإنشاء في دمشق ومصر على عهد صلاح الدين ، قدم من بلاده إلى الديار المصرية واتصل بالعماد الأصفهاني والقاضي الفاضل ومن في طبقتها . له كتاب مخطوط اسمه منشآت الوهراني .

وقع هذا المخطوط للأستاذ كرد علي فتحدث عنه في باب « مطبوعات ومخطوطات » وقال [1] إنه [كتاب مخطوط في تسعة كراريس ظفرت بـه في بعض الخزائن ولا أريد أن أدُلّ عليه ، إذ ما كلّ ما كتب ينبغي العناية بنشره . الكتاب جِدٌّ في قالب هزل ، وعِلم على مثال جهل ، وحقيقة في طرز خيال ، فما رأيته خِلواً من شاردة تُنقل ونكتة تؤثر .. وكلام المؤلف على خلطه وضبطه يضحك العبوس ، وقلما تنقبض منه النفوس ..] .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأستاذ كرد علي يكتب هذا التعريف وكأنه يفتح الطريق لدراسة الكتاب . ثم ينقل مختارات منه لتمام التعريف به في باب آخر هو ثُفاضة الجِراب « ص ٥٥ » . وصفحـــات غيرها تحت عنوان خاص هو نكات الوهراني .

د ـ وأما النحو الرابع من الأنحاء التي كان يسلكها الأستاذ كرد علي في إقامة مجلته فذلك هو هذه المقتبسات التي كان يقبسها من هنا وهناك ،

---

(١) المقتبس م ١ ص ٤٠

ومن كتابات المعاصرين بوجه خاص ومن مطبوعاتهم .. كان إذا قرأ شيئاً أعجبه أسرع إلى إثباته .. فهذه صفحات مقتبسة من فصل للمرحوم عبد الله فكري وتلك مقيدة للرافعي يقرؤها في تجارب ديوان يُعدّ للطبع فيضع لها هذا العنوان : من الغزل العصري ، ثم يذيله بقوله : من الجزء الثالث من ديوان الرافعي الذي يصدر بعد أشهر .

ألم يقل كرد علي في فاتحة مجلته معرفاً بها : « إنما نشرة تصدر على رأس كل شهر عربي تقتبس ما تتمثل فيه فائدة صالحة من كلام الثقات الأثبات من مشارقة ومغاربة وقدماء ومحدثين .. » .

ألم يقل في أعقاب ذلك : « وقد سُميت المقتبس ولكل شيء من اسمه نصيب » !

ألم يكن للمجلة من ذلك أكبر نصيب ؟ .

ARCHIVE

ه — وليست المخطوطات وحدها هي التي كانت تمدّ كرد علي في صناعة مجلته وإنما كانت المطبوعـــات كذلك بعض الطرق إلى تغذية المجلة .. فقد كان يظهر الكتـاب المطبوع في دمشق أو في القاهرة أو في غيرهما من عواصم العربية فيبادر كرد علي إلى قراءته .. وقلّ أن يقرأ كرد علي دون أن يكتب .. ولذلك يكتب عنه في باب مخطوطات ومطبوعات .. يعرضه وينقده وقد يوجّه أصحابه .. ويختار منه صفحات أو فصولاً يكتبها في باب خاص هو باب « صحف منسية » .. ثم لا يهمل أن يتحدث عن صاحبه في طالعة مجلته على أنه واحد من صدور المشارقة والمغاربة وهو الباب الذي كان يصدّر به المجلة .

و ـ وليست هذه الأنحاءُ وحدها موارد كرد علي التي يردها ، ومصادره التي يصدر عنها .. وإنما نجد في المجلة بابين هما أثر من آثار الاقتباس : اقتباس من المجلات الأجنبية سبيله الترجمة ، كما في باب سير العلم أو سير العلم

والمجتمع كما سماه بعد ذلك .. واقتباس من المجلات العربيـــة وسبيله القراءة والاختيار .

ومن الحق أن أقول هنا إنّ هذه المقتبسـات في هذين البابين لم تكن تتجاوز الجُذى الصغيرة .. لم تكن أبحاثاً في العلم ولا عرضاً لنظرياته وإنما كانت طرائف من طرائفه . وذلكم هو الذي يفرق ما بين مجلة كرد علي وما بين المقتطف مثلاً .. ولم تكن الأسطر القليلة من هذه المجلة أو تلك من المجلات العربية أو الأجنبية إلا اشارات خاطفةً لبعض ما يكتب هنا وهناك .

ومن المؤكد أن بعض هذا الذي كان ينشر من هذه المقتبسات كان يوقد به ناراً يصطلي بها أو نوراً يهتدي به .. إن ذلك كان يمهد الطريق أمام كرد علي لتوسعة هذه الإثارات أو الإشارات . فحين نشر مثلاً نبذة صغيرة من مقال في احدى المجلات الفرنسية عن حريق مكتبة الاسكندرية ورّثه ذلك سلسلة من المقالات بعد ذلك .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

– ٨ –

وكذلك يتبدّى لنا من هذا العرض المتمهل أمران : أحدهما الأبواب الرئيسة في المجلة ، والآخر : كيف كان كرد علي يصنع هذه الأبواب .

ويستقر في نفوسنا أن الرجل كان يملك وقته وكان يملك عزمه ، وكان يملك قدرته الهائلة على أن يستثمر هذا الوقت خير استثمار ، وأن يستفيد ويفيد مما يقرأ على خير ما تكون الإفادة والاستفادة .. أو على حد تعبيره المحكم الذي استعمله ذات مرة : على خير ما يكون الاقتباس والإقباس .

واضح جداً أن منطلق كرد علي الأول في عمله في المجلة إنما هو قراءاته .. ثم يكون تنوّع هذه القراءات بين العربية والفرنسية والتركية ..

ثم يكون تنوّع القراءات بين المطبوع والمخطوط .. ثم يكون استثمار هذه القراءات في الأبواب المختلفة على هذه الانحاء المختلفة : استيحاء أو استلهاماً، اقتباساً أو تلخيصاً ، ترجمة كاملة أو مقتضبة ، تحقيقاً أو تمهيداً للتحقيق .

وعلى قدر ما كان من قراءات كرد علي كان من كتابته .. كان أسرع الناس إلى قلمه ، وأقدر الناس على أن يجري به على الورق ، وكان قلمه أسرع الأشياء في تلبيته لا يسأله تلبثاً أو تمهلاً ، وكان أطوع له من بنانه .. لا أرناً ولا صعباً ، وإنما كان مذللاً منقاداً .. إنه لم يكن أداة خارجة عنه يستخدمها ، وإنما أضحى جزءاً منه يتحرك به كيف يشاء ويحركه كيف يشاء .

وحين تحدث كرد علي في المذكرات ذات مرة في أنه قد تمر الأشهر لا يكتب فيها صفحة فإن ذلك لا يعني استعصاء القلم عليه ، وإنما يعني أن مزاج كرد علي كان قلقاً ، أو أنه كان يتأنى يخمّر ما يريد أن يقوله .. وإلا فقد آخى كرد علي أتمّ مؤاخاة بين ذاته وعمله ، بين قراءاته وكتابته .. وكأنما كانت كتاباته الكثيرة في المجلة هي الوجه الآخر لهذه القراءات الكثيرة .. كانت استجابة لها ، واستلهاماً منها ، وتطابقاً معها .

– ٩ –

وأحسب أن مثل هذه الاستجابات المتطابقة بين قراءاته وكتاباته هي التي تتيح لنا أن نفسّر ما كان قد وُجّه من نقد إلى كرد علي .. نقد مكتوب حيناً ونقد متداول حيناً آخر .

خلاصة هذا النقد أن كرد علي كان لا يلتزم دائماً بالإفصاح عن مصادره في جزئيات ما يكتب .

لقد وجه إليه هذا النقد في أول عمله في المقتبس ، على نحو ما سيوجه إليه بعدُ ، حين ينجز عمله الخالد في إصدار خطط الشام .

في الخطط نشر كرد علي في آخر الكتاب ثبتاً بأسماء العشرات من المخطوطات والمطبوعات التي اعتمد عليها وأفاد منها في جملة هـذا المؤلف الضخم .. ولكنه لم يربط بين جزئيات المادة التي عرضها وتحديد المصدر الذي أخذ عنه ، أو قل لم يفصل فصلاً واضحاً بين ما يكتبه وما ينقله ..

وفي المقتبس اسطر المرحوم رشيد رضا بعد أن رحّب بالمجلة أن يقول كلاماً هـذا بعضه : [ومنها أن المنقول في بعض المواضع لم يتميز بنسبته إلى الكتب والعلماء تميزاً ظاهراً يعرف أوله وآخره بلا اشتباه ..] (١) .

ومثل هذا الكلام ونحوه قاله أحمد زكي فيما كتب به إلى الأستاذ كرد علي : [وعندي أن الأجدر أن تترك : قال أحدهم ، وروى بعض العلماء أو أحد الأساتذة ، وتنسب القول إلى قائله مباشرة فإن هذا الباب فتح قديماً باب التلاعب في كثير من العلوم ، وكذلك اليوم فلا غُنْية لمن يريد أن يخدُم العلم عن التصريح بأسماء المنقول عنهم] (٢) .

ومضى على مثل هذا النقد الأب أنستاس ماري الكرملي فقال في خطابه لكرد علي : [عرّبتم فصلاً عن إحدى المجلات العلمية لم تذكروا اسم المجلة وهو أمر مهم في مثل هذا المقام . وكذلك لم تنوهوا باسم الكاتب الأصلي . وقد تكرر ذلك عدة مرات فأظن أن الأحسن ذكر كل جريده باسمها وكلّ مؤلف باسمه] (٣) .

---

(١) المقتبس م ١ ص ١١٢ (٢) المقتبس م ١ ص ٣٦٧ – ٣٦٨

وأيا كان الأمر في هذا اللقاء بين قراءات كرد علي وكتاباته ، وأيا كانت وجهته في العزو والإسناد .. فإن الذي ننتهي إليه مطمئنين أن مجلة المقتبس كانت مجلة كرد علي الخاصة يصنعها هو بنفسه وعلى عينه .

ولذلك قلَّ أن نجد فيها ، وفي سنواتها الأولى بخاصة في القاهرة ، كتاباً آخرين .. هنالك قصائد الرصافي والزهاوي وبعض مقالات لأصدقائه وإخوانه من مثل أحمد زكي باشا وتيمور باشا ، أو لبعض مريديه من مثل الأستاذ محمد لطفي جمعة .. وهنالك بعض الأسماء التي لم تكن معروفة والتي كانت تكتب له من امريكا أو من غيرها .. وهنالك وهنالك .. ولكن كان هناك دائماً كرد علي الذي يكتب ويلخص ويقبس ويترجم حتى يكاد المرء لا يفرق — لولا بعض الأبواب التي سأشير إليها — بين المجلة وبين صانعها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

— ١٠ —

لقد تحدثت عن المقتبس كيف صنعه كرد علي دون أن أتوقف عند البواعث الأولى . وما أشد ما تمنيتُ لو اكتمل عندي تمثُّلُ هذه البواعث التي دفعت به نحو هذا العمل .. لقد جاء كرد علي مصر محرر في صحفها ومجلاتها .. كتب في المقتطف والمؤيد والظاهر واكتسب شهرته من خلال هذه المقالات . فماذا آثر ، بعد ذلك ، أن يتفرّد بمجلة ينشئها وحده ، ويصدرها وحده ، ويحمل عبء مسؤولياتها المادية (١) والمعنوية وحده .. ماذا كانت العوامل التي دفعت به في هذا الاتجاه الصعب ، وما الذي حمله على هذا الاختيار العسير ؟

(١) في آخر السنة الثانية وأول السنة الثالثة حديث عن التكاليف المادية .

لستُ أملك رأياً قاطعاً ، ولم أتبين الفكرة الواضحة وإنما هو حدس من الحدس الذي يقع عليه المرء أو يقع له من خلال ما يقرأ ، ويتناهى إلى أعماقه تناهياً لا يدري كيف ابتدأ وأيّة سلك ولا كيف نما من خلال التتبع .

إن كرد علي — وقد رأى هؤلاء الذين هاجروا قبله إلى مصر وظفروا فيها بالمكانة والشهرة عن طريق الصحافة — لم يرَ أنه دونهم قدرةً .. لعل شيئاً من شعور المنافسة أو الإحساس بالغيرة كان بدأ يحوك في صدره.. والنجاح ، كما يقولون ، يدفع إلى نجاح .. وقد أرادته صحف ومجلات كثيرة على أن يسهم فيها ، ومقالاته لم تكن سبباً لشهرته هو فحسب ولكنها كانت إسهاماً في تغذية هذه المجلات وشهرتها .. فلعله من هنا بدأ يفكر في عمل مستقل ولعله كان ينظر في هـذا العمل المستقل بعين متطلعة إلى المقتطف يريد أن يوازيها أو يعلوها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إن حديثه عن المقتطف في مقالة عقدها له في المقتبس [1] يشي بذلك وينمُّ عنه ، ولست أريد أن أثبت المقال أو أن أقتبسه كلّه .. ولكني أتمنى على الذين يُعْنَوْن بدراسة كرد علي أن يقرؤوا هذه المقالة فقد ينتهون من ذلك إلى مثل ما انتهيت .

ومع ذلك فإليكم بعض الفقرات :

« .. قلَّ في المشاريع ، ولا سيا العلمية منها ، ما سار به صاحبه على سنة الارتقاء الطبيعي ، ولذلك قلَّ في أربابها المأمون . أما صاحبا المقتطف فعملا أولاً تحت نظارة أستاذ لهما عظيم هو الدكتور كرنيليوس فانديك

(١) المقتبس م ١ ص ١٧٢

الأميركاني . ولم يخرجا عن حدّ الخطة التي رسمها لها فكانت صفحاتها بادىء ذي بدء قليلة ، وكتابتها لاتخلو من ضعف، وموضوعاتها بسيطة تتناولها أذهان الصبيان لأدنى نظر . وعلى ما قام من المنشطين لعملها في ذلك العهد من رجال البلاد لم يبلغ المقتطف الغـــاية التي كانت ترجى له من الانتشار وكثرة الانتصار » .

« ... ولقد خيف عليه السقوط أولاً .. ولو لم يمزجا عملها بشيء من التقية والمداراة وبهضا النفس في الأحايين لكانت أقل صعوبة يلقاها مثل هذا المشروع تكفي في إخفاق المسعى .. ولو ظل المقتطف يقبل المناقشة فيما يكتبه لانصرفت وجهته عن الكليات إلى الجزئيات وضاع المقصود من إنشائه فقد نصح لها أستاذهما بالعدول عن خطة المماحكات .. ومنذ ذلك أخذت كتابة المقتطف وأبحاثه ترتقي مع الزمن بكثرة مران القائمين عليه .

« .. وقد عرف المقتطف بحسن التنسيق ولطف الأداء .. كما عرف بحسن الاختيار وانتقاء الموضوعات المفيدة .. وجرى في توقع المناسبات على قدم المجلات الأميركية والانجليزية من إعداد مقالات للنشر في كل آن ومقالات لا تنشر إلا في أوقات خاصة . ويقول منشىء المقتطف إنه يؤلفه من مجلات كثيرة لأهل الاخصاء من علماء السكسونيين .. » .

« بقي أن أقول إن للمقتطف مغامز لا بأس بعرضها عليه ألا وهي ظهور الغرض في مطاوي ما يكتب .. » .

– ١١ –

وسلوكية كرد علي في المقتبس سلوكية رائعة تلفت النظر حقاً . . والعهد بالناس أنهم لا يحبون النقد .. فإذا بدت منهم رغبة فيه آثروا أن

يكون همساً لا يسمعه الآخرون .. ولكن كرد علي كان يتسلح بخلق رفيع عالٍ .. فقد كان حريصاً ، منذ العدد الأول ، على أن يعرف آراء الناس في عمله ، وأن ينشر هذه الآراء .. والعجب المغرب أنه لم ينشر من ذلك ما يتصل بالتقريظ أو الثناء .. وإنما كان يعمد بين عدد وعدد إلى أن ينشر ما يوجه إلى المقتبس من نقد فحسب . فهذا هو في خاتمة العدد الثاني مثلاً ص ١١١ يحمد ويشكر الذين كاتبوه وشافهوه « من رجال الأمة أجمل شكر وحمد لما تكرموا به من عبارات التنشيط على نشر المقتبس سواء كان بالخطاب أو بالكتاب ، كما نثني أطيب الثناء على الصحف العربية على اختلاف نزعاتها وموضوعاتها التي ذكرت صدور هذه المجلة ونوّهت بها . ونسأل الله أن يحقق آمالهم وآمالنا ويصلح أحوالهم وأحوالنا .

ARCHIVE

وهنا ننشر تتميماً للفائدة ما تفضل به صاحب المقتطف وصاحب المنار الغراوين من نقد المقتبس عملاً بالأمانة معهما .. وهاك ما قالوه ... » .

كرد علي إذن كان يطلب النقد طلباً ويلتمسه التماساً .. وكان يذيع هذا النقد في مجلته ذاتها على ما قد يكون فيه من قسوة . وحسبك أن تنظر فيما نشره من نقد المقتطف له لترى أنه نقد يسير ما كان أجدره بأن يتجاوز .. وحسبك كذلك أن تنظر فيما كان من نقد المنار لترى كيف وصفه « أو وصمه » بأنه مبتدىء ، وإن كان وقع على نقـــاط جديرة بالنقد حقاً .

وتنمّ العبارات التي كان يكتبها محمد كرد علي في تقـديم هذه الانتقادات عن تواضع علمي جدير بالتقدير له والثناء عليه .. وعن رغبة جامحة في الإفادة من كل ما يقال عنه أو ينبه إليه .. إنه يقول في تقدمة ما نشر من رسائل منتقديه :

« وفي مأمولنا أن نصلح ما يمكن إصلاحه من وضع هذه الصحيفة وموضوعاتها على الزمن ، حتى يجيء منها ما يفيد ويروق بعون الله وتسديده. ورجاؤنا إلى من أوتوا العلم الرجيح ورزقوا ملكة النقد الصحيح أن يُقْبِسوا المقتبس من أنوارهم كلما عنّ لهم ذلك . ورحم الله من أهدى إليّ عيوبي[1] .. »

ويبدو أن الذين كتبوا إلى المقتبس يبدون آراءهم فيه أثاروا عنده حيْرته وحمّلوه من ذلك ما لا سبيل إلى تنفيذه . ويقول هو عن ذلك : « ولقد اختلفت آراء المفكرين والعالمين : فمن قائل باختصار مقالات المقتبس ، ومن قائل بإشباعها وتوفية كل مبحث حقه من الشــرح . كما اختلفت المذاهب في أسلوب إنشائه : فمن قائل إنه يصعب فهمه على غير المتعلمين أو دون الرجوع إلى المعاجم كما قال بعضهم ، ومن مصرّح أن لغة المجلات ينبغي لها على كل حال أن تكون أرقى من لغة الجرائد لأن قراءها من الخاصة أو ممن يدانيهم . ويرى الفريق الأول أنه لا بأس باستعمال ما استعمله العرب من التراكيب أيضاً ويرده بعضهم ويفنّده . واعترض بعضهم على استعمال الإشارات الجديدة - يريد إشارات التنقيط - قائلين إن ذلك لا يجدر إلا بكتب الأطفال والنساء ، واستحسنها بعضهم وأراد الإكثار منها للإفهام . ورأى بعض العلماء ضبط الكلمات المبهمة .. »[2] .

ولم يتردد كرد علي أن يعترف جهاراً بأخطائه في استعمال بعض الألفاظ والتراكيب ، فقد بدأ ذلك حين نشر رسائل هؤلاء المنتقدين له في مجلته . من مثل رسالة الأب الكرملي وفيها : « وقلتم : التوابل الساطعات

(١) آخر الجزء الثالث من المجلد الأول ص ١٦٦

(٢) المصدر نفسه ص ١٦٦ - ١٦٧

والصحيح أن هذه غير تلك ، وذكرتم اسم الفنطيس بمعنى البرميل ولا مشابهة بين الاثنين وكلاهما معروف عندنا باسمه وبميزاته ، وذكرتم النيترات باسم البورق وليس الأمر كذلك وبينهما بون بيّن »(١) .

— ١٢ —

وبعد ، فهل أخرج كرد علي المقتبس أم كانت المقتبس هي التي خرّجته ؟ . ما هي هذه الصلة بين المجلة وبين صاحبها .. أيها كان يعمل في صاحبه ويؤثر فيه وكيف كان هذا التأثير وما مداه ؟ . وهل بقي كرد علي في حدود المجلة أم هو جاوز ذلك إلى بعيد ؟ .

في تقديري أن من أروع ما كان من كرد علي أنه استطاع أن يتسامى على عمله في المقتبس وأن يتجاوزه .. لم تقيد المجلة هذا الرجل الكبير .. بدأ بها ولكنه انتهى إلى الانفصال عنها .. إنه استطاع أن يغادر حدود الصحفي صاحب المجلة إلى أن يكون العالم .. ولم يصنع كرد علي المقتبس فحسب وإنما صنع نفسه من خلال المقتبس .

إن الصحافة — وحتى الصحافة الأدبية — تستنزف أصحابها ، تسترقهم وتمتصهم .. إن لها في الاسترقاق سَطْوَ ظالم ، وفي الامتصاص شرَه قطعة كبيرة من اسفنج مكروب .. وكثيرون أولئك الذين يقعون فريسة لها .. فريسة لعملها اليومي المنهك ، وطعماً سائغاً لهذه الاستمرارية التي تطبع الصحافة والتي تفرض على أصحابها قيودها وسدودها .. هم ينشئونها ويضعون خطتها ، وهم بعد ذلك يقعون أسرى لهذه الخطة .. أسرى لا يفتكّون ولا يرغبون هم أنفسهم أحياناً في هذا الافتكاك .. اليوم

(١) المقتبس م ١ ص ٣٦٧ — ٣٦٨

يقودهم إلى اليوم الذي بعده ، والأسبوع مُحكِم قيدهم بالأسبوع الذي يليه .. والشهر يحبسهم ، لايخرجهم إلاّ إذا كان محاقه ، ثم يسلمهم في ليلة مظلمة ليلاء ، إلى الشهر الذي يلد منه .. إنهم يعيشون في هذه الحلقة الدائرة ..

ولكن كرد علي الذي كان شديد الإحساس بذاته ، على تواضع حين يطيب التواضع .. استطاع أن يتسامى على الصحيفة أو على المجلة التي أنشأها .. لقد عرف كيف يصنع الشرنقة من الحرير دون أن يختنق فيها .. وخرج منها لينسج طرازاً آخر أو لنقل طُرُزاً أخرى .. ولقد استطاع أن يكون حجر الأساس الذي يرفع البنيان دون أن يخفيه البنيان .

صفحات المقتبس كانت تجربة في حياة كرد علي في فترة معينة من أجل حياة كرد علي في الفترات التي جاءت بعدها ... والمقال فيها لم يكن مقالاً كما هو الشأن في أكثر المجلات ، ولكنه كان بذرة كتاب .. بذرة منتقاة ونقية .. والتعريف بالمخطوط والوقوع عليه كان بداية تحقيقه .. وترجمة صفحات من كتاب جديد أجنبي يطلّع عليه كان طريقاً إلى ترجمة الكتاب كله .

بل لقد كان المقتبس مضماراً لكرد علي بالذات .. ألم يمارس فيه الترجمة العلمية ؟.. ألم تكن فيه بدايات عملية التحقيق .. ألم يكن باب المخطوطات والمطبوعات نافذته على التراث القديم من نحو ، وعلى متابعة مايصدر من كتب والنظر فيها من نحو آخر ؟ .

لقد استحالت مجلة المقتبس بعد ذلك مجموعة من الكتب .. بل إني لأتساءل ما الذي يبقى من المقتبس ، من عمل كرد علي نفسه ، إذا نحن رفعنا هذه الأشياء التي آلت أن تكون كتباً ؟

المقالات التي كتبها أصدقاء المقتبس .. تلك لأصحابها .. وباب سير العلم والمجتمع ، أو باب تدبير المنزل في بعض الأعداد الأولى ، بابٌ تتجاوزه السنون ، ثم هو لم يكن يزيد على النتف الصغيرة والتي كان هدفُها ، آنَ نُشرت ، الإثارةَ والارتباط بحركة التقدم ، في التطبيق العلمي بأكثر مما كان هدفُها متابعة حركة العلم المجرّد .

أما ما بعد ذلك فإننا نجده في « أمراء البيان » ، ونجده في « رسائل البلغاء » ، ونجده في « القديم والحديث » ، ونجده في « غرائب الغرب » ، ونجده في كتاب « تاريخ الحضارة » .. ولعل بعض ذلك مما نجده في الإسلام والحضارة العربية .

إن ما لم ينشر من كتابات كرد علي في المقتبس على هيئة كتاب ، من مثل ما كتبه في باب مطبوعات ومخطوطات ، استقر في ضمير كرد علي ودخل في مؤلفاته الأخرى على نحو غير مباشر .

أتراني أستطيع أن أقول بعد ذلك إن كرد علي لم يكن يصنع مجلة وإنما كان يمارس صناعة التأليف التي سيكون لها بعد ذلك في حياته شأن أي شأن .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- ١٣ -

ولكن كرد علي كان في الواقع يصنع مجلة .. كانت المجلة للآخرين يفيدون منها .. كانت لهـــذا الجيل الذي بدأ يتلمس المعرفة في صورها الجديدة .. سواء في ذلك المعرفة العلمية أو المعرفة الأدبية ، وسواء في ذلك الدراسات الإنسانية المعاصرة في اللغات الأجنبية أو الدراسات الإنسانية في كنوز الأجداد ومخلفاتهم .

ويحدثني الذين كانوا يعاصرون المقتبس كيف كانوا يترقبون صدوره ،

وكيف كانوا يتلقفون أعداده ، وكيف كانوا يتحلقون حول مقالاته وأخباره .. لقد داخل المقتبسُ حياة جيل كبير من قدامى المثقفين ، فأضاء لهم الطريق وقرن في حياتهم بين معارفهم التي كانوا يعرفون وبين المعارف الجديدة التي أتاحها لهم .. وداخل كذلك حياةَ جيلٍ كبير من ناشئة المثقفين آنذاك فأوقد في صدورهم العزم وابتعث عندهم العمل في نطاق الثقافة العربية ، تأليفاً أو نشراً أو تحقيقاً .. ولقد كان المقتبس في نفس قرائه مثلُ الذي كان له في نفس صاحبه .. ولعلها المجلة الولود التي كان ينمو صاحبها وكان ينمي مَنْ حوله .. كان يسمو هو وكان يُسْمي من حوله .. يرتفع درجات ويرفع الآخرين إلى قريب من هذه الدرجات .

— ١٤ —

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تلك خطوط أولى في محاولة دراسة المقتبس . إني أضع ما انتهيتُ إليه موضع المناقشة .

وكنتُ على أن أعالج المقتبس المجلة والمقتبس الجريدة .. ثم رأيتُ أنهما عملان من طبيعتين مختلفتين .. واشتراكُ التسمية بين الصحافة اليومية والصحافة الأدبية لا يجعل منها نوعاً واحداً .. وصدورهما عن رجل واحد لا يعني إلغاء الطبيعة الخاصة للصحيفة اليومية الإخبارية والصحيفة الثقافية الشهرية .. هنالك غايات تستقطب أحياناً جهود الإنسان في أيِّ ميدان كان .. كأنْ تغلب عليه دائماً نزعة إصلاحية أو دعوة فكرية أو سلوك محدود .. ولكن ذلك لا يعني توحُّد أعماله وانصهارها كلها في شكل واحد .

ولهذا تجاوزتُ المقتبس الجريدة ووقفتُ عند المقتبس المجلة .. ثم لما مضَيْتُ أعرض المجلدات الثمانية والعددين اليتيمين بعدها ، وهي كل ما صدر منها على مدى عشرة أعوام أو تزيد توقفتْ خلالها المقتبس عن الصدور مرتين ،

لما مضيتُ أعرض هـذا بعد العرضة الأولى استبان لي أن المجلدات الأولى التي صدرت في القاهرة تشترك مع المجلدات الأخرى التي صدرت في دمشق ، ولكنها تختلف عنها بقدر ماتتفق أحياناً .. تغيّر الرجل لا شك بعد عقد من السنين .. لقد بلغ الأربعين واكتسب تجربة وخبرة وسفراً .. فقد رحل إلى الغرب ورأى بعينيه هذا العالم الذي كان يقرأ عنه .. وقامت أحداث تاريخية خصبة من مثل إعلان الدستور العثماني ، واختلفت عليه البيئة من حوله بعض اختلاف .. فما كان في القاهرة لم يكن في دمشق على تواصله مع إخوانه وأصدقائه في القاهرة .

وكذلك استقر عندي أن من الخير لهذه الدراسة ومن الإحكام لأحكامها أن اقتصر على السنوات الثلاث التي صدرت في القاهرة .

وإذن فإن الكثرة الكاثرة مما انتهيتُ إليه من نتائج ووقفت عليه من ملاحظ في هذا الذي أقوله اليوم إنما هي المقتبس القاهري . وتطابقُ ذلك مع المقتبس الشآمي يحتاج إلى فضل تتبع وعمق قيران .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

— ١٥ —

وبعد ، فقد كان علي أن أقف عند جملة من النقاط الأخرى التي أغفلتُ عامداً الحديثَ عنها كأنْ أتمهل بخاصة عند المقالات التي كان يصدّر بها أعداد المجلة والتي كان لها عنوانها الثابت : صدور المشارقة والمغاربة .. وأن أتساءل كيف كان يختار هؤلاء الصدور .. أكان ذلك عفواً من العفو أم قصداً من القصد .. أكان أثراً لما يقع بين يديه أم كان عن خطة وهدف .. على وضوح الهدف وغياب الخطة .. ولكني لم أهتد في ذلك إلى ما أطمئن إليه .

وفي المجلة كتّاب : بعضهم كان يكتفي بالحرف الأول من اسمه لم أهتد كذلك إلى معرفة بعضهم .. وليست تلك هي القضية الأولى وإنما دراسة هؤلاء وتصنيفهم تبعاً للمادة التي كتبوا فيها والموضوع الذي طرقوه ، أو تبعاً لثقافاتهم ومنازلهم تطرح بعض التساؤلات وقد تقود بعض هذه التساؤلات إلى بعض النتائج .

– ١٦ –

وعلى أن دراسة أسلوب كرد علي البياني أمر لا يستغنى عنه . وعلى أنه لا يمكن أن يستفاد من خلال ما نشر في هذه السنوات الثلاث في المقتبس فحسب .. على هذا وذاك فأنا أحب أن أشير إلى أن الباحثين متفقون على أنه خرج على السجع وثار عليه وآثر الأسلوب المرسل . ولكنه مع ذلك كان له في الكلمات التي يكتبها في بداية كل سنة ، وفي نهايتها أحياناً أسلوبٌ هو أقرب ما يكون إلى أسلوب فرسان النثر العربي .. بعضه من الجاحظ ، وبعضه من التوحيدي ، وبعضٌ من ابن المقفع ، وبعض من نثر القرن الرابع .. وكان كثيراً ما يحليه ببعض السجع .. ولكنه هذا السجع الحرّ المطلق إن صحّ هذا التعبير ، وببعض البديع الذي يظلّ يصدر عن إيثار الفكرة لا عن تغليب اللفظ . واسمعوا ما يقوله في فاتحة السنة الأولى :

« وستنكّب – أي المجلة – في مسطورها مذاهب المذاهب والنحل ، وتتجافى عن طُرَق طُرُق السياسات والدول ، حتى تصفوَ مواردها من النزعات والنزغات ، ولا يستهويها في جانب ما تعتقده الحق وازعٌ ولا مُنازع ، تتمحّض للعلم المحض فلا يتحرج من تلاوتها الموافق والمخالف ، ولا يتبرم

بها العارف والعازف ، وتنطلق في الفكر وتتجوّزُ في الاقتباس والنشر ، وتُدْرِجُ في مطاويها ما وافق أغراضها ومغازيها .. »[١] .

لقد أثار هذا المقطع صديقه العلامة الأمير شكيب ارسلان .. ذلك أن كرد علي لم يجاف السجع فيما كان يكتبه فحسب بل أنكر ، فيما كان يكتب أصدقاؤه ، أن يقع لهم شيء منه .. ولذلك أصاب منه الأمير شكيب هذه الدعابة حين كتب إليه في أعقاب قراءته للعدد الأول ؛ قال : [٢]

« وآنستُ في نفسك انشراحاً ونشاطاً ، وقلةً في كمية السوداء وانحطاطاً . يدل على ذلك في مجلتك فكاهاتُ رويتها ، ومداعبات أثرتها ، وأسجاعٌ ملتَ اليها . متى كنت يا محمد مولعاً بالسجع ! عهدي بك لا تطيقه ، وإذا مررتَ بالجناس ولو تمثل لك واقفاً رفسته برجلك وأكببْتَه لوجهه . وطالما نَقِمتَ علينا التسجيع ، وأقمت علينا من النكير بعدد أنواع البديع ، وعددتَ سجع الحمام من قبيل سجع الحَمَام ، واعتبرت نفائس الجناس من وساوس الخنّاس . فهاأنذا أسجع الآن ولا حرج عليّ منك ولا تثريب ، وأجنّس وأنت ساكت ساكن وهذا أمر غريب .. فهل هداك الله إلى الصواب الآن حتى صرت في « مذاهب المذاهب وطرُق الطرق » ، أو هل نزغت بك نزغاتُ جِداد ، وجدّت بك أهواء لم تكن تمتاد ، أو لعلك حصرت السجع والجناس في فاتحة المجلة لأنها من المجلة كقاعة الاستقبال من البيت ، فلابد فيها من مراعاة الأمور الرسمية والسجع رسمي في المقدمات.. ولاعيب في هذه المقدمة إلاهذا السُعدانالذي في آخرها[٣].

---

(١) واقرأ بقية المقدمة . (٢) المقتبس م ١ ص ١٦٨

(٣) كان كرد علي ختم المقدمة بقوله : سبحانه وسُعدانه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لاتؤاخذني بالله عليك فلي عندك ثارات، وبصدري من حماطة الجُلجلان حزازات، وأنت منصف فلا ينبغي أن يثقل عليك الحق كما يثقل على غيرك .. الخ ».

وددتُ لو قرأتُ عليكم فاتحة السنة الثانية وفاتحة السنة الثالثة كذلك .. لكني اكتفي بهذه الإشارة إليها والإشادة بها .

* * *

وبعدُ، فقد قلتُ إن كرد علي حين كان يصنع المقتبس للناس كان يصنع لنفسه كتبه .. أفيحق لي أن أضيف أنه كان كذلك في الحين نفسه يضع البذور الأولى لمجلة مجمع اللغة العربية ؟..

أكانت مجلة المجمع في منهجها العام وفي أشعابها على هذه الأبواب الثلاثة : المقالات، والنقد والتعريف، والآراء والأنباء إلا تهذيباً لشكل المقتبس؟. أكانت مجلة المقتبس إرهاصاً بمجلة المجمع أو تمهيداً بين يديها ؟.

أفلا يحق لنا إذاً نحن الذين نفيد ونستمتع ونقبس من مجلة المجمع أن نذكر مقتبس كرد علي دائماً وأن نتوجه إليه بالتقدير المتجدد العميق .. وهل كان هذا الاحتفال إلا تجسيداً لهذا التقدير ؟.

سنظل أيها السادة نحار أيها كان أكبر : قدرةُ هذا الرجل على العمل أم قدرته على التأثير المتصل الذي تجاوز حياته وعصره إلى عقود وعصور تأتي ستظلّ تشهد له وستظل تحتفل به وتفيد منه ما ذكرت الأجيالُ العربية تاريخها ولغتها .. وهل ينسى العرب تاريخهم ولغتهم ؟.. ما كان ذلك ولا كان ولن يكون إن شاء الله . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ذكريات وآراء عن الأستاذ محمد كرد علي

الدكتور فيصل دبدوب

رحم الله الأستاذ محمد كرد علي رحمة واسعة ، فقد ترك فقده فراغاً لا يملأ وخسارة لا تعوض .

عرفت الأستاذ الرئيس وأنا طالب في كلية الطب بجامعة دمشق (الجامعة السورية) في مطلع الأربعينات ، إذ كنت أحرص على أن لا تفوتني محاضرة له ، فكنت أبكر في الحضور إلى المجمع العلمي العربي لأكون في الصف الأول حيث كانت قاعة المحاضرات في العادلية سرعان ما تكتظ بالحاضرين من الشباب المثقف ومن شبان شيوخ الدين ، ولم أجد لحية بيضاء بينهم إلا ما ندر ؛ وقد عرفت سبب ذلك بعد تعرفي إلى الأستاذ إذ قال لي ذات مرة إنه كان حرباً على الجامدين من رجال الدين ، وهذا هو سبب القطيعة . أما المرأة فقليلاً ما كنت أرى من هـــذا الزوج (الجنس) بين المستمعين في قاعة المحاضرات إلا في محاضرة عن المرأة عنوانها « القول في حقوق المرأة » ألقاها في « ٢٢ حزيران عام ١٩٤٤ م » فقد كان عددهن آنذاك ليس بالقليل .

خبرت الأستاذ الرئيس من محاضراته عالماً غزيراً ، ولغوياً قديراً ، ومؤرخاً منصفاً ودقيقاً ، قبل أن أجلس إليه أستمع إلى آرائه ، وقبل أن

أقرأ مؤلفاته وآثاره . وحبب إلى نفسي سماع محاضراته حسن إلقائه ، ودقة ألفاظه ، وجودة تلفظه ، وتأنقه في أداء القول دون تصنع ، وتلون أسلوبه بتنوع موضوعاته ، حتى لتخاله الفنان يلبس كل واحدة من حسانه ما يناسبها من طرز وألوان أبدعتها ريشته . وأسلوب الأستاذ له طابع خاص - رغم تلونه - يضمه في إطار ؛ فهو سهل ممتنع أشبه بأساليب البلغاء في صدر الدولة العباسية كعبد الحميد الكاتب وابن المقفع والجاحظ وأبي حيان التوحيدي ، وهو رقيق دقيق مسترسل غايته أداء المعنى دون تكلف أو حشو ؛ فهو في هذا أشبه بكتاب الاجتماع والفلسفة في الغرب من أمثال فولتير ، وروسو ، وسبنسر ، ورنان . يضاف إلى هذا ما رصع به بعض بحوثه من مصطلح حديث وضعه المجمع العلمي العربي أو غيره لمسميات حديثة ؛ فجمع في أسلوبه بلاغة العرب ودقة أساليب الغرب .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد زادني خبرة في الأستاذ جلوسي إليه في مكتبه بالمجمع العلمي من حين إلى حين كلما رفعت إليه رسالة أو مقالاً من خالي الدكتور داود الجلبي - عضو المجمع آنذاك - . ومن ذكرياتي أني زرته مرة وكان لا يقرأ ولا يكتب خلاف ما كنت أجده عليه قبلئذ من انغمار في التدوين وانغماس في المطالعة ؛ وقد استهل حديثه معي قائلاً : أنا الآن في حوار مع نفسي في أمر يهم كل مخلص في حبه لهذه الأمة ، والحوار يدور حول السبل والوسائل التي توصل أمتنا إلى ما تصبو له من مجد ومنعة : قلت أجل وما هي ؟ قال : إحياء التراث والعلم والنظام ؛ فللأجداد كنوز يجب أن نظهرها للناس لنبين دور الحضارة العربية الإسلامية في التاريخ الحضاري للعالم ، وعصرنا عصر علم ، فعلينا أن نباري الغرب فيه ، والعلم والنظام دعامتا التمدن الحديث ، ووضعها نصب أعيننا واجب علينا تحقيقه ،

فإن فعلنا ذلك كنا جديرين بالحياة ، وإن لم نفعل فقد خنا الأمانة فحقت علينا لعنة الجدود .

وبالحق فقد وفى الأستاذ مع الأجداد حين دعا إلى احياء التراث ، فآزر الباحثين - عن طريق المجمع - وبعث هو نفسه بعض المخطوطات من مرقدها فأخرجها من طواميرها وحققها وقدمها للباحثين ؛ وهي : « رسائل البلغاء » و « سيرة أحمد بن طولون » و « حكماء الإسلام للبيهقي » و « المستجاد من فعلات الأجواد » و « كتاب الأشربة » و « كتاب البيزرة » .

قلت إن الأستاذ دعا إلى التزود بالعلم والتمسك بالنظام وتجد دعوته هذه مبثوثة في كتبه : « غرائب الغرب » و « القديم والحديث » و « أقوالنا وأفعالنا » و « المذكرات » . وفي مقالة الذي ألقاه في المجمع في « ٧ أيار عام ١٩٤٣ م » وعنوانه : « أسباب الخطاطنا » .

وفي لقاء مع الأستاذ الرئيس سألني عن مسقط رأسي الموصل ، وعن القطر العراقي من حيث الآثار الإسلامية الباقية والمخطوطات والمناخ والحاصلات على اختلاف أنواعها والسكان والعمران وما إلى ذلك ؛ ومما قاله لي في سياق حديثه إن جده قدم دمشق من العراق للتجارة ثم اتخذها دار سكن ، فلا عجب أن أحب العراق وأهله ، ولا عجب أن توسّع في السؤال عنه وأسهب ، فالمرء يحن إلى موطن الأجداد بالفطرة . وقد سألته عن أرومته فأجاب أنه كردي عربي مسلم ، فعجبت ، واستطرد قائلاً : إن عجبت فلا عجب في الأمر ، فوالدي وأجدادي من الأكراد ، وليس للمرء في أرومته الخيار ، فأنا كردي العرق ، عربي الفكر والقلب واللسان ، مسلم العقيدة ، وليس لأي لغوي متعمق في لغة الضاد ، دارس

مؤرخ راسخ في دراسة التاريخ الحضاري لهذه الأمة إلا أن يكون عربي القلب والفكر والهوى ، مها كان محتده ومهما كانت عقيدته .

فالأستاذ مسلم سلفي دافع عن الإسلام فكان حرباً على من يطعن فيه أو يغمزه من مستشرقين وغيرهم ؛ والأستاذ عربي اللسان والفكر والهوى ، لذا كان حرباً على الشعوبيين وغيرهم من ذوي الأغراض .

سألت الأستاذ مرة عن رأيه في رسالة كان قد أرسلها إليه الدكتور داود الجلبي في إصلاح الكتابة العربية باستعمال الحروف اللاتينيه وعنوانها « رسالة تيسير القراءة والكتابة في العربية باستعمال الحروف اللاتينية » « الموصل / مطبعة آل حداد / ١٩٤٥ » ، وكان قد أرسل نسخاً منها إلى أعضاء المجمع اللغوي بالقاهرة أيضاً ؛ قال الأستاذ : إن رسالة خالك ليست الأولى في هذا الباب ، فقد قدم الأستاذ عبد العزيز فهمي رسالة في هذا الموضوع إلى أعضاء المجمع اللغوي بالقاهرة ، وكنت ضد فكرة استبدال الحروف العربية باللاتينية ولا أزال . أنا أعلم أن الدكتور داود الجلبي والأستاذ عبد العزيز فهمي ليسا موضع شك في إخلاصها الأمة العربية وللغة الضاد ، وأن اقتراحها هو اجتهاد ، ولها منه ما للمجتهد إن أخطأ أو أصاب ؛ ولكن لو قدر لهذا الاقتراح النجاح ـ وهذا احتمال بعيد ـ لخسرنا تراثنا من المخطوطات العربية التي هي كنوزنا ، بها نعتز وبها نباهي الأمم ، وبها نظهر ما أضفنا من حلقات في سلسلة تاريخ الحضارة العالمية ؛ ثم أردف قائلاً : لقد أبديت رأيي للدكتور بصراحة في هذا الخصوص بكتاب أرسلته إليه .

أشاد الأستاذ الرئيس بالحضارة العربية ودافع عن الإسلام والعروبة ، وتجد تفصيل ذلك في أثره الخالد على الدهر كتابه « الإسلام والحضارة

العربية » ؛ إن في هذا الكتاب من الصفحات المشرقة ما يجعله من أوسع المراجع في الحضارة العربية الإسلامية لكاتب عربي مسلم قدير متبحر .

أحب الأستاذ الرئيس العرب وحضارتهم وأراد أن يترجم حبه فكان كتاب « خطط الشام » ، وقد أراده أن يكون تاريخاً سياسياً ومدنياً مطولاً للديار الشامية فعمل له خمساً وعشرين سنة طالع خلالها زهاء ألف ومائتي مجلد باللغات العربية والفرنسية والتركية ، وقد أخرجه في ستة أجزاء .

وأحب دمشق وغوطتها فأخرج كتابه « دمشق مدينة السحر والشعر » . فكان من إخلاصه لعقيدته ، وحبه لأمته ، وتعلقه بتربة وطنه ومسقط رأسه ، هذه الثمار التي قدمها لأبناء الجيل ، والأجيال الصاعدة من الناطقين بالضاد . فحق علينا تسميته بأستاذ الجيل .

ولئن كان الأستاذ مربي الجيل بالفكر والمعرفة ، فهو مربيه بالنفس والخلق أيضاً ، فسيرته تعلم الوفاء والصدق ، والصبر والجلد ، فقد عشق العمل يسند إليه أو يسنده هو إلى نفسه ، فيهبه كل قلبه وكل تفكيره وكل حديثه ، وإن شئت فقل كل أحلامه . أسندت إليه رئاسة المجمع فكان — كما حدثني مرة — شغله الشاغل ؛ هو أحدوثته وهو شكواه وهو مفخرته ، وكيف لا يكون له مفخرة خالدة على الدهر والمجمع هو الذي خدم اللغة بمجلته ومحاضرات أعضائه ، وبما عرب ووضع من مصطلحات في العلوم والفنون ، وبما نشر من مخطوطات وطبع من نفائس ؛ فبعث الإيمان في نفوس المثقفين بالماضي القديم والمستقبل القريب .

إن سيرة الرجل تعلم الوفاء والصدق كما قلنا ، فقد كان وفياً مع تربة الوطن ولسان الأمة وعقيدة الملة ، وصادقاً في حبه للحق والحقيقة .

جدٌ وقت العمل لا يعرف دعة ولا يستوطن راحة ؛ وإن ركن إلى راحة بعد جهد ، أو قبل جهد ، ربما مال فيها إلى الدعابة والنكتة ليخفف عن نفسه أعباء العمل الذي قام به أو الذي ينتظره .

لقد أفادته رحلاته في بلاد الغرب فزادت في حبه للاستقصاء ؛ فتراه في عمله يستقصي دقائقه ويستشف بواطنه ويدير بيده دقيقه وعظيمه ؛ ولا يطمئن لشيء لم يشرف بنفسه عليه ؛ فالناس منه براحة وهو من نفسه في عناء . وشأنه في التأليف شأنه في العمل سواء بسواء .

والأستاذ كما عرفته ظهرة ، يشف ظاهره عن باطنه ويتمثل قلبه في لسانه . عمله في النور دائماً ، صدق في القول ، وصراحة بجرأة ، وإرادة جبارة ؛ لا يبالي من يعادي متى صادق الحق ؛ يرد من طلب منه غير الحق في أناة ، فإن أعاد الطالب رده في جفاء وغلظة .

لقد زرت مرة الأمير مصطفى الشهابي في مكتبه ، وكان آنذاك رئيساً للمجمع ؛ ودار الحديث عن جهود محمد كرد علي في تأسيس المجمع العلمي العربي ، ومما قاله الأمير الشهابي بحق الأستاذ الرئيس : « لو لم يكن لمحمد كرد علي من فضل على الأمة العربية ولغتها إلا إيجاد المجمع ورعايته لكفاه فخراً . لقد خسرنا بفقده عظيماً لا يجود الزمان بأمثاله إلا بشح » .

فأسألك اللهم — كما سلبت الأمة العربية عظيماً من أعلام الفكر — أن تعوضها عظيماً ، وأحسن إليه كما أحسن إلى أمته .

محمد كرد علي
وعلاقته بالعلماء والكتاب العراقيين

الأستاذ عبد الرزاق الهلالي

أيها الحفل الكريم :

إن التصدي للكتابة عن المغفور له ، الأستاذ محمد كرد علي ، مهمة شاقة — بالنسبة لي على الأقل — لأن تعدد صفحات حياته ، وتشعب مجالات نشاطه ، في شتى ميادين العلم والمعرفة ، تترك الراغب في الكتابة عنه ، في حيرة من أمره ، لا يدري من أين يبدأ ، وإلى أين ينتهي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إن هذه الشخصية الفذة ، التي لها هذا السجل الحافل ، في حقول الدين والتاريخ والأدب والسياسة والصحافة والاجتماع ، يصعب على أمثالي إيفاؤها حقها ، بل إذا كان زملاؤه الذين زاملوه وعملوا معه ، وعرفوه من كثب يتهيبون من ذلك ، فأنّى لي ، وأنا الذي لا أحفظ له في ذهني إلا صورة ذات لمحات خاطفة ، وإلا معلومات قليلة ، عن حياته الزاخرة بالمآثر والمفاخر ؟ أقول : كيف يتسنى لي بعد كل هذا ، أن

أستجيب لدعوة الصديق الغالي الدكتور عدنان الخطيب ، فأنجز لكتابة كلمة بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد هذا الرجل العظيم ؟!

ولكني بالرغم من حراجة موقفي ، وترددي في الاستجابة لهذه الدعوة الكريمة ، آثرت أن أزج بنفسي في هذا الخضم ، كيلا أحرم من شرف الإسهام في تخليد ذكر هذا العالم الجليل .

وفي ضوء ما تقدم ، جعلت حديثي عنه بهذه المناسبة ، خاصاً بعلاقته ، رحمه الله ، بالعلماء والكتاب العراقيين ، منذ مطلع هذا القرن حتى وفاته ، في عام ١٩٥٣ ، لا لكونه عراقي المنبت ، كردي الأرومة ، بل لكونه في طليعة المعنيين بالفكر العربي الإسلامي ، المقدرين لكل ما ينتج هذا الفكر أو يبدع ، في حقول العلم والمعرفة . ولكني قبل الدخول في هذا الحديث ، أرى لزاماً علي ، أن أشير إلى أن كثيراً من صفحات هذه العلاقة ، قد ضاع بعد وفاة أصحابها ، أو أن معظمها لا يزال مطموراً بين مخلفات هؤلاء العلماء والكتاب والشعراء ، فإذا لم يأت هذا الحديث مستوفياً معظم صفحات هذه العلاقة ، فعذري في ذلك واضح .

ومهما يكن من أمر ، فإن الذي تؤكده الوقائع ، هو أن أولى حلقات هذه العلاقة التي تلاحمت بين الأستاذ محمد كرد علي ، وبين إخوانه العراقيين ، بدأت منذ أن أصدر مجلته ، المقتبس ، في القاهرة سنة ١٩٠٦ ، واستمر منذئذ يزيد هذه الحلقات ، ويقوي من ترابطها ، لا سيا بعد رجوعه إلى دمشق ، ثم توليه رئاسة المجمع العلمي العربي ، فيها فترة طويلة من حياته .

وقد أوصلنا البحث إلى أن المغفور له ، الأب أنستاس ماري الكرملي ،

كان في مقدمة العلماء العراقيين الذين اتصلوا بهذا الصحفي الأديب ، عندما أخذ يبعث له بنتاج فكره ونثار قلمه ، منذ العدد الأول من هذه المجلة الرائدة ، وقد أحصى الأستاذ البحاثة كوركيس عواد ، المقالات والتعليقات التي كتبها الكرملي على صفحاتها فاذا هي عشرون مقالة وتعليقاً (١) ، وكان آخرها ، مقاله المنشور في الجزء السابع الصادر في سنة ١٩١٢ بعنوان « وصف كتاب : جامع التعريب بالطريق القريب » .

وليس من شك في أن هذه الصلة الأدبية ، ومن ثم صلة العمل المشترك في رحاب المجمع العلمي العربي ، قد زادت علاقتها قوة ورسوخاً ، انعكست آثارها في كثير من المواقف والمناسبات . وأذكر منها على سبيل المثال ، ما كتبه الكرملي ، حين أصدر صديقه ، الجزء الأول من كتابه الشهير « خطط الشام » ، في سنة ١٩٢٥ ، إذ قال :

« وضع العلامة الكبير ، صديقنا ، محمد كرد علي ، سفراً سيكون له أبد الدهر ، أثر فخر وذخر ، كما سيكون مستمداً لكل من يأتي بعده ، ويكتب شيئاً مفيداً عن سورية . لمثل — خطط الشام — لا يتصدى إلا طائفة من العلماء ، تفرغت للتاريخ والجغرافية والعلـم والأدب ، وما يتشعب أو ما يتولد من هذه الأمهات ، إذ مثل هذا التصنيف في عصرنا يتطلب وقوفاً تاماً على ما كتب في مواضيعه المتشتتة ويختار منها ما يوافق الصدق والتدقيق ، وهذه الأمور لا تتيسر إلا لنفر يعد على الأصابع . ولما كان بعض الرجال قد رزقوا حظاً وافراً من المواهب ، حتى ان واحدهم ليقوم بما يرزح تحت عبئه جماعة ، رأينا حضرة الصديق ، في

(١) الأب أنستاس ماري الكرملي حياته ومؤلفاته كوركيس عواد بغداد ١٩٦٦

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مقام عدة رجال ، فتولى بنفسه وضع هذا الصنف الفذ من نوعه ، وشحذ فوائده بل فرائده ، فجاء حافلاً وافياً بما انتدب له ، فأدى هذه الخدمة أحسن تأدية . » (١)

وظهر لنا بعد ذلك ، أن صلة قوية قامت بين محمد كرد علي وبين عدد من كبار شعراء العراق ، وفي مقدمتهم الشاعران الكبيران ، معروف الرصافي وجميل صدقي الزهاوي ، فقد أفسح لشعرهما صدر مجلته ، لأنه كان يرى في هذا الشعر ، ما يرقص ويطرب ويهذب ! ومن طريف ما وقفت عليه من صور تمثل العلاقة بينه وبين الأستاذ الرصافي ، هذه الصورة التي وردت في حديث الرصافي الذي أجراه معه المرحوم كامل الجادرجي سنة ١٩٤٤ إذ قال :

« في هذه الفترة من حياتي التي قضيتها في التدريس في (الاعدادي ملكي) وهي لا تتجاوز الثلاث سنوات ، صرت أبعث قطعاً من شعري إلى مجلة « المقتبس » التي كانت تصدر في مصر ، لصاحبها محمد كرد علي — وكان يحرر في جريدة المؤيد اليومية أيضاً — فصرت أنا والأستاذ جميل صدقي الزهاوي ، نرسل قطعاً من شعرنا فينشره في المجلة ، وفي بعض الأحيان في جريدة المؤيد للشيخ علي يوسف أيضاً .

ويظهر أن الأستاذ كرد علي ، كان معجباً بشعري ، فنشر قصيدتي بمحل بارز من مجلته بعنوان « أكبر الشعر » وكانت المقطوعة - اليتيم في العيد (٢) .

---

(١) لغة العرب ، عدد شهر آذار سنة ١٩٢٧

(٢) ومطلع هذه القصيدة هو :

أطل صباح العيد في الشرق يسمع ضجيجاً به الأفراح تمضي وترجع

ويظهر أن الزهاوي ، اغتاظ من ذلك ، لأنه بعد اطلاعه على هذا النشر ، انقطع عني ، وصار لا يكلمني ولا يواجهني مدة من الزمن » .

كما روى الرصافي ، قصة أخرى ، تكشف عن هذه العلاقة أيضاً إذ قال :

« وكانت القصائد تصل إلى أميركا في ذلك الوقت ، وكان في أميركا جريدة لصاحبها « نعوم البعلبكي » اللبناني ، وكان يقتبس هذه القصائد وينشرها في جريدته « المناظر » ، فكتب يوماً مقالاً قال فيه : « إن معروف الرصافي » اسم مستعار ، لا اسم لشخص حقيقي » وأورد أدلة على ذلك منها قوله « إنه لا يمكن في البلاد العثمانية ، أن يقوم رجل وينشر هذه القصائد ، وتتركه الحكومة وشأنه ولا تعمل له شيئاً » .

فكتب له محمد كرد علي ، كتاباً خاصاً يقول له فيه « إنك مخطىء ، لأن معروف الرصافي رجل حقيقي ولنا معه مكاتبات وهو في بغداد » .

فنشر البعلبكي هذا الكتاب في جريدته وعلق عليه قائلاً : « إننا لانسلم لمحمد كرد علي بهذا القول ، مالم ينقض الدليل الذي أقمناه على ادعائنا » .

ثم يقول الرصافي : فأرسل كرد علي ، إليّ هذه القطعة وكتب فيها يقول : « ان يا فلان ، اترك هذا الرجل وما يقول ، لأن الرجل يخدمنا من هذه الناحية ، فلماذا ننبه الحكومة على أن هذا الاسم حقيقي ، وهذا بسبب اضطهادنا ؟ » .

إن ما يرويه الرصافي يؤكد ما كان بينه وبين محمد كرد علي من علاقة قوية ، وقد ظهر لنا أن هذه العلاقة ذات قوة ومتانة بعد لقائها

في استانبول ودمشق ، ولا سيما بعد أن اختاره عضواً في مجمع دمشق بُعيد قيامه .

وكدليل على تقدير الرصافي لصديقه وإعجابه به ، نثبت هذه المقطوعة الشعرية التي نظمها فيه وأرسلها تحية له إذ قال :

تعودتُ إنشادي القريض المهذبا ... ونزّهت نفسي منه أن أتكذبا
ومن أجل حبي للحقيقة لم أكن ... مع الزمن الغاوي إذا ما تقلبا
ومن أجل جُهدي في استقامة منطقي ... أبَيْتُ لرائي أن يكون مذبذبا
وسافرت في البلدان طوراً مشرقا ... أرود العلى فيها وطوراً مغربا
وصاحبت من عرب وعجم أفاضلا ... بهم كنت في شتى المواطن معجبا
فلم أر في عرب وعجم لقيتهم ... كـ « كرد علي » في الرجال مهذبا
هو العالم الحَبر الذي كنت مغرما ... بآدابه منذ الشبيبة والصبا
فقد كان في مصر ، طرير يراعه ... يؤانسني بالممتع الغضّ مطربا
وكم كنتُ في الآداب والعلم كاشفاً ... بـ « مقتبس » من نوره ما تحجبا
إلى أن أنار الشام ، بالعلم عندما ... لمجمعنا أمسى الرئيس المرتبا
إذا معجمات العلم عنّت فلا ترى ... سواك إليها يا (محمد) معربا

* * *

أما علاقة شاعرنا الزهاوي بالأستاذ محمد كرد علي ، فلم تكن لتختلف عن علاقة الرصافي ، إذ كان ينشر قصائده ومقطوعاته الشعرية على صفحات مجلته باسمه الصريح تارة وباسم مستعار تارة أخرى .

وكدليل على متانة تلك العلاقة ، نذكر بأنه عندما مرَّ بدمشق ، وهو في طريقه إلى مصر سنة ١٩٢٤ ، أقام له صديقه كرد علي ، حفلة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تكريمية في رحاب مجمع اللغة العربية ، احتفاء به وتقديراً لمنزلته وشاعريته، فألقى الزهاوي في هذه الحفلة قصيدته التي مطلعها :

ظننت بأن الشعر يغني فما أغنى ... وكم شاعر في موقفي أخطأ الظنا

أشاد في بعض أبياتها بالمجمع العلمي قائلاً :

أرى المجمـــع العلمي خير وسيلة ... ليزداد ذو عـــلم على شأنه شأنا
أرى المجمـع العلمي يستنمو النهى ... أرى المجمع العلمي يستحضر الذهنا
سيجني شباب الشام منه فوائداً ... وعلماً لهم ، والعلم أحسن ما يجنى
وإني لفضل المجمع اليوم ، مكبر ... فقد جـاد بالعلم الغزير وما ضنا
سيشكر ما للمجمع القوم من يد ... كما شكرت أرض على الوابل المزنا
فبالعلم يُبنى المجد في كل أمة ... وأمّا بغير العلـم ، فالمجد لا يبنى

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهكذا منذ أن تولى الأستاذ كرد علي ، رئاسة هذا المجمع العتيد ، راح يرشح لعضويته من يعرف من العلماء والكتاب والشعراء العراقيين ، فكان أول من رشح منهم ، علامة العراق المغفور له السيد محمود شكري الالوسي ، والمحقق المدقق المرحوم الأب أنستاس ماري الكرملي . ثم تتابعت على مر الأيام ترشيحاته ، فكان من رشحهم لعضوية المجمع منذئذ حتى وفاته عام ١٩٥٣ ، الأساتذة المغفور لهم : معروف الرصافي ، جميل صدقي الزهاوي ، محمد رضا الشبيبي ، طه الهاشمي ، طه الراوي ، الدكتور داود الجلبي ، كاظم الدجيلي ، الدكتور مصطفى جواد . والأساتذة : العلامة محمد بهجت الأثري ، وأحمد حامد الصراف وكوركيس عواد .

وبحكم صلة العمل بين الأستاذ محمد كرد علي ، وبين هؤلاء الأعلام ،

كان له مع الكثيرين منهم رسائل متبادلة ، للعلم والثقافة والأدب فيها النصيب الأوفى ، إذ كان رحمه الله على علو كعبه في العلم ، واتساع أفقه في المعرفة ، لا ينفك يبحث عن الحقيقة ، ويقطع الشك باليقين ما أمكن ، فهو من أجل هذا لا يأنف من السؤال ولا يكل عن المتابعة ، رغبة في الوصول إلى محجة الصواب ، والتثبت ، قدر الإمكان ، من صحة ماسوف ينشره على الناس من بحث ، أو يحقق من كتاب .

ولم يكن بمقدوري ، وأنا أبحث عن هذه العلاقة ، الوقوف على بعض تلك الرسائل ، لضيق الوقت ، إلا أني وقفت لحسن الحظ على واحدة منها ، أثبتها في أدناه ، دليلًا على مسلكه في البحث والتحقيق ، أما هذه الرسالة ، فهي التي كان قد بعث بها إلى صديقه المغفور له العلاّمة الشيخ محمد رضا الشبيبي ، في شهر تموز سنة ١٩٤٦ ، وهذا نصها[١] :

صاحب المعالي العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي المحترم :

أخي وحبيبي :

عسى أن تكون في صحة وسلامة ، موفقاً في خدمة العلم وخدمة وطنك المحبوب .

إني في أشد شوق إليك ، وأغتبط بما أسمع الحين بعد الآخر من أخبار فضلك ، وجميل خدمتك ، ولكن طال الفراق ، ولا شيء يسليني عن اللقاء بعض السلوى ، إلا إرسال سلامي إليك بلسان الطارئين على الشام ، من إخوانك وإخواني فالله أسأل أن يريني طلعتك وأنت على ما أحب من الهناء والصفاء .

وبعـــد :

فقد رأيت أن أنشر كتاب « البيزرة » الذي دخل منذ ثلاث سنين

---

(١) تفضل بها علي الأستاذ أسعد الشبيبي نجل العلامة الشبيبي فله الشكر .

في ملك المجمع العلمي العربي — يراجع ما كتبته في وصفه ، في المجلد الثامن عشر من مجلته — وقد عدت إلى ما كتبه الأخ ، في الجزئين ، الأول والثاني ، من السنة التاسعة من مجلة « المقتبس » في الكتاب الذي عثر عليه في « البيزرة » يومئذ في إحدى الخزائن الخاصة في النجف الأشرف .

ومن الأسف ، أن المقتبس وقف بعد ذلك ، فلم أتمكن من نشر تتمة المقالة الثالثة وما بعدها من المبحث .

فهل أنت محتفظ بالتتمة ؟ وهل بالإمكان إخراج صورة من الكتاب بالتصوير الشمسي إن لم يكن طبع حتى الآن ؟ وإذا طبع أرجو إرسال نسخة منه .

وكل ذلك لأرجع إلى تصحيح نسختي إن أمكن ، وأرجو أن تتفضل وتذكر لي ما عثرت عليه من الكتب في هـذا العلم ، في خزائن العراق .

وفي نشر كتاب « البيزرة » فائدة علمية عظيمة من كل وجه ، ورجائي أن تكون لي عوناً على ذلك ، فقد عودتني وعودت الناس منك ، بذل مثل هذه الأريحية في خدمة العلم والأدب ، أطال الله بقاءك ومتعك بالصحة .

رئيس المجمع العلمي العربي

محمد كرد علي

هذا ما كتبه إلى صديقه الشبيبي ، كما ظهر لنا أنه كتب إلى غيره من أصدقائه العراقيين أيضاً ، حول الموضوع نفسه ، فها هو ذا في مقدمة كتاب « البيزرة » الذي أصدره سنة ١٩٥٣ يقول :

«وفي الختام أتقدم بالشكر ، لأصدقائي الذين عاونوني في نشر هذا المصنف الطريف ، ومنهم العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي العراقي ، فقد تفضل وزودني بمعلوماته في كتب البيزرة ، وكذلك العلامة الدكتور داود الجلبي الموصلي ، فقد تفضل وكتب لي جريدة بما اطلع عليه من كتب هذا الفن ، ولا سيما ما كان محفوظاً في خزائن الموصل .

والشكر للأستاذ البحاثة ، عباس العزاوي البغدادي ، لتكرمه بكتابه فصـــل في البيزرة يثبت فيه ما عرفه من كتبها ، في خزائن العراق والأستانة » .

ومهما يكن من أمر ، فالذي لا بد لي من التأكيد عليه ، هو أن هذه الشخصية الفذة ، كان لها في قلوب هؤلاء العلماء والكتاب ، منزلة سامية ، قبل أن يظفر بها أحد ، وإن الكلمة التي كتبها العلاّمة الأستاذ محمد بهجة الأثري ، في مقدمة كتاب « محمد كرد علي »[1] لمؤلفه صديقنا الفاضل الأستاذ جمال الدين الألوسي ، أقول إن هذه الكلمة تمثل وجهة نظرهم أصدق تمثيل ، إذ قال فيها :

« .. الأستاذ محمد كرد علي ، رحمه الله ، أمة في رجل ، أهلته مواهبه العديدة لأن يكون أحد بناة النهضة الحديثة ، وقادتها الكبار في بلاد العرب ، وسيرته مثال رائع لمضاء العزيمة ، وخلوص النية ، وصدق العمل ، وحب الخير ، وإرادة الإصلاح ، نافح عن العروبة والإسلام ، ودعا إلى الحرية ، وقاوم الاستبداد ، وأجال قلمـــه في ميادين مختلفة ، مستنهضاً وباعثاً على الحركة والإحياء . وكتب ما كتب في الأدب والتاريخ

(١) صدر في بغداد سنة ١٩٦٦

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

والاجتماع والسياسة ، ببيان سهل ممتنع ، ورأي سديد ، ووفر لمؤلفاته مادة غزيرة وتحقيقاً جيداً ، فزخرت بالمفيد الممتع ، وجمع علمه بين أفضل ما في القديم وأمتع ما في الحديث من المعارف الانسانية » .

وبعـــد :

فهذا ما تسنى لي الحصول عليه ، من النماذج والصور التي تكشف عن علاقة المغفور له محمد كرد علي ، وصلته بإخوانه العلمــاء والكتاب العراقيين ، أرجو أن يكون في عرضها بهذه اللمحة الخاطفة ، شيء من النفع والفائدة والمتعة والطرافة .

وفي الختـــام :

أتوجه بالشكر الجزيل إلى سيادة الدكتور الجليل حسني سبح شافاه الله وعافاه ، وإلى الصديق الغالي الدكتور عدنان الخطيب ، وإلى الأخ الكريم الدكتور شكري فيصل ، وإلى جميع أعضاء المجمع الكرام ، أشكرهم جميعاً على دعوتهم الكريمة التي هيأت لنا شرف الإســهام في تخليد ذكر مؤرخ الشام وعالمها الكبير الرئيس محمد كرد علي طيب الله ثراه ، والسلام .

محمد كرد علي في مصر

الأستاذ أنور الجندي

إنها لسعادة كبرى أن تشرفوا مثلي بالاشتراك في هذا المهرجان الضخم لإحياء ذكرى رجل من أجل رجال الفكر العربي الإسلامي المعاصر والحديث معاً في بلادنا العربية . مجاهد ظل أكثر من خمسين عاماً من الزمان يجالد في سبيل ترقية هذه الأمة وحماية لغتها وحفظ كيانها وبعث تراثها فكان له على هذا الجيل الحاضر كله دين قائم في الأعناق سواء في مصر أو سوريا أو أي جزء آخر من هذا الوطن الكبير .

ARCHIVE
http://archive.sakhrit.com

وإنا لنعترف في مصر بفضل هذه الأسرة الشامية التي عاشت في تلك الفترة قبيل بدء هذا القرن وخلاله والتي كان لها في الصحافة والثقافة أعظم الأثر وخاصة أسرة الشيخ الجليل طاهر الجزائري وتلاميذه وأحبابه : رشيد رضا وكرد علي ومحب الدين الخطيب وعبد القادر المغربي . ذلك أن هذا الشيخ هو بمثابة العروة الوثقى لهذه الجماعة التي جددت الفكر وجددت السنّة وأقامت منهج الفكر الإسلامي الحديث على أصوله الأصيلة ووفق جوهره الأمثل ، وإن كان الشيخ الجزائري قد جاء من الجزائر والمغربي من المغرب وكرد علي من العراق في المشرق فإن ذلك كله إنما

يؤكد وحدة هذه الأمة ووحدة فكرها ويمثل مجدداً تلك الحقيقة التي تقول إن الفكر الاسلامي العربي إنما يصنع رجاله فيرفعهم فوق العروق والأجناس والعصبيات إلى أفق الوحدة والإخاء الانساني. وفي ضوء هذه الحقيقة ننظر إلى العلامة محمد كرد علي في تراوحه بين مصر والشام من ناحية وبين دمشق وكل أجزاء البلاد العربية والاسلامية.

ولا ريب أنه مدين ومعترف بدينه الشيخ طاهر الجزائري وقد سجل هذا بوضوح كامل في مقدمة كتابه (كنوز الأجداد) حيث قال:

إلى روح من أشرب قلبي حب العرب وهداني إلى البحث في كتبهم: صدر الحكماء سيدي وأستاذي العلامة الشيخ طاهر الجزائري.

والحق أن الشيخ الجزائري المملاق لم يكن قوي الأثر في هذه المجموعة من رجال الشام وحدها ولكنه كان عميق الأثر في المجموعة التي عرفها وعاشرها في القاهرة خلال أربعة عشر عاماً أقامها في مصر وقد ألهب وجدان من عاشروه خاصة الأحمدان: أحمد تيمور وأحمد زكي الملقب بشيخ العروبة، ليس بأسلوبه وحديثه فحسب، ولكن بأسلوب عيشه ونظام حياته فقد عاش في مصر لا يقبل عطاء من أحد مها جل أو صغر، وإنما جعل اعتماده في عيشه على الكتب التي اقتناها في حياته فقد أخذ يبيع منها بالتدريج ويسمح لنفسه ببيعها إذا تأكد أنها تحفظ في معاهد عامة كدار الكتب والخزانتين التيمورية والزكية في القاهرة فان معظم نفائس خزانته نقلت إليها وتمزز الشيخ أثمانها نحو أربع عشرة سنة وكان اشتراها في صباه بأثمان بخسة فارتفعت أسعارها عشرة أضعاف أو أكثر (١).

(١) كنوز الأجداد: محمد كرد علي

ولعل وجود الجزائري في مصر هو الذي دفع الكثيرين إلى ورودها وإن كان رشيد رضا قد وردها ١٨٩٨ وكرد علي ١٩٠١ أما هو فقد قدمها ١٩٠٧ وأقام بها إلى عام ١٩٢٠ .

ولا ريب أن أسلوب حياة الشيخ طاهر الجزائري يعطينا كثيراً مما نود أن نتعرف إليه في حياة كرد علي من إبائه وتعاليه على التبعية والتزلف ويؤكد كرد علي وهو يستعرض حياة الشيخ الجزائري على هذا المعنى ويومىء إلى اطراده في حياته هو حين يقول : ولا أكون إلى المبالغة إذا قلت إن عزة النفس ، وهو الخلق الذي ندر في علماء المسلمين لعهدنا ، كان مما تفرد به فقد كان له إباء الملوك الصالحين وزهد الزاهدين العابدين . وهو شبيه به في عقد الصلات الواسعة مع كل أهل العصر ، على اختلاف أديانهم وجنسياتهم وكان كذلك مثيلًا له وشبيهاً في قول كلمة الحق دون أن يخشى لومة لائم .

لقد عاش العلامة محمد كرد علي في مصر سنوات ما بين ١٩٠١ و ١٩٠٨ جاءها ثم غادرها ثم جاءها مرة أخرى ثم غادرها بعد إعلان الدستور العثماني ولكنه ظل متصلًا بها بعد ذلك حتى وفاته سنة ١٩٥٣ ، لم تبرح خاطره لحظة ، ولم يمر عام أو عامان دون أن يردها ويشارك في أحفالها ومؤتمراتها ، وكان إلى آخر لحظات حياته متابعاً لما ينشر بها من فكر وكتب وصحف ، يعلق عليها وينصح ويوجه ، إيماناً منه بالنهضة العربية الفكرية ودعماً لها .

ولقد كان حريصاً على أن تطبع مؤلفاته في مصر ، وأن يقول رأيه في كل ما يطرح في صحفها أو مجتمعاتها من رأي . وقد حفلت الصحف بآثاره منذ عام ١٩٠١ إلى نهاية حياته ؛ نشرت له المؤيد والأهرام والثقافة والرسالة والمقتطف والهلال .

وقد اتصلت أسبابه بالمحبة والمودة بعشرات من قادة الفكر المصريين منهم والذين أقاموا في مصر ، وكان لهم وفياً وبهم حفياً ، وقد ضمهم إلى المجمع العلمي العربي الذي أنشأه وتولاه منذ عام ١٩٢٠ وكتب عن أعلامهم فصولاً مطولة وألقى عنهم محاضرات .

ومن أهم هؤلاء الأحمدان المصريان المحدثان (أحمد تيمور وأحمد زكي) وذلك على نسق الأحمدين المصريين القديمين (أحمد بن يوسف الكاتب وزير المأمون وأحمد بن يوسف المعروف بابن الداية مؤرخ بني طولون) كما كتب فصولاً مطولة عن أحمد فتحي زغلول والمراغي ومحمد عبده .وكان حتى آخر أيام حياته مليء القلب بالحنو والمحبة لأصدقاء القلم يردد أسماءهم ويجدد العهد بهم ، وينشيء له صداقة مع الأجيال التالية لجيل الرواد فيذكر: محمد عبد الغني حسن وشوقي ضيف وجمال الشيال وسعيد العريان وسيد قطب وعلي أدهم .

— ١ —

عاش محمد كرد علي في مصر حياة خصبة ، فقد شارك مشاركة فعلية في قيادة دفة الصحافة فتولى الإشراف على صحف ثلاث : هي (الرائد — الظاهر — المؤيد) .

وفيها أنشأ مجلة المقتبس وأصدرها ثلاث سنوات في القاهرة ثم والى إصدارها في دمشق بعد عودته إليها ١٩٠١

يقول : أول مرة دخلت مصر قاصداً زيارة آثارها ومصانعها والتعرف إلى رجالها في الطريق إلى باريس ، عرض عليّ صاحب جريدة (الرائد المصري) نصف الاسبوعية (نقولا شحاده) بواسطة صديقي الأستاذ رشيد

رضا صاحب المنار أن أحور جريدة الرائد وقد جعلها واسطة للطعن في أصحاب المقطم، وكانت جريدة الرائد من جرائد المية تصطنع الطعن بالمحتلين وكأنها ابنة جريدة المؤيد أو ذيلها وكان صاحب المؤيد يعطف على صاحب الرائد المصري .

هذه تجربته الأولى . ثم عاد إلى الشام بعد عشرة أشهر .

وهبط مصر للمرة الثانية عام ١٩٠٥ عازماً على أن يصدر المقتبس شهرية تبحث في العلوم والآداب وكانت صلته قد توثقت بالشيخ علي يوسف وبأصحاب المقتطف وكان يكتب في المؤيد وفي المقتطف .

وقد دعاه الأستاذ محمد أبو شادي صاحب جريدة الظاهر اليومية للعمل معه في القلم الفرنسي بعد أن جرى اختباره في ترجمة البرقيات التي قام بترجمتها في أقل من ربع ساعة . وكان يعمل معه في (الظاهر) الأستاذ محمد لطفي جمعة المحامي وكان يترجم للظاهر من الانجليزية . وفي هذه المرحلة أخذ يترجم من الصحف الفرنسية والتركية ويكتب المقالة السياسية والاجتماعية والأدبية وقد رأس تحرير الظاهر بعد خمسة عشر يوماً من العمل بها . وأصدر المقتبس الشهري ، وقد دعاه الشيخ علي يوسف ليعمل معه ، فقال له : إن صاحب الظاهر قد ولاه رئاسة تحريرها وصرف الرجل الذي كان قبله ، واعتمد عليه فلا يسعه أن يتركه . ولما كان في المؤيد مع علي يوسف أصدقاء يعزهم منهم محمد مسعود وحافظ عوض فقد خشي أن يكون عمله في المؤيد محرجاً لهم حيث يتولى رئاسة التحرير ، بينما هما صاحبا الفضل في إنشاء المؤيد وهما في غاية الكفاءة علماً وأخلاقاً .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

يقول : كيف يجوز أن أرأسها وماضيها في المؤيد ماضيها ، وهما مصريان أعرف مني بما ينفع جريدة مصرية .

ولما خرج مسعود وعوض ، وعرض عليه العمل في المؤيد قبله بزوال الحرج الذي كان قد أحس به لوجودهما ، وقد أشرف على موضوعات الأدب والسياسة والتاريخ ومقالات المؤازرين وكتابة الافتتاحيات إذا اقتضت الأحوال .

ونرى أن تحريره المؤيد هو الدعامة الثانية لشهرته بعد مقالاته في المقتطف .

ولا ريب أن هذه الوقائع تعطي صورة واضحة لنفسية عالية في العفة والكرامة والخلق ثم يجيء بعد ذلك دوره في العمل من أجل خدمة مصر وحماية القيم الأساسية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد شارك في ذلك بجهد واسع فقد حارب مع المحاربين « دنلوب » مستشار المعارف وانتقد الدور الذي كان يرمي إليه في تأخير الدروس العربية .

يقول : فأدرك رجال ذلك الدور وناشئوه ما يحمل قلبي من حب مصر ، فأعطوه ثقتهم وصداقتهم وفتحوا له قلوبهم واطلعوه على ما لا يطلع عليه إلا خاصة الخاصة .

— ٢ —

وقد أقام العلامة كرد علي في مصر مشاركاً في النهضة الصحفية والفكرية فكانت له ندوات ومجالات عديدة اندمج فيها وتعرف فيها إلى الكثيرين واكتسب منها خبرة وتجربة .

- كانت ندوته الأولى هي « بيت الشيخ محمد عبده » في عين شمس

ومحاضرته في الرواق العباسي ، ومجالسه في بيت أحمد تيمور . وكان رفيقه في هذه الندوات الشيخ محمد رشيد رضا . وكان يشهد هذه الجلسات الحافلة : حسن عاصم ، وقاسم أمين ، وفتحي زغلول ، وعبد العزيز جاويش ، ومحمد المهدي وحسن المنصوري ، وأحمد السكندري ، وسعد زغلول ، وحفني ناصف واسماعيل صبري ، ومحمود سامي البارودي ، وعلي بهجت ، واسماعيل رأفت ، وعبد العزيز محمد ، والسيد محمد الببلاوي ، وحافظ إبراهيم ، وأحمد إبراهيم وعبد الوهاب النجار .

يقول : هذا المجلس كان المرحلة الأولى التي فتحت أمامي باب الدخول إلى المجتمع المصري وتشرفت بعشرة هذه الطائفة الممتازة .

ولقد أحب كرد علي الأستاذ الإمام ، وأحب أحباءه وكره خصومه حتى ليقول : إنه لم يقترب من (إبراهيم المويلحي) وهو من أبرز الكتاب في ذلك الحين لأنه كان يراه ينال من الشيخ محمد عبده ويتقول عليه ويضع عليه أموراً لم يفعلها : « كنت يومئذ أعشق الشيخ وأفتخر بالانتساب إليه وأعجب ببلاغته ، وكنت أحضر دروسه في التفسير مرتين في الأسبوع في الرواق العباسي في الأزهر وأغشى مجلسه الخاص في داره بعين شمس مرة في الأسبوع » .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

ويتحدث عما يدور في مجلس الشيخ الإمام فيقول : قال أحدهم : أرى إبراهيم المويلحي في هذه الأيام ساكتاً عن مولانا الأستاذ . قال الشيخ : أنا أحمد الله على ذلك ولولا أن الأسد مصاب بالنسيان لافترس جميع الحيوانات .

ومن رواد ندوة الشيخ الإمام الذين عجب لأمرهم كرد علي الشيخ محمد شاكر الذي كان يقبل راحة الشيخ من قفاها وباطنها ويبالغ في

احترامه ، بينا كان معروف أنه من خصوم الشيخ قال : لاحظ الشيخ اهتمامي فما زادني على نظرة بابتسامة ، وعلمت بعد ذلك أن الشيخ هو الذي أشار إلى الشيخ محمد شاكر أن يغمزه في بعض الأحايين ويظهر للملأ أنه من خصومه ليقتنع القصر أنه وإياه على طرفي نقيض .

● الندوة الثانية : « بعكوكة وحيد الدين الأيوبي » .

ويروي الأستاذ كرد علي ذكرياته عن هذه الندوة فيقول :

عرفت صديقي وحيد الدين الأيوبي وهو وأنا في ميعة الشباب وكان من أبناء الأعيان المفكرين والمثقفين ، تعارفنا زمناً ثم التقينا وإذا به رئيس جمعية جهرية سماها اسماً غريباً « البعكوكة » ، وبعكوكة الناس مجتمعهم على ما في القاموس ، وكانت هذه البعكوكة تنعقد كل ليلة في قهوة متواضعة من منعطفات شارع إبراهيم باشا ثم انتقلت إلى قهوة السلام من نفس الشارع ويبدأ اجتماع أعضائها من بعد العشاء وينفضون في ساعة متأخرة ولا يقل أعضاؤها المواظبون عن ثلاثين رجلاً : من محامين وأطباء ونواب ومؤلفين وأعيان أصحاب أطيان : اجتماع للمرح والتنادر وسماع الأخبار فإن بعكوكتهم فوق الأحزاب وفوق السياسة .

تلك كانت البعكوكة المفضلة التي ظل يختلف إليها كلما عاد إلى مصر وذكرها في مذكراته مرات ، متحدثاً عن خفة أرواح رجالها وتنكيتهم، ناهيك بخفة روح محجوب ثابت . يقول إن وحيد كان يكتب في الأهرام قطعاً لطيفة في اللغة والأدب والسياسة ومنها تعليقه على تصريح لأحد الساسة البريطانيين حين قال :

(إن الانجليز يرابطون في مصر لحماية الاستقلال)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فقال إن عندنا الآن إذاً احتلال واستقلال . عندنا احتقلال . وكثر السائلون عن هذا المصطلح وعما إذا كان له أصل في اللغة وهنؤوه على توفيقه للعثور على هذه اللفظة الجميلة ، وعبثاً حاول أن يقنعهم أنها لفظة وضعت وضعاً وما كان يرضى أن يقول إنه وجدها في معجمات اللغة .

● الندوة الثالثة : هي ندوة السيد توفيق البكري نقيب الأشراف وشيخ مشايخ الطرق الصوفية . وقد شارك فيها وكانت له بالسيد البكري صلة وثيقة .

وهو يصوره حين التقى به يقول : فرأيته متكلماً منطيقاً حلو الحديث يمت إلى الأدب بصلة قوية ، وهو أقرب أن يكون شاعراً منه إلى أن يكون ناثراً وكذلك مجلسه فهو مجلس أقرب أن يكون مجلس أدب من أن يكون مجلس رجل سياسة ، ويجيد الفرنسية إجادة حسنة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يقول : سألت عنه أستاذه الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي وكنت أعلم أنه أخذ عنه كثيراً وأن بينهما صحبة وثيقة فقال لي :

ما رأيت رجلاً فتح الله عليه بغلط مثل توفيق البكري في كتابه « أراجيز العرب » فهو من أوله إلى آخره مغلط . وقال : إنه ليس في مصر من يفهم لغة العرب غير اثنين : محمد عبده وأحمد تيمور .

ويروي العلامة كرد علي : أن السيد البكري بعث إليه يستدعيه إلى داره لغرض مهم فذهب الفكر حالاً إلى أنه يريد أن يستشيرني في مسألة خاصة ، وقدم لي مبلغاً من المال لمعاونتي على إصدار المقتبس : فقلت له : يا صاحب السماحة : إن المجلة رأس مال ودخلها يفي بخرجها وشكرته وظهر عليّ الانقباض ثم التفت وقلت له :

ثق إن جريدة الظاهر لا تدخل في مسألتكم وهذه مسائل لا تنفع القراء (وكنت رئيس تحريرها) وليس من مصلحة الجريدة أن تخوض فيها فسر لذلك ، فانصرفت ولم ألقه بعدها .

● وتحدث عن ندوة قهوة اسبلندر بار حيث كان يجتمع فيها أقطاب الصحافة إذ ذاك : محمد مسعود ، وحافظ عوض ، وداود بركات ، ويوسف الخازن ، وصادق عنبر ، ومحمد السباعي ، وسليم سركيس ، وتوفيق حبيب .

● كما تحدث عن قهوة متاتيا وجماعة دار العلوم : محمد المهدي ، وأحمد الاسكندري ، ومحمد الخضري ، وعبد العزيز جاويش ، وحسن توفيق عدل ، وسلطان محمد ، وحفني ناصف ، وأحمد إبراهيم ، وحسن منصور ، ومحمد دياب ، ومحمد عبد المطلب ، ورأسهم الدكتور عثمان غالب .

● وتحدث عن جماعة بار اللواء أمام جريدة الأهرام وما لقي بها من أرباب الثقافة العالية .

● وكان لكرد علي صداقة عميقة بزعماء الاصلاح والتجديد في الأزهر وفي مقدمتهم المراغي والزنكلوني وكان معهم على خلافهم مع الشيخ الظواهري .

ويرجع هذا إلى موقف الشيخ الظواهري منه حين طلب إليه الاعتذار عن إلقاء محاضراته في الجامعة الأمريكية وحذف له بعض جمل منها .

وهو معجب بالشيخ الزنكلوني ، وقد حضر معه دعوات كثيرة عند الشيخ الفبان والشيخ المراغي .

● وهو معجب بكل أهل الأصالة في كل ميدان وممن يحبهم وأمين

الرافعي ، يقول : عرفت أمين الرافعي وطنياً صادقاً يخدم مصر وسياسة مصر ويخدم الاسلام والمسلمين بروحه وقلمه ونبوغه ، وعرفت أنه شريف بكل ما في الشرف من معنى ، وقد عرض عليه عشرة آلاف جنيه من يحيى إبراهيم رئيس الوزراء معونة لجريدته التي كانت في حاجة إلى العون ، فرفض ، فقيل له لا تغير خطتك فقال : إني ما أخذت شيئاً من أحد بدون عوض . ولا يريد أن يعوّد نفسه لأن يأخذ شيئاً من أحد .

كما عرض عليه فتح الله بركات التكفل بوفاء ديونه على أن يبقى حراً فلم يقبل وهو في أشد الضيق . وبعد أيام توقفت جريدة الأخبار ، حتى قالت إحدى كبريات الصحف الانجليزية لما نعت أمين الرافعي : إنه مات رجلٌ يقلّ جداً في العالم من لهم مثل أخلاقه .

وهكذا كان كرد علي يحب النماذج العالية في الخلق . وتلك شميلة من شمائل شيخه طاهر الجزائري

– ٣ –

لقد كان لكرد علي موقف واضح صريح من أهل الفضل ، وموقف صريح واضح من أهل الباطل ، فهو من أهل المثل العليا وأصحاب الأصالة وهو لذلك يحب النماذج العالية من الخلق وسيرته وحياته وذكرياته كلها حافلة بهذا الموقف الذي لا يتخلف .

ومن ذلك محبته للأمير عمر طوسون وإعجابه به وقد نوّه به في مذكراته وأشار بالتفصيل إلى ما دار بينهما من حوار قال : لما لقيته سألني سؤالين : كيف قسمت الديار الشامية بعد الحرب العامة الأولى ؟ وهل صح ما نقلته في وصف حكومة إبراهيم باشا في الشام ؟ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد أجاب كرد علي في إفاضة ، وخاصة فيما يتعلق بابراهيم باشا وتقديره له ولعمله في الشام بما عرف عن عدل حكومة إبراهيم باشا في أهل سورية وقد ودّعوه بدموعهم يوم أن غادر البلاد . وهو يذكر سجايا عمر طوسون في مذكراته بافاضة ويذكر له تعليمه لشباب السودان وبناء المساجد بها .

ومحبته وحديثه وإعجابه بالمرحوم أحمد تيمور يفوق كل وصف فهو عنده مثلٌ عالٍ من حيث الفضل والخلق والنبل ولاريب فإن تيمور كان مؤمناً شديد الايمان بهذه الأمة ، غيوراً عليها، وكانت مودته للشيخ طاهر الجزائري تفوق الحد ولقد كتب مقاله الأحمدان : عن أحمد تيمور وأحمد زكي فكشف عن جوهر الرجل ونبالة قصده ، وطهارة خلقه بالمقارنة إلى شيخ العروبة الذي كانت تغلب عليه مظاهر الشهرة والتفاخر والاستعلاء .

وكان كرد علي يؤمن بالصداقة على نمط عال من الحب والتضحية والوفاء ، عامل به كل من لقيه وعرفه وإن كان لم يجد في كثير ممن عرفهم مثل وفائه وتضحيته . ولذلك فقد بدا وكأنما هناك عقوق ظاهر وإن كان هو تفاوتاً في درجة الصداقة والإخلاص . أما كرد علي فهو ممن يؤمن بأسلوب خصوص الخصوص ، ويرى المودة في أعلى مراتبها بينما كان بعض من أحب وأخلص يؤمنون بالحد الأدنى للمودة فكان هذا بالنسبة إليه عقوقاً يستحق النقد والتشهير .

فهو قد أدخل كل أحبابه وأصدقائه في مجمع دمشق ، وأولى اهتمامه بآثارهم وإنتاجهم وأشاد بهم ، وكان يرى أن من حقه عليهم أن يعاملوه بالمثل ، ولكنهم عجزوا عن مجاراته في أسلوب الصداقة والود الرفيع ، ولعلهم كانوا في منزلة العموم أو الخاصة ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يبلغوا منزلته العالية في الوفاء التي نطلق عليها « خصوص الخصوص » إن صح

هذا التعبير . ولقد ضم العلامة كرد علي إلى مجمع اللغة العربية بأخرة ، عام ١٩٤٤ وكان له أمل في أن تنشر الرسالة والثقافة عن مؤلفاته وأن تطبع لجنة التأليف والترجمة آثاره ، ولكن هذه المؤسسات الثلاث قصرت في ذلك وهو بطبيعته حاد الطبع عجول ، متحمس ، يقايس الناس على مشربه وأسلوبه وعاطفته ، ومن هنا كان خلافه مع الأحمدين المصريين الأخيرين : أحمد حسن الزيات وأحمد أمين . وإن كان له وجه في الخلاف مع هيكل والمازني ومع لطفي السيد .

وكان كرد علي ممثلا للشام في كثير من الأحفال والمؤتمرات ، مثل سوريا في حفل تكريم أمير الشعراء شوقي ، وفي عديد من المناسبات .

وكانت له صلة بكبار الحكام وقد عرض عليه العمل في القصر مرات ولكنه كان حريصاً على أن تظل علاقته بمصر علاقة أدب وفكر وليست علاقة سياسة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عرف الخديوي عباس حلمي الثاني وعرف فؤاد وفاروق .

يقول : أبيت سكنى مصر مع أني أجد بين ظهراني إخواني فيها من السلوى ما لا يتيسر لي أن أنعم بمثله في بلدي . وينشد :

بالشام أهلي وبغداد الهوى وأنا بالرقمتين وبالفسطاط إخواني

وفي القاهرة أخرج من المقتبس ثلاث مجلدات وطبع بمصر عديداً من كتبه : القديم والحديث ، وغرائب الغرب ، والاسلام والحضارة العربية .

وكان كرد علي يتعامل مع علماء الأزهر على النسق الذي أشاده وأعلاه في الشام الشيخ طاهر الجزائري بالنسبة للتحرر من البدع والتقليد ، وهو اتجاه كان قائماً في مصر أيضاً عن طريق الشيخ محمد عبده والسيد

رشيد رضا وكان له معارضون كثيرون من شيوخ الأزهر في ذلك الحين .

وإذا حاولنا أن نتعرف إلى خلق كرد علي في مودة الناس وحبهم وعقد الصلات بينهم على هذا النحو الواسع العريض وجدنا ذلك في أسرته فقد أشار إلى أن والده في آخر أيامه أحصى له أكثر من ثلاثمائة صديق طوتهم الخوسا (يريد الأرض) وأصبح بعدهم غريباً .

وقد أحصى كرد علي في مذكراته عدداً كبيراً من أصدقائه وأحبابه في مصر والشام وغيرهما لا يقل عما أحصى والده .

— ٤ —

أبرز ما تتمثل فيه شخصية محمد كرد علي — ونحن لا نزال في إطار حياته في مصر — وضوح شخصيته وصراحته وجرأته في الأخذ على العلماء طابع المصانعة والتزلف . وقد كان له في ذلك مواقف صريحة واضحة أبرزها موقفه من عبد العزيز فهمي في مسألة الحروف اللاتينية فقد واجهه في قوة وجرأة بينما تراجع الكثيرون عن الكشف عن زيف الدعوة وبيان أخطارها . وقد سجل هذا الموقف في مذكراته حين أشار إلى دور المجمع في مصر أواخر عام ١٩٤٤ .

ومما قاله كرد علي في هذا الموقف :

أرجو رصيفي أن لا يجاوز من موت عربيتنا الحسناء بفعل نشر لغات الأجانب بين أظهرنا وألا يدركها هذا المجمع ولا عشرون مجمعاً من مثله ، فإن هذا تشاؤم غريب ، واللغة كل يوم تزيد انتشاراً على الألسن والأقلام . ولغة حرسها القرآن هذه القرون الطويلة لا يخشى عليها البوار وهي تزيد قوة على الأيام . واستطرد يقول : يقول زميلي (أي عبد العزيز فهمي)

إنه يوشك أن تغزونا اللغات الأجنبية فنترك لغتنا ونستعيض عنها بلغة من لغاتهم ، وهذا خوف لا محل له ، لأن العربية تزداد كل يوم رسوخاً في نفوس أهلها بفضل النهضة التي نهضناها وبفضل توفر أسباب التعليم والنشر .

ومما قال : إن لغتنا كانت سبب تخلفنا في مضمار الحضارة . وما أظن شيخ القضاة إلا ويعرف أن لانحطاط الشعوب الاسلامية في بعض مظاهرها عوامل أخرى لا علاقة لها بحروف الكتابة وقواعد الرسم . وإن برهانه هنا ضعيف لا يصح الاستدلال به على ما هو بصدده . إنه يعرف كما نعرف جميعاً أننا أنشأنا مدنية شهد بعظمتها كل من قاموا بعدنا ، وما حال هذا الخط ومن قبله القلم الكوفي دون الانتفاع بما آل إلينا من علوم القدماء ، وما وضعناه نحن من علوم وآداب كافتنا الهيل والهيلمان كما يقول زميلي الحصيف.

وتبرم حضرته من تعدد اللهجات العربية ، وأنا أبشره بأن هذه اللهجات يقل عددها ولا يزيد كما ادعى لأنها تقترب كل يوم من الفصحى بفضل المدرسة والجريدة والكتاب والخطبة والمذياع ، أي أن اللهجات الدارجة تتضاءل أمـــام اللغة الأدبية ، والفصحى تتغلب على العاميـة ، اليوم وبعد اليوم .

وما أدلى به لإثبات قضية التمثيل لنا بالأتراك هو في الواقع حجة عليـه لا له ، فالأتراك لما أخذوا بالحروف اللاتينية وقضوا على الأمية فيما زعموا بهذه البدعة الجديدة التي ابتدعوها قطعوا كل صلة بينهم وبين ماضيهم وعمر هذا الماضي لا يقل عن ستمائة سنة ، وهل الشعوب إلا تكملة ماصنع أجدادها وورثوه عنهم . وشأن العربية غير شأن التركية لأن العربية تحمل تراث العالم الإسلامي كله ، وإذا عملنا عمل الأتراك نقضي على تراث علمي وأدبي وديني دام مطرداً خمسة عشر قرناً مما لم يعهد لأمة بمثـــله . وقد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خسر الأتراك أي خسارة بما أتوا من العبث بلغتهم فلا نريد أن نتقبل مثالهم ولا يجدر بأنفسنا الاقتداء بأهل لغة من اللغات، فمنحانا غير منحاهم ولغتنا تتسامى على جميع لغات الشرق .

وكذلك كان لكرد علي دوره الواضح في التحذير من الأخطار التي تواجه العاملين في مجامع اللغة وقد لخصها في إحدى دورات مجمع اللغة العربية في القاهرة في ثلاثة محاذير .

الأول : اختراع خط جديد يراد به الاستغناء عن الشكل .

الثاني : تبسيط قواعد اللغة العربية في اللغة والصرف .

الثالث : اختيار الحروف اللاتينية لكتابة الحروف العربية .

— ٥ —

ولقد كان كرد علي يحب مصر حقاً ، حباً خالصاً صافياً ، يرى فيه امتداداً لدعوته وفكرته وغيرته على اللغة العربية والحضارة الإسلامية وعلى تنمية مدرسة اليقظة ودفعها إلى الأمام . يقول في هذا المعنى : « لقد كنت منذ القديم ولا أتصور عندما أكتب إلا فائدة كل عربي ولا أحصر كلامي في مصر والشام ومنهاجي يتناول الأقطار العربية جميعاً ، ولكن المعلومات عن مصر كثيرة فهي أوفر سكاناً ونظاماً وحضارة ، وكلما زادت صلاحاً زاد الإصلاح إلى جيرانها . وأنا أنادي مصر كما أنادي أهل بلدي ، والبلدان في نظري سواء ، يهمني مجموع الأمة ولا أخص القول حين أقول قطر دون قطر . وهدفه : أن يكون العرب دولة عظمى فيها كل ما في الدولة الأموية مثلاً من المقومات والمشخصات » .

وهو في حبه لمصر لا يمتنع عن نقدها في وجوه التقصير .

وهو مع حبه للشيخ محمد عبده لا يمتنع عن نقده في موقفه من الشيخ حسن الطويل صديقه الذي أغضى عنه بعد أن تسنم منصب الإفتاء .

وهذه دلائل الحب البصير ، القائم على الوعي والإخلاص .

وهو يعيب على هيكل والسنهوري أنهما عينا أنفسهما عضوين في مجمع اللغة وليس لديهما الوقت للمشاركة في أعماله .

وقد ظل حتى آخر أيامه يتابع النهضة في مصر ، ويجدد ذكرياته مع أعلامها . فإن آخر ما نشر له في العدد الذي نعي فيه من مجلة المجمع دراسة عن الشيخ محمد عبده . ومن قبله المراغي ، وفتحي زغلول .

ويمكن أن يقال : إن العلامة كرد علي كان يجمع بين خصلتين في وقت واحد هما : الصراحة إلى حد الجرأة في الحق ، وغلبة العاطفة .

ويصور هذا المعنى في ترجمته لجبانه التي ألحقها بخطط الشام في عبارة واضحة حين يقول : « أخلص للصاحب وأخدمه خدمة خالصة وأغار على مصلحته وربما أرفعه فوق قدره حتى إذا بدرت منه بادرة سوء نحوي أو نحو المجتمع ألوي وجهي عنه إلى آخر الدهر » .

— ٦ —

وبعد فإن في هذا الحصاد الضخم الذي خلفه المرحوم محمد كرد علي عن مصر ورجالها وصحافتها وتاريخها ما يحتاج إلى مراجعة وتعليق ، ومنها وهو الأغلب ما يطابق النظرة الصادقة المنصفة ، وخاصة ما يتعلق بلطفي السيد وعبد العزيز فهمي وعمر طوسون وفيما ذكره عن السلطان عبد الحميد وعن عبد الرحمن الكواكبي ما يحتاج إلى مراجعة وإعادة نظر .

ولقد أحسست وأنا أراجع المذكرات لكتابة هذا البحث أنها حافلة بعشرات المواقف والآراء والنظرات التي نحتاج إليها في دراستنا لتاريخ أمتنا الإسلامية العربية .

وترجع صلتي بالعلامة كرد علي إلى وقت بعيد فقد تناولته بالدراسة في موسوعة معالم الأدب العربي المعاصر فكتبت عنه فصلاً مطولاً في كتاب (النثر العربي المعاصر) وتحدثت عن خطط الشام في بحث آخر وظللت سنوات طويلة أتابع نشاطه بين المجمعين : المجمع الذي أنشأه والمجمع الذي شارك فيه (بين دمشق والقاهرة) وراجعت كثيراً من فصوله التي كتبها في المؤيد وفصوله في الصحف المصرية والعربية ، وعرفت له قدره وجهاده وتميز المجمع العلمي العربي بخاصتي إحياء اللغة وإحياء التراث . وما زلت أشعر بالعرفان لحبته للفصحى وجهاده من أجلها . وهو في هذا يؤكد النظرة القائلة بأن الفكر هو الذي يشكل العقلية وليس الجنس أو العرق ، ولقد كان الاسلام في عظمته هو الذي شكل أمثال كرد علي على مدى التاريخ فجعلهم جنوداً للغة القرآن وتراثها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأعتقد أننا في مصر - جماعة المفكرين - علينا دين كبير لأمثال الشيخ طاهر الجزائري ومحمد كرد علي وعبد القادر المغربي ومصطفى الشهابي رحمهم الله جميعاً وأجزل مثوبتهم . ولقد أعد الدكتور أحمد الشرباصي منذ سنوات أطروحة ضخمة عن (رشيد رضا) وأعد الشيخ محمود القاضي هذا العام أطروحة ضخمة لم تناقش بعد عن (محب الدين الخطيب) ونأمل أن يقوم غيرهم بإعداد أطروحات أخرى عن علامتنا هذا العظيم الذي نحتفل به وعن شيخه الجزائري كفاء ما قدما من أياد بيضاء وجهود مشرقة وإضافات طيبة ما تزال حية نابضة معطاءة . والله من وراء القصد .

النـــدوة الثالثة (*)

محمد كرد علي والمستشرقون

الدكتور محمد كامل عياد

كان الأستاذ (محمد كرد علي) من أبرز الشبان الذين تحلقوا حول الشيخ طاهر الجزائري ، رائد النهضة العلمية بدمشق في أواخر القرن التاسع عشر . وكان تلاميذ هذا العالم المصلح يدعون إلى إحياء التراث العربي — الإسلامي مع دراسة العلوم العصرية وأخـــذ الصالح من الحضارة الأوروبية .

وقد امتاز الأستاذ (محمد كرد علي) بإتقانه اللغتين التركية والفرنسية فانصرف منذ مرحلة التعليم الثانوي إلى قراءة الجرائد والمجلات الأجنبية ، وبدأ في الوقت نفسه يترجم الأخبار والمقالات وينشرها في الصحف العربية .

إنه كان يريد الإصلاح ، وكان يعتقد بأنه لا بد للعرب والمسلمين من الاقتباس عن الغرب ولا يرى أي غضاضة في ذلك ، لأن الغربيين أنفسهم قد سبق لهم اقتباس العلوم والفنون وسائر مظاهر الحضـارة عن العرب والمسلمين . واختياره اسم « المقتبس » لمجلته وجريدته يشـير إلى إيمانه بمبدأ الأخذ عن الغربيين مثلما كان يحرص على الاحتفاظ (بكنوز الأجداد) والاستفادة منها ..

(*) أقيمت في قاعة نقابة المحامين بدمشق صباح يوم ١٨ تشرين الثاني ١٩٧٦

وكان طبيعياً أن يتجه اهتمام الأستاذ (محمد كرد علي) إلى أعمال المستشرقين بصورة خاصة لأنهم ، من جهة ، يمثلون الحضارة الغربية وما امتازت به من تقدم علمي ثم ، من جهة ثانية ، لأن موضوع بحث هؤلاء المستشرقين هو التراث العربي — الإسلامي . وهكذا وجد في الاستشراق ميداناً يجمع بين الهدفين اللذين كان يسعى إليهما أي : معرفة الحضارة الغربية وإحياء التراث القومي .

ألقى الأستاذ (محمد كرد علي) في سنة ١٩٢٧ محاضرة عن « أثر المستعربين من علماء المشرقيات في الحضارة العربية » [١] تكلم فيها على العلاقات بين العرب والأوروبيين منذ الفتوحات الإسلامية وخلال الحروب الصليبية وفي الأندلس وصقلية على الأخص ، وما حدث من احتكاك واختلاط وتبادل وتمازج بين الطرفين ثم ما تبع ذلك من عناية بدراسة اللغة العربية في الجامعات الأوروبية وترجمة الكتب العربية ونشرها .

ويذهب الأستاذ (محمد كرد علي) إلى أن اقتباس الأوروبيين للعلوم عن العرب كان له تأثير كبير في نهضتهم التي بدأت في ايطالية بالقرن الرابع عشر وانتقلت بعد ذلك إلى سائر البلاد الأوروبية . إلا أنه لم يهتم بالبحث في هذه الناحية وإنما كان يسعى إلى الكشف عن آثار النهضة الأوروبية في بلاد العرب . فهو يقول : « تهمنا الآن معرفة أثر تلك النهضة فينا وفي لغتنا ، أي أن نعرض للجهة التي تخصنا من ذاك الجهاد العظيم الذي جهدوه في إحياء العربية ، وذلك للتنويه بمن نشروا كتبنا فأسدوا إلى لغتنا المحبوبة أياديهم البيضاء وعلمونا دروساً في تاريخ أمتنا ومدنية أجدادنا

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي المجلد (٧) صفحة (٤٣٣ — ٤٥٦)

ARCHIVE

كنا نجهلها ... » (١) .

ولما سئل مؤخراً عن المستشرقين الذين تعرف اليهم كتب في الجواب على ذلك مقالاً آخر في مجلة المجمع العلمي العربي يقول فيه : « أسعدني الحظ منذ نشأت أن تعرفت في مصر والشام وأوروبا إلى بعض المستعربين (أي المستشرقين المتخصصين باللغة العربية) من أمم أوروبا واختلطت بهم وخالطتهم ووقفت على أساليبهم في البحث والدرس والتأليف والنشر وعاونوني في بلادهم على درس المدنية الغربية وعلى الكشف عما في خزائنهم ، ومتاحفهم من كتب العرب وآثارهم » (٢) . ثم يذكر أسماء بعض كبار المستشرقين الذين عرفهم مثل (دوسو) و (ماسينيون) و (هوار) و (بلاشير) و (مارسيه) و (مارجليوث) و (كرنكو) و (نللينو) و (هارتمان) و (غولدتسيهر) و (سنوك هورغروني) و (آسين بلاسيوس) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان الأستاذ (شفيق جبري) على حق ، عندما تعرض إلى علاقات الأستاذ (محمد كرد علي) بأولئك الباحثين إذ قال : « أما معرفته بالمستشرقين وكتبهم فقد تكون آية من الآيات . فقد أحاط علمه بتاريخ الاستشراق والاستعراب ... وله صلة بأكثر المستشرقين والمستعربين وهو مطلع على كتبهم التي نشروها وقد تكلم عليهم في مقالات ومحاضرات خاصة » (٣) .

سافر الأستاذ (محمد كرد علي) أربع مرات إلى البلاد الأوروبية . ولم تكن غايته ، كما يقول في مذكراته « تجديد القوى وتسلية الروح

(١) المصدر نفسه صفحة (٤٠٠)

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد (٢٣) صفحة (٣٤٧ – ٣٦٢)

(٣) محاضرات عن (محمد كرد علي) القاهرة ١٩٥٧ صفحة (٣٢)

فحسب ، بل كذلك التعرف إلى مدنية الغرب ودرسها في أرضها درساً عملياً » (١) . وهو يصرح بأن « أكثر ما كان يرتاح إليه في رحلاته مقابلة علماء المشرقيات لأنهم بقربهم من منازعنا ومعرفتهم بعاداتنا ووقوفهم على غابرنا وحاضرنا أقرب إلينا من معظم من في الغرب من أهل المدارك . فهم ، بلا جدال ، همزة الوصل بين الشرق والغرب » .

يروي الأستاذ (محمد كرد علي) أنه بعد استيفاء البحث في خزائن الكتب بمصر والشام وبعض خزائن الآستانة وجمع المواد اللازمة لوضع تاريخ سياسي ومدني مطول للديار الشامية (وهذا ما حققه من بعد في كتابه « خطط الشام ») — أزمع الرحيل إلى باريس ولندن واكسفورد وكمبريدج وليدن وبرلين وغيرها للبحث في خزائنها عن مخطوطات العرب في التاريخ ، وصادف أن جاء في ذلك الوقت (أي سنة ١٩١٣) إلى دمشق المستشرق الألماني (مارتين هارتمان) فعرض عليه الأستاذ (محمد كرد علي) فكرته ولكن (هارتمان) قال له : إن الفكرة غير عملية وإن تنفيذها يستغرق حوالي على الأقل وإن الأولى أن يذهب إلى (روما) ويزور خزانة المستشرق (الأمير كايتاني) صاحب كتاب (حوليات الإسلام Annali dell 'Islam) الذي جمع صور كافة المخطوطات المحفوظة في بلاد الغرب بما خلفه الثقات من مؤرخي العرب . فحمل الأستاذ (محمد كرد علي) بطاقة توصية من أحمد زكي باشا المصري إلى صديقه الأمير الايطالي الذي رحب به وسهل له مهمة المطالعة والبحث في خزانة كتبه المشهورة مدة شهر (٢) .

---

(١) المذكرات ، الجزء الأول صفحة (١٨٤ — ١٨٦)
(٢) المذكرات ، الجزء الأول صفحة ٣١٠ — ٣١١

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبعد تأسيس المجمع العلمي العربي ازدادت صلات الأستاذ (محمد كرد علي) بالمستشرقين في كل أنحاء العالم. فكان يراسل الكثيرين ويستقبلهم في دمشق. كما سعى إلى انتخاب ما يزيد على الستين منهم أعضاء مراسلين في المجمع ونشر عدداً كبيراً من المقالات والتعليقات لهؤلاء المستشرقين في مجلة المجمع بينها تراجم حياة بعضهم مكتوبة بأقلامهم ..

كان الأستاذ (محمد كرد علي) يشيد بأعمال المستشرقين في كل مناسبة ويدعو إلى الاقتداء بهم والإفادة من جهودهم . وقد ظل يكرر القول بأن المستعربين « كانوا من العوامل الكبرى في النهضة العربية الأخيرة بما أحيوا من كتب العرب القديمة وخدموها أجلّ خدمة بمعارضتها على النسخ المتعددة وبوضع الفهارس المنوعة لها ليسهل الانتفاع بها بسرعة. وقد اعتادوا أن يشرحوا غوامضها بلغة الناشر أو باللغة اللاتينية فانتفعوا بما نشروا ونفعوا بما حوت من معارف كانت مجهولة ، بل بهم تجلت مدنية العرب لأول مرة ، لأنهم طبعوا في القرنين السادس عشر والسابع عشر كتباً عظيمة من كتبنا كانت حجر الأساس في انبعاث العربية من رقدتها الطويلة » [١] .

وفي محاضرته الكبيرة عن « أثر المستعربين في الحضارة العربية » يصرح الأستاذ (محمد كرد علي) بأن « كل ما طبعه أولئك الأعلام من المستشرقين ينمّ عن صبر طبيعي فيهم ودؤوب غريب وأمانة يصفق لها وتحرٍّ للحق وتحرج من التلفيق حتى غدت مطبوعاتهم ، إلا ما ندر منها ، أمثال النظر البليغ والطبع الجميل ، وأكبر معوان على المراجعة والمطالعة

(١) مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد (٢٣) صفحة (٣٤٨)

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

والانتفاع بالكتاب حق الانتفاع »[١] . ثم يضيف قائلاً : « وبعد ، فما برح العارفون منا يقدرون عمل المستعربين حق قدره ، بل يعجبون به ويمجدونه » . وهنا ينقل كلمة سمعها من أستاذه علامة الشام الشيخ طاهر الجزائري يتساءل فيها : « أليس من الغريب أن يكون تفسير القاضي البيضاوي المطبوع في ألمانيا أصح من الطبعة التي طبعت في الآستانة ؟ »[٢] .

ثم قارن بين عمل المستشرقين الذين ما زلوا يبالغون بالعناية فيما يطبعون والذين يتوخون من طبع كتبنا الفائدة العلمية قبل كل شيء وبين أولئك الذين عانوا صناعة الطبع والنشر في الشرق الإسلامي بعد مرور قرنين على بداية الغربيين والذين لم يكن قصدهم إلا الربح فقال : « كنا ، على عروبتنا ، نخلط ونرتكب الفاحش من الأغلاط ، وكانوا ، على عجمتهم ، يجيدون ويجودون ، وما خلونا مع ذلك من دعوى عريضة ، وظلوا هم على تواضعهم يزيدون ما ينشرون تجويداً الحقبة بعد الحقبة ، وجمدنا فلم نتقدم إلا قليلا »[٣] .

وقد ضرب الأستاذ (محمد كرد علي) أمثلة على جهود المستشرقين وعنايتهم بإحياء أمهات الكتب من تراثنا العظيم فذكر إقدام المستشرق الألماني (هلموت ريتر) على تحقيق ونشر كتاب « مقالات الإسلاميين » للإمام الأشعري والجزء الأول من « الوافي بالوفيات » للصفدي وغير ذلك

(١) مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد (٧) صفحة (٤٥٣)
(٢) المصدر نفسه ، صفحة (٤٥٥)
(٣) المذكرات ، الجزء الأول صفحة (١٩٥)

من الكتب التي ألفها أو ترجمها . وتحدث الأستاذ (محمد كرد علي) في مناسبات عديدة عن صديقه المستشرق (كرنكو Fritz Krenkow) فأشاد بجهوده في نشر عدد كبير من الكتب العربية القديمة التي حققها وطبعها في حيدر آباد (الدكن) مثل كتاب (جمهرة اللغة) لابن دريد و (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة) لابن حجر العسقلاني و (حماسة ابن الشجري و (التاريخ المنتظم) لابن الجوزي و (المؤتلف والمختلف) للآمدي و (نحاة البصرة) للسيرافي و (معاني الشعر) لابن قتيبة و (ديوان المعاني) لأبي هلال العسكري و (شرح كمال الدين الشيرازي) على كتاب (المناظر) لابن الهيثم وكتاب (الجماهر في معرفة الجواهر) للبيروني . ثم أثنى عليه وأعرب عن إعجابه الزائد بنشاطه وقال : « إن الأستاذ (كرنكو) بحسب العرف غريب عنا ولكنه في الواقع قريب من قلوبنا لعطفه على أدبنا وتاريخنا وديننا بلا غرض إلا خدمة العلم المجرد . » [1]

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

كذلك لم يبخل الأستاذ (محمد كرد علي) بالتقدير والمديح ، على أبحاث المستشرقين في مختلف الموضوعات العربية والإسلامية . فنراه مثلاً عند التعريف بأطروحة الأستاذ (هنري لاوست) عن (تعاليم ابن تيمية الاجتماعية والسياسية) يقول : « إن هذا المستشرق الفرنسي قد نفذ إلى روح شيخ الإسلام ابن تيمية وغاص في تعاليمه كما يغوص العالم الذي لا مأرب له غير خدمة الحقائق . فاستخرج لآلىء بديعة .. » [2] . ثم قارن

(١) المذكرات ، الجزء الأول صفحة (١٩٦) والجزء الثالث صفحة (٩١٩-٩٢٠)

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي المجلد (١٦) صفحة (١٩١ - ١٩٢)

بين دراسة هذا المستشرق وبين الأطروحات التي كتبها الطلاب العرب والتي لم يكونوا يقصدون بها خدمة العلم وإنما مصلحة أنفسهم ونيل الشهادة فحسب ..

ويبدو أن الأستاذ (محمد كرد علي) قد تعرض إلى شيء من النقد والعتاب لإغراقه في اطراء المستشرقين . فقد جاء في « المذكرات » قوله : « كنت كلما مدحتهم (يقصد علماء المشرقيات) أمام جماعتنا يتأففون من سماع كلامي لأنهم من الصنف الذي لا يعمل ولا يحب أن يعترف لأحد بأنه يعمل » [١] . وفي مكان آخر يقول : « يلومني بعضهم لأني أكثر من التنويه بعلماء المشرقيات . ولو كان اللائمون على شيء من العلم خدموا به ناحية من النواحي لعذرتهم ، ولكنهم من الجماعة الذين لم ينشروا ورقة من آثار السلف وليس لهم رأس مال إلا الثرثرة ، لا يعملون ولا يتركون غيرهم يعمل » [٢] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والحقيقة هي أن الأستاذ (محمد كرد علي) لم يكن يمدح المستشرقين حباً في ذواتهم ، وإنما أراد أن يستحث همم أبناء أمته ، فكان يقدم لهم نماذج يقتدون بها في العناية بالتراث ونشر العلم واتباع طرائق البحث الحديثة . وكان بطبيعة الحال يتعمد إبراز النواحي الحسنة من نشاط المستشرقين ويسترسل في الكلام والثناء على المشهورين منهم بالاعتدال والإنصاف أو بالتعاطف مع العرب والمسلمين .

على أن الأستاذ (محمد كرد علي) لم يكن يجهل أهداف الغربيين

---

(١) المذكرات ، الجزء الأول (١٩٤) .
(٢) مجلة المجمع العلمي العربي المجلد (١٧) صفحة (١٦٠)

وأغراضهم من دراسة المشرقيات. فقد أفاض في الكشف عن العوامل التي أدت إلى نشأة الاستشراق من دوافع دينية في بادىء الأمر ثم إلى أطماع سياسية ـ استعمارية بعد ذلك . وهو يقول : « لا بد لي .. أن أشير إلى أن أكثرهم جعلوا علمهم لخدمة دولهم وأنهم يخدمونها في سياستها بما تصل إليه أيديهم ويهديهم إليه اطلاعهم . ومن خرج قليلاً عن قواعد وطنية شبه نبذته دولته فلا يتوقعن إذاً من مستشرق أن يخدم غير أمته . ولهم المعذرة في ذلك ... أما نحن معاشر العرب فيقنعنا منهم أن يخدموا آدابنا بأمانة لا يتخذونها سلماً إلى الطعن بنا وبمقدساتنا ولا ذريعة إلى اغتصاب حقوقنا في الحياة » (١) .

وفي الواقع كان الأستاذ (محمد كرد علي) يسرع دوماً إلى الرد على بعض المستشرقين المتعصبين الذين كانوا يطعنون في العرب والمسلمين . هكذا لما ظهر كتاب الأب (لامنس) البلجيكي عن (تاريخ سورية) انبرى له الأستاذ (محمد كرد علي) ونشر في مجلة المجمع العلمي العربي بحثاً انتقادياً شديداً فضح فيه أغلاطه وافتراءاته (٢) . ثم عاد إلى انتقاد ما كتبه (لامنس) عن الشام وعن الإسلام ضمن موضوعات (موسوعة الإسلام) وبيّن أن جمهرة المستشرقين لا يتفقون معه في الرأي، بل يصفونه بالتحزب والتعصب وينظرون إلى أقواله بتحرز شديد (٣) .

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد (٢٣) صفحة (٣٤٩)

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد (٢) صفحة (٢٧١ – ٢٨١) وصفحة (٣٤٧ – ٣٥٠)

(٣) مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد (٧) صفحة (١٢٩-١٣٢) ثم المجلد (٢١) صفحة (٣ - ١١)

كان الأستاذ (محمد كرد علي) قد حضر مؤتمر المستشرقين في (اكسفورد) سنة ١٩٢٨ وتحدث هناك عن نهضة العربية الأخيرة . ثم دعي إلى الاشتراك في المؤتمر الذي عقد في (ليدن) بهولندا في صيف سنة ١٩٣١ ، فتقدم إلى رصفائه أعضاء المجمع العلمي العربي يسألهم عن الموضوع الذي يرون أن يخوض فيه وأخبرهم أن كل عضو لا يسمح له بالكلام أكثر من عشرين دقيقة ، فاقترح عضو المجمع الدكتور أسعد الحكيم بأن يرد على المؤلفين الغربيين الذين ما زالوا يطعنون بالعرب والمسلمين منقادين إلى أحقاد قديمة وتعصبات ذميمة ، ووافق سائر الأعضاء على ذلك .

ويروي الأستاذ (محمد كرد علي) في مذكراته أنه بدأ بدراسة الموضوع درساً « خفيفاً » ليكتب فيه سبع صفحات . ثم يقول إنه لما أزمع الرحيل حدوت الحكومة مدة الرحلة بأربعين يوماً فاستقلها وعدل عن السفر . إلا أنه انصرف بعد ذلك من تلقاء نفسه إلى دراسة الموضوع ، وساعده اعتزاله منصب الوزارة إذ ذاك على التفرغ إلى البحث وظل يشتغل بالتأليف مدة ثلاث سنين حتى أنجز كتابه « الإسلام والحضارة العربية » الذي قال عنه الأمير شكيب أرسلان إنه خير ما كتب الأستاذ (محمد كرد علي) [١] . وقد استهله بمناقشة المستشرقين الذين نالوا من الإسلام والعرب ، ثم انتقل إلى الرد على الشعوبيين عامة الذين ناهضوا العرب في القديم والحديث وفي الشرق والغرب وقاموا ينقصون من قدر حضارتهم وينكرون فضلهم وأصالتهم ولا يتورعون عن المغالطة والكذب .

ولكننا نلاحظ أن الفصول المخصصة لتفنيد مزاعم المستشرقين المتعصبين

---

(١) المذكرات ، الجزء الأول صفحة (٣١٦)

والشعوبيين المغرضين لا تؤلف إلا جزءاً ضئيلاً من الكتاب لا يزيد على مائة صفحة في حين أن القسم الأعظم أي (٨٤٠) صفحة قد خصص لوصف مدنية العرب والإسلام ولبيان محاسنها وعناية أهلها بالعلوم والآداب والفنون وللكشف عن أثر الثقافة العربية في أوروبا . ويمكن التأكيد على أن الأستاذ (محمد كرد علي) لم يكن يميل إلى المجادلة والمنابذة ، فلم يتعرض إلا إلى القلائل من المستشرقين الذين تعمدوا الإساءة إلى العرب والمسلمين وشوّهوا الوقائع وخالفوا الحقائق . وكان يسعى إلى نقض مزاعم هؤلاء المخالفين بالرجوع إلى آراء العلماء الغربيين أنفسهم ، الذين امتازوا بالنزاهة والحياد . فكان يستشهد على الأخص بأقوال العلامة (غوستاف لوبون) الذي استطاع ، على الرغم من عدم معرفته للعربية ، أن يؤلف كتاباً من أجلّ الكتب عن (حضارة العرب) يبرهن على سعة اطلاعه ونزاهة أحكامه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لم يكن الأستاذ (محمد كرد علي) ينتظر من المستشرقين أن يبحثوا في تاريخنا وحضارتنا من وجهة نظرنا نحن . وهو يعترف بأن البشر يختلفون في المعتقدات والعادات وأن آراءهم تتباين ، ولذلك يطالب بأن نعذر المنابذ المعتدل إذا كان يؤمن بما يقول وألا نتمنى بأن « مجتمعنا ما كان في كافة أدواره وأطواره فائضاً بالعدل والتسامح » ثم يصرح بأن « لكل أمة لو أنصفنا مساوىء ومحاسن ، تساوى في ذلك القديم والحديث والصغير والكبير منها . » (١)

كذلك يقول الأستاذ (محمد كرد علي) : « وإذا أولع العرب

---

(١) الإسلام والحضارة العربية ، صفحة (١٩)

بتاريخهم فليس معنى ذلك أنهم يدّعون أنهم كانوا أول من ورّخ لهم من الأمم أو أنهم كانوا البادئين بأسس المدنية . وما ادّعى المسلمون قط أنهم نزلوا بحضارتهم من السماء ، بل ادعوا وأثبتوا دعواهم أنهم أخذوا حضارات الأمم القديمة وزادوا عليها ما وسمتهم الزيادة فأوصلوها بأمانة إلى أهل المدنيات الحديثة » (١) . إنه يريد من المستشرقين التقيد بقواعد البحث العلمي من من حياد وتجرد وإنصاف وجرأة في الجهر بالحقيقة .

إن الأستاذ (محمد كرد علي) كان يكره التعصب ويكافح العدوان ويدعو إلى التفاهم والتقارب . وقد انتقد المستشرقين المتعصبين المغرضين لأنهم يثيرون الأحقاد ، وهو يقول : « للبشر اليوم مقصد أسمى من الخلافات والمناقشات التي جاءت القرون إثر القرون وما زالت مجالها لم تورث النفوس إلا اشمئزازاً . . . إن البشر بعد هــذا التقارب في المواصلات والأفكار أحوج ما كانوا إلى التقارب والتعاطف وإنصاف بعضهم بعضاً ليقوم نظامهم على الوئام والسلام » (٢) .

---

(١) المصدر نفسه صفحة (٥٥)
(٢) المصدر نفسه صفحة (١١ - ١٢)

وفاء

الدكتور جميل سلطان

عهدُ الشبابِ ومثلُه لم يُعهدِ ولّى مع الأحلامِ والزهرِ الندي
طُويت برودُ الحسنِ من أيامِه فكأننا من بُردِه لم نرتدِ
ومضت حوافلُ مُزْنِه وتظنُّها ما أمطرت يوماً لعيشٍ مُرغدِ (١)
وذوت نجومُ الأرضِ مذ عطشَ الثرى وجفا ذرى الأفنانِ كل مغرّدِ (٢)
وبدا ضياءُ الشيبِ في إشراقِه كالفجرِ يطلعُ من إهابٍ أسودِ
فكأنه زهرٌ يروقُك حسنُه والزهرُ محبوبٌ وإن لم يعقدِ
فارجعْ إلى زهوِ الشبابِ وتيهِه تلقَ الشموعَ شوامخاً في المعبدِ
والنورَ تقذفُه العيونُ كأنه ومضٌ يندُّ عن الضرامِ الموقدِ
وبكلِ نفسٍ ثورةٌ لا ترتضي ما أبلت الأزمانُ من متعوَّدِ
وتطلُّعٌ لبناءِ مجدٍ خالدٍ صنعَ الذين أتوا بكلِ مخلَّدِ

* * *

(١) أرغد القوم : أخصبوا وصاروا في رغد العيش . وأرغد الله عيشه : جعله رغيداً ، أي طيباً متسعاً فهو مرغد العيش .

(٢) نجوم الأرض : أزهارها .

وشيوخنا الأبرار جاد ثراهم ... غدق من الرضوان غير مصرد (١)
كانوا الأئمة إن قصدت حماهم ... فخطاك في هدي لأشرف مقصد
وإذا رغبت بخير ما يرجو الفتى ... ألفيت عندهم رجاء المجتدي
كانوا مصابيح الهداية للورى ... في نورها يمضي المجد ويهتدي
أنقول : هم مثل النجوم ؟ وإنهم ... لأدل منها للسبيل الأرشد
من كل ثبت العلم موفور النهى ... متواصل الحلقات بر المعقد (٢)
عقد بأوسطه تقوم فريدة ... بين اللآلىء في ضياء الفرقد (٣)
ما مثله في الأرض عقداً كاملاً ... ضم النوابغ الرئيس « محمد »

* * *

رب البيان إذا سمعت مقاله ... راعتك منه رصانة المتشدد
وإذا سبرت الغور من تفكيره ... أبصرت فيه ثورة المتجدد
وإذا أطل على الجموع محاضراً ... من فوق منبره فقد سحر الندي (٤)
وترى ذوي الألباب منه بموضع ... في حسن مستمع وصدق تودد
يصبي القلوب ويستبد بوعيها ... حر من الآراء لم يستعبد
أحيا بليغ القول عذب مقاله ... وأتى بصرح في البيان ممرد
صان العروبة إرثها وصفاءها ... واشتد في رد الدخيل المفسد

---

(١) الغدق : الماء الكثير . صرد العطاء : قلله ، والمصرد : القليل ، وصرد الرجل : سقاه دون الري .

(٢) عقد النية والبيع والأمر : أحكمه واشتد فيه . وهو بر المعقد : كناية عن كونه حسن الطوية .

(٣) الفريدة : الجوهرة النفيسة .

(٤) الندي : بمعنى المجلس ، وهو المنتدى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وإذا بغى فيها يؤرّخ مُبطلٌ … ومشى مع الأهواءِ مشيَ مُفنَّدِ (١)
نالتْهُ من قلمِ الرئيسِ لواذعٌ … تبغي الصوابَ وغيرَهُ لم تنشُدِ
علمٌ وتجربةٌ وفكرٌ ثاقبٌ … وجراءةٌ لم تستكنْ لمُستوِّدِ
ومحامدٌ في نشرِ كنزٍ داثرٍ … أغفى طويلاً في الغُبارِ الأربدِ (٢)
وإثارةٌ لعزائمٍ مطويّةٍ … لولاه لم تظفرْ بزندٍ مُؤيّدِ
وبكلِّ قطرٍ من جليلِ صنيعهِ … وِرْدٌ من العرفانِ يغشاهُ الصدي (٣)
تلكَ المآثرُ إن ذكرتَ شتاتَها … أعيتْ على التعدادِ كلَّ مُعدِّدِ
حتى إذا بلغَ المدى من شوطِهِ … أفضى الزمانُ به إلى المتوسّدِ (٤)
ومضى عن الصرحِ الذي قد شادَهُ … فترعاهُ أربابُ البيانِ المُحصَدِ (٥)

* * *

وتتابعَ الأجيالُ يخلفُ بعضُها … بعضاً وبأخذُ مُطرِفٌ عن مُتلِدِ (٦)
ثم استقرَّ الجمعُ حولَ رئيسهِ … علمِ البلادِ بفنّهِ المتفرِّدِ
وحُسنيٍ الذي صحِبَ البلاغةَ علمُهُ … وشفى من الأسقامِ كلَّ مُنكّدِ
وأذلَّ للفصحى الدخيلَ وما ونى … عن أعجميٍّ نافرٍ متمرِّدِ

---

(١) فنده : خطأ رأيه وضعفه ، والمفند : المخطأ في رأيه .

(٢) الأربد : ما كان فيه ربدة وهي لون الغبرة .

(٣) الصدي : العطشان عطشاً شديداً .

(٤) المدى : الغاية والمنتهى .

(٥) أحصد الحبل : فتله فتلا محكماً فقوي واشتد ، والرأي المحصد : الرأي الحكيم كالأحصد وهو من المجاز .

(٦) أطرف : أتى بالشيء الجديد المستحسن فهو مطرف . وأتلد الرجل : كان ذا مال تالد ، أي عريق قديم فهو متلد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عرَفَ الأماثلُ عبقريـــةَ فضلِهِ فأقيمَ بينهُمُ بأكرمِ مقعـــدِ
ولكلِ عضوٍ منهمُ الفضلُ الذي إنْ طاولتْهُ يدُ العِدى لم تَنْهدِ (١)
نشروا الفضائلَ في الأنامِ ومن يجىءْ لحماهُمُ يشفي الفؤادَ ويَزْدَدِ
أنعِمْ بهِمْ من حافظينَ لمجمعٍ يحمي حِمى الفصحى بجُهدِ مُجْتَهدِ
فإذا أثاروا اليومَ ذكرى ماجدٍ صانَ البيانَ فذِكرُهُ لم يَنْفَدِ
مُحيونَ في ذكراهُ سالفَ عهدِنا من أمةٍ غنيتْ بكلِ مُمَجَّدِ
من طالعينَ على الأنامِ كواكباً أو باذلينَ الرِفْـدَ للمُسْتَرْفِدِ

* * *

يا تاركَ الأثرِ الحميدِ وناشرَ النـورِ الجديدِ لكلِ جَفْنٍ أرْمَدِ
مهدْتَ للغادينَ في طلبِ العُلى ما كانَ وعْرَ الدربِ غيرَ مُمَهَّدِ
وبذلْتَ في التعليمِ أقصى همةٍ وفتحْتَ فيه كلَّ بابٍ مُوصَدِ
وبعثتَ للغربِ الشبابَ ليجتنوا خيرَ الثمارِ فكنتَ أولَ موفِدِ
وصحبْتَهم فرأوكَ أكرمَ والدٍ ومِنَ الودادِ بُنوةٌ لم تُولَدِ
فعلى الطفولةِ منكَ قلبُ مُرَوَّعٍ وعلى الشبيبةِ منكَ عينُ مُسَهَّدِ
وعلى هُدى السَّنَنِ الذي أشرعْتَهُ للعاملينَ يسيرُ مَنْ بكَ يقتدي (٢)

* * *

قالوا له يوماً : رُويدكَ لا تكنْ في البذلِ للأبناءِ مبسوطَ اليدِ
إنَّ المعاهدَ إنْ علَتْ درجاتُها كانتْ أحقَ بكلِ مالٍ مُرْصَدِ
والراشدونَ المُصْعِدونَ إلى الذرى أولى من النشءِ الذي لم يُصعِدِ (٣)

---

(١) نهد : شخص وقام إليه ، وعلا وارتفع .
(٢) السنن : الطريق .
(٣) أصعد في الأرض : مضى من أرض إلى أعلى منها .

أتراهمُ نكروا حقيقةَ أمره ؟ … ولهم مِنَ الآراء ما لم يُجحَدِ !
أم هالهم أن تستمرّ لهُ بـــدُ … طولى على مرّ الزمانِ السرمدِ ؟
أم أنهم وجدوا حِمى أبنائنـــا … هيْناً لِكفّ الطامعِ المتوعِّدِ ؟
فاستضعفوا الطيرَ الأنيسَ وأحجموا … عن كلِّ حامٍ حوضَهُ مُستأسِدِ
والناسُ لا تخشى أغاريدَ الضُحى … لكنها تخشى هزيمَ المُرعِدِ (١)
عَجِبَ الرئيسُ لِما يُقيِّدُ خَطوَهُ … لكنّهُ عن قصـــدهِ لم يَقعُدِ
ومضـــى إلى المرجوِّ من آمالِهِ … ليَشيدَ الأبنـــاءِ خيرَ مُشيَّدِ
وأصاختِ الدنيا لتسمـــعَ قولَهُ … في حكمةٍ هي مؤنةُ المُتزوِّدِ
إذْ قال : هذا الغرسُ مقبلُ أمتي … أنخونُها في العلمِ ؟ يا ويحَ الردي
أفأمنعُ الغرثانَ قوتَ حياتهِ ؟ … أم أحرمُ الظمآنَ عذبَ المَورِدِ (٢) ؟
لو قطّعوا من راحـــتيّ أناملي … لم أقطعْ من ذُخرِ أبطالِ الغدِ
فضلٌ على الأجيالِ أثبتَهُ أبٌ … حفظَ الحقوقَ وحالَ دونَ المُعتدي

*   *   *

ياصاحبَ الأيدي وجسمُكَ مُبْعَدُ … لكنْ روحكَ ههنا لم تَبْعَدِ (٣)
بالأمسِ كنتَ مكرِّمي في عصبةٍ … شعراءَ في عزِّ الشبابِ المُسعِدِ
فحملتُ منكَ جميلَ ما أوليتَني … واليومَ صرتُ مع الوفاءِ بموعدِ
والدَّينُ حقٌ لا يُضامُ ومَنْ يقمْ … بأدائِهِ يرعَ الذمامَ ويُحمَدِ
أفأستطيعُ وفـــاءَ دَيني بعدمـــا … طالَ الزمانُ وعزَّ فيهِ مُنجدي

(١) الهزيم : صوت الرعد .
(٢) الغرثان : الجائع .
(٣) لم تبعد : (بفتح العين) لم تهلك ولم تمت .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أَفي وفضلكَ فوقَ كلِّ بلاغةٍ ... من شاعرٍ جزْلِ المَقال مُقصِّدِ
ويضيقُ عنكَ الحرفُ إنْ أوردتُه ... كفوٍّ وافي الثناء مُجوّدِ (١)
وبحسْبِ عرفاني لسانٌ ذاكرٌ ... لم أجترحْ فيـهِ ولم أتردّدِ (٢)
أني خبرتُ العبقرياتِ الـتي ... أنوارُها سطعتْ ولمّا تخمدِ
فأكادُ أجزمُ أنْ ما أوتيتِـه ... لم يجتمعْ يومـاً لشخصٍ أوحدِ
ثلاثتَ إنْ ذُكِرَ النوابغُ أمةٌ ... جَمعتْ عُلىً في غيرها لم تُوجدِ

* * *

صلّى عليـكَ اللهُ في جنّاتـهِ ... وحباكَ بالنُّعمى ونورِ المَشهدِ
لجزيلِ ما أثّلتَ في تاريخنـا ... ودفعتَ عن إرثٍ عريقِ المَحتِدِ
وأبنتَ أنّ العروبـةَ أمةٌ ... تبقى عـلى الأيامِ أمَّ السؤددِ

---

(١) المفوّه : البليغ الكلام .

(٢) اجتراح الإثم : ارتكابه .

رحلات كرد علي وأثرها في أدبه

الأستاذ جمال الدين الألوسي

تحيي إليكم سعادتي مشفوعة بالشكر والامتنان لكل من أسهم بإحياء هذه الذكرى الكريمة التي تعطرت أيامها بسيرة المغفور له الرئيس الجليل محمد كرد علي. ومن حقه على الشام ومجمعها، بل على العرب أجمع أن يحتفوا بذكراه وينشروا سيرته وجهاده وأدبه ويحيوا مؤلفاته بين أبناء العروبة ولاسيما الجيل الصاعد، ليكون لهم قدوة تعصمهم عن مزالق الأهواء الوافدة، وتشدهم إلى عروبتهم ومقومات دينهم الحنيف، تعلمهم سيرته الحافلة بجلائل الأعمال الدأبَ على العمل، والسعي وراء المعرفة، والصبر على التحصيل والصدق في الأقوال والأفعال.

وبعد، فإن الأستاذ الكبير محمد كرد علي يُعد من أعاظم الرجال، ومن الرواد الذين قامت على جهودهم النهضة العربية الإسلامية الحديثة. كان أمة في رجل كما وصفه عارفو فضله، جاهد في أحلك الأيام ونافح عن العروبة والإسلام بقلمه وبلسانه وبمقالاته ومؤلفاته، ونصب نفسه رقيباً لكل من يتصدى للإسلام بغمز أو للعروبة بلمز، قاوم الاستبداد ولاقى في سبيله الألاقي، من أجل إشاعة الخير، في عزيمة لا تعرف الخور، ولا يتسرب إلى نضاله فتور أو حذر.

ARCHIVE

أحال قلمه داعياً إلى الإصلاح الاجتماعي والسياسي ، وشدَّد النكير على الحكام الظلمة ، ودعا إلى محاربة البدع والضلالات ، وكتب مدافعاً عن مصالح وطنه ، وطالب الولاة بالعمران والإصلاح الاجتماعي ، ناقداً من غير هوادة سوء إدارة الحاكمين من عثمانيين وفرنسيين فاضحاً خراب ذممهم ناشراً طبائع الاستبداد والمستبدين بهمة عالية ، لا تأخذه في الله لومةُ لائم ، صريح لايعرف التقية أو المواربة ، مما جرَّ عليه الكثير من الخصومات والملاحقات والمتاعب .

كانت نزعة الإصلاح ذات جذور في أعماق نفسه بفضل فطرته وتربيته ، ولأساتذته الفضل الأكبر في إذكاء هذه الروح وعلى رأسهم الشيخ طاهر الجزائري ، وكان لآراء جمال الدين الأفغاني التي يقرؤها في العروة الوثقى ، وما كان يصله من مقالات المصلحين المجددين من أمثال الشيخ محمد عبده ومحمد ابن عبد الوهاب أثرها الفعال في نفسه المطبوعة على حب الخير .

انتقد عصور التخلف والطائفية ، وجرَّد قلمه لمحاربة شعوذة المشايخ والمشعوذين ، يتعقب جهالاتهم وجهّالهم الذين كانوا يضلون الناس بدعاواهم التي ليست من الدين بشيء .

وكانت آراؤه تتسم بالسلفية والنزعة التجددية التي تربّى عليها وأشار إليها في قوله : « منذ فقدنا استقلالنا وقبض على زمام إدارتنا أغراب ليسوا من جنسنا وأحياناً من غير أهل ملتنا ونحلتنا ، وبسنّ قوانيننا غيرُنا ، وقد يسنون ما لا يلائمنا ، ضعفت فينا خلال هذه القرون الطويلة ملكة العلم ، وانحططنا في أخلاقنا وتفكيرنا ، وابتعدت كل طبقة عن أختها لاتشاركها عواطفها ، وكان في هذا المجتمع المنحط طبيعياً أن يأكل القوي الضعيف

وأن تغرق البلاد في بحران من الجهل وإن هبَّت تتلمس سبل النجاة لاتهتدي إلى النجاة ».

وسيلته لنشر آرائه :

لم يرَ وسيلة لتحقيق أغراضه السياسية وآرائه الإصلاحية أصلح سبيلاً ولا أقوم مسلكاً من الصحافة ، وقد أولع بها منذ صباه ، مال إلى قراءة الجرائد اليومية والمجلات الشهرية وسنُّه لم تتجاوز مرحلة الدراسة الإعدادية ، اشترك في جريدة فرنسية أسبوعية كانت تصدر في باريس اسمها « صديق الريف » ، وولع بقراءة جريدة « لسان الحال » لأن فيها أخباراً طريفة معربة عن الانكليزية ، وكانت تصـله جرائد مصرية ويعكف على مطالعتها ولا سيما المقتطف ، كما كانت تقع تحت يده جرائد تركية ، وما بلغ السادسة عشرة من عمره حتى أخذ يكتب أخباراً ومقالات في الجرائد ، وفي هذا التكوين قال : « ما كنت أظن هذه البداءة تنتهي بي إلى الغرام بالصحافة » .

وطابعه : أن يخلو التحرير من التعقيد ، وأن يكون التعبير واضحاً يهدف إلى المعنى بإيجاز ، يتخير اللفظ السهل ، ويسعى لاستعمال الجملة البليغة ، وأفضل اللفظ عنده ماخفّ على اللسان وراق للسمع ، وتغلب على مقالاته طبيعة الاستقصاء حتى يستوفي المنى الذي يبتغي عرضه على القراء ، حتى عدّ من أصحاب الأساليب ، وقرنه الأستاذ محمد عبد الفتاح في كتابه (أشهر مشاهير أدباء الشرق) بالعقاد وطه حسين ومحمد عبده ، وعدّه الأستاذ جمعة إسماعيل في الأدباء الخمسة أصحاب الأساليب . وثقافته لا تعتمد على الصحافة بقدر ما تعتمد على كتب التراث عربية وفرنسية وتركية ، مكنته فطرته السليمة وذكاؤه الحاد ودراسته المنهجية من عربية وفرنسية وتركية وثقافية لمعارف

عصره عربية وشرقية - أهلته في الأخير أن يتبوأ مركزه الأدبي والاجتماعي. قرأ المخطوطات وبحث عنها في خزائن دمشق والقاهرة والآستانة وليدن وروما والاسكوريال ، وفي مكتبة الأمير كيتاني ، وقرأ ما حققه المستشرقون من كتب التراث . وله صداقات ولقاءات ومراسلات ومساجلات مع الكثيرين منهم ، واطلع على ما ألفوه في الإسلام والعرب وكتب في أوهامهم وأخطائهم الفصول المفيدة ، قال :

« أهم ما أولعت بمطالعته بعد درس المطبوع من كتب الأدب العربي جانب من المخطوطات التي عثرت عليها من كتب الفلاسفة وعلماء الاجتماع وأحوال الشعب ومدنياتهم ، وطالعت بالفرنسية أهم ما كتبه فولتير وروسو ومنتسكيو وسبنسر وتين وسيمون ، وتدارست المجلات الفرنسية الأدبية والاجتماعية والتاريخية ، وجريت منذ نشأت على قاعدة مطردة لم أتخلف عنها قيد شبر ، وهي أن أقرأ أكثر مما أكتب ، وقلما دونت موضوعاً لم أدرسه في الجملة ولم تتشربه نفسي » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وصفه صديقه الشاعر الكبير شفيق جبري وقد زامله وعمل معه طويلاً ، قال :

« لقد خالطته في وزارة المعارف ، وكان وزيراً لمعارف سوريا فوقفت على كثير من خصائصه وطباعه ومزاجه ، فما عرفت رجلاً أولع بمطالعة الكتب ولعه ، فكثيراً ما كان يطلب من أصحاب المكتبات الفرنسية كتباً في أكثر الموضوعات ولا سيما موضوع الاجتماع ، وما أذكر أنه كان يمر عليه شهر وأحياناً أسبوع دون أن يطلب كتباً جديدة للمطالعة من باريز وليبسك وروما ولندن » وقال : « إذا خلا إلى نفسه فإنما يخلو إلى مكتبته ، وإذا اعتزل دمشق إلى ريفه في الغوطة فإنما يعتزلها ليصغي إلى أحاديث كتاب يجالسه إصغاءه إلى حفيف شجره ، وزقزقة طيره ، وما عرفنا في عصرنا من غلبت عليه محنة القراءة وشغله الميل إلى التأليف مثل الأستاذ الرئيس » .

رحــلاته إلى مصر :

دفع به شغفه إلى المعرفة والاطلاع على المدنية الغربية أن يرحل رحلته الأولى إلى مصر أولاً ومنها إلى الغرب وذلك سنة ١٩٠١ - قاصداً زيارتها والتعرف على أدبائها ومشاهيرها ومشاهدة عمرانها ، وكانت مصر كعبة الرواد ومنتجع الأحرار من أبناء العروبة ، كما كانت ملجأ المجاهدين ولا سيما أحرار سوريا . قضى في رحلته هذه عشرة شهور عمل فيها رئيساً لتحرير جريدة الرائد ، فلما انتشر وباء الكوليرا سنة ١٩٠٢ رجع إلى دمشق فراراً من الوباء ، وعاد إلى مصر سنة ١٩٠٥ ونشر « المقتبس » فتلقاه القراء بالترحاب والتقدير ، ورحبت الصحافة المصرية بها ، وعن طريقها اكتسب شهرة واسعة إلى شهرته التي اكتسبها عن طريق ما كان ينشره في الصحف المصرية ، وأسندت إليه رئاسة تحرير الظاهر بعد شهرين من عمله فيها في حقل المترجمات ، وحين خرج العدد الثاني من المقتبس أطرته المؤيد وأثنت على صاحبه فساعد هذا التقريظ على انتشار المجلة ، لأن صوت المؤيد كان يومها أعلى الأصوات ، وحاول صاحب المؤيد أن يعهد إلى كرد علي رئاسة تحرير المؤيد فاعتذر لارتباطه بجريدة الظاهر ولأن رئيس تحريرها صديق له.

لقد كانت الصحافة مدرسة كبرى عادت على الأستاذ الرئيس بالمعرفة والدرس العلمي ، وقادته إلى ميادين فسيحة من الثقافة وبوأته منزلة مرموقة بين رجالات العلم والأدب . في رحلته الأولى تعرف على الإمام محمد عبده قال : « كنت أحضر دروسه في التفسير مرتين في الأسبوع في الرواق العباسي ، وهي المحاضرات التي دأب على إلقائهــا إلى قبيل وفاته سنة ١٩٠٥

« وكنت أغشى مجلسه الخاص في داره بعين شمس مرة في الأسبوع ، وكان واسطة التعريف محمد رشيد رضا صاحب المنار ، ولقيت من الشيخ الإمام أول تشرّفي به إطراء وعطفاً ، وقدمني إلى جماعته وأثنى على مقال كنت كتبته في مشروع السكة الحديد - الخط الحجازي - فكان تقريظه للمقال وثناؤه على أفكاره خيرَ تكريم لي في مثل هذا اللقاء في حفل حاشد بالعلماء والكبراء ، وكانت ندوة الإمام خيرَ واسطة لمعرفة طبقات القاهرة تضم العديد من أعيان مصر وعلمائها وفضلائها ، من أمثال محمد المهدي وأحمد الاسكندري والشيخ شاكر ومحمد الخضري ورفيق العظم وعبد العزيز شاويش وحفني ناصف ومحمد ديّاب وحافظ إبراهيم ، كما كانت للأستاذ كرد علي لقاءات مع رواد مقهى حديقة الأزبكية وكان من روادها المنفلوطي ولطفي جمعة وأحمد فتاح وحافظ عوض وداود بركات ويوسف الخازن وأحمد الألفي وولي الدين يكن وإبراهيم سليم النجار وسليم سركيس وعلي يوسف ، ويوسف وسليمان البستانيين وخليل مطران والشيخ طاهر . ومجلسهم كما وصفه الرئيس - مجمع علمي في مقهى - عادت عليه هذه اللقاءات والصداقات بفوائد أدبية واجتماعية كان مردودها زاداً دسماً لمجلته ولمقالاته التي كان ينشرها في الصحافة المصرية .

رحـــلاته إلى الغرب :

رحل إلى أوربا في فترات مختلفة كان آخرها في سنة ١٩٢٨ وكان من ثمرتها كتابه « غرائب الغرب » وكان أحفلها رحلته إلى إيطاليا « رومة » في سبيل الإعداد والوقوف على المخطوطات لتأليف كتابه الجليل خطط الشام.

فقد كانت أمنيته أن يزور أوربا زيارة درس واستطلاع لحضارة الغرب، ويزور المكتبات ويتعرف على ما فيها من كنوز الأجداد من المخطوطات

التي تسربت إلى مكتبات الغرب ، ولكن أشغاله الكثيرة في الصحافة والكتابة كانت تحول دون تلك الرغبة الملحة إلى أن عطلت المقتبس وطاردته السلطة بأمر الوالي ، بسبب آرائه الإصلاحية ونقده الجريء للولاة والموظفين ، وقد أثارت مقالته في « الوهابية » غضب الوالي وحرش عليه المشايخ واضطر أن يتخفى في قرى الغوطة وينتقل من قرية لأخرى ، يكمن في النهار ويجدّ السير في الليل ، يواصل سفره حتى وصل بيروت ، فكان له من هذه العطلة الاضطرارية فراغ حفزه أن يجدد العزم للقيام بالرحلة العلمية .

وفي هذه الحادثة وما لاقاه الأستاذ كرد علي من حياة التخفي والخوف وصفه الأمير شكيب أرسلان رحمه الله في قصيدة طويلة مداعباً تارة وناقداً أخرى ، ناقداً عصور الظلم والاستبداد ، مطلعها :

ألا قل لمن في الدجى لم ينَمْ طِلابُ المعالي مثير الألمْ

ومنها :

وكم سروة تحت جنح الظلام كَسيرٌ بصدرالأريب انكتَمْ
يخاف بها حركات الغصون ويخشى النسيم إذا ما نسَمْ
وإن تَشْدُ ورقاء في أيكة تؤرقه في صوتها والنغَمْ
وكم بات للنجم يرعى إذا أديم السما بالنجوم اتّسَمْ
وطال به الليل حتى غدا يظن عمود الصباح انحطَمْ
ومن ذُعره خال أن النجوم تهدّى إلى مسكه من أمَمْ

ومنها :

وقالوا سينفى إلى رودس وقالوا سيجزى بما قد جرَمْ
وقد قيل « فزان » من دونه وتلك السموم وتلك الحُمَمْ

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبعضٌ بسجنٍ عليه قضى ... وبعضٌ بضربٍ عليه حُكِمْ
وكرد عليٌّ غدا عِبرةً ... ففاتَ ومنه الرجاء انصرَمْ
فيا كردُ لاتحزننَّكَ الخطوب ... فإن الهموم بقدر الهِمَمْ
ومَن رام أن يتعاطى البيان ... توقَّع أن يُبتلى بالنِّقَمْ
فذي حرفة القول حريفة ... وكم أدركت من لبيب وكمْ

كان جلُّ قصده من رحلاته المعرفة والدراسة والتعرف على معالم المدنية الغربية بالمشاهدة والمقارنة ، وقد تغني مشاهدة واحدة عن قراءة كتاب ، وما كان يشهد معهداً علمياً أو يزور جامعة أو مكتبة عامة أو يصر حديقة أو معملاً صناعياً إلا وتراه يوازن بينها وبين ما عليه حالنا من التخلف والتأخر والفقر .

وما أثار إعجابه متحف أو مسرح أو مصنع أو مطبعة إلا وتسمعه يتحدث عن أثر الحضارة الغربية وما صنعت لأهلها من النماء والتقدم ، ليخلص من كل ذلك إلى إيقاظ أولي الأمر وتنبيههم إلى ما عليه أوطاننا العربية وحتى التركية من الجهالة والأمية ، قال : « نحن لا نسجل في رحلاتنا إلا ما تقع عليه أبصارنا ويترامى إلى آذاننا ونمسكه بأيدينا » .

وفي نقده وتوجيهه يفصح عن نزعته الإصلاحية ورغبته في خدمة قومه ، فما ينقل إليهم من معالم المدنية وبواعثها والدعائم التي ترتكز عليها مدنية الغرب إلا بقصد إفادة قومه ، يقول : « إن ما شاهدناه عندهم ليس إلا ثمرة عمل عظيم وجهاد منظم وإرادة قوية وأساس راسخ ، وإذا أردنا أن نبلغ بأمتنا مبلغهم فما علينا إلا أن نمد يدنا لاستخدام جميع القوى الحية في الأمة ، وأن تعمل الحكومة عملاً فعالاً لما فيه إنهاض الشعب » .

وكتابه « غرائب الغرب » حافل بالموضوعات التي تتسم بالجدة وتحتفظ

بالطلاوة والموضوعية والفائدة برغم مرور أكثر من ستين سنة على كتابتها.
ورحلات الأستاذ الرئيس المتعددة في الغرب والشرق فيها المتعة والنفع والأدب والتأريخ، ومن أجزلها نفعاً رحلته إلى إيطاليا للانتفاع من مكتبة الأمير كيتاني:

كان الأستاذ رحمه الله يفكر في وضع كتاب مطول يشتمل على تأريخ الشام، يتناول تأريخ سوريا السياسي والجغرافي والعلمي والأدبي، وهو موضوع لا يسمو إلى التفكير به إلا من طبع على علوّ الهمة، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم. ومادة الكتاب مشتتة في المراجع من عربية وغير عربية، ودار في خلده أن يزور أوربا ليراجع مكتباتها، فعرض فكرته على المستشرق «مارتن هارتمن» الألماني وأنه يزمع الرحلة إلى باريز ولندن واكسفورد وكمبرج وليدن وبرلين ورومة والأسكوريال، للبحث في خزاناتها عن المخطوطات العربية، فقال له إن الفكرة حسنة ولكنها غير عملية وتستلزم مالاً كثيراً ووقتاً طويلاً، واقترح عليه أن يرحل إلى روما ويذهب إلى الأمير كايتاني صاحب كتاب تاريخ الإسلام ففي مكتبته مايغنيك: فيها صور شمسية من خزائن العالم، وفيها كل ما خلّفه الثقات من مؤرخي العرب، فزار مصر وحصل على توصية من أحمد زكي باشا إلى كيتاني فقدم عليه وقدم إليه رسالة التوصية، وعرّفه الغاية التي من أجلها يمّم ساحته. رحّب به وسهل مهمته وفتح له أبواب مكتبه وأوصى مساعده المستشرق «جويدي» أن يقوم بمعاونة الأستاذ كرد علي، فكان يقضي في المكتبة كل يوم ساعات ثلاثاً ينهل من مصادرها مدة شهر كامل، فإذا عاد إلى المنزل الذي يسكنه راح يدوّن ويركّب الجزازات ويدون ما فيها حتى ارتوى، ونسخ من مصادرها ما أراد وتم له تنسيق فصول الكتاب ودوّن مادته

ورتبه حسب الأقاليم ، يبحث في كل إقليم تأريخه وجغرافيته وطوبوغرافيته ، وسمّى كتابه هذا خطط الشام . قال في مقدمته :

« إن المتأخرين زهدوا في التأريخ حتى كادوا لا يفرقون بينه وبين أقاصيص العجائز وموضوعات المخرفين من القصاص والوضاعين ، مما دعا إلى العناية بتجريد هذا الكتاب ما أمكن من المبالغات والخرافات ونخل لباب الوقائع المهمة الثابتة وحذف ما فيه شبهة أو شائبة غلو ، وإن كان منها ما يروق بعضهم ويتفكهون بسماعه ، ويطربون لترداده .

فخاطبت العقل أكثر من العاطفة ، وعنيت في قسم التأريخ السياسي : أبيّن علل الحوادث وتسلسل الكوائن وأستنبط القواعد . والتأريخ ربيب الحرية لا يتصرف على هوى من يكتبه ولا هوى من يقرؤه ، ولا يخضع لأذواق المعاصرين وميولهم ، وما دام موضوعه الاعتبـــار بالخالي لمعرفة الحالي والآتي فهو جدير بأن يتحرى فيه الحق ولا يدون سواه ولا يتناغى بغير الواقع » .

خمس وعشرون سنة يجمع مادته ،ويحرر فصوله ، ويسوّد أوراقه ،وينقلها إلى المبيضات بيده ، ولا يعتمد على كاتب أو طابعة ، ١٩٤٣ صفحة من القطع الكبير ، الله وحده يعلم كم عانى في كتابتها وجمع مادتها ، قرأ خلال هذه المدة أكثر من ألف ومائتي كتاب باللغات العربية والفرنسية والتركية ، وقرأ مصورات لا حصر لها وراجع مخطوطات في خطوط مختلفة لا يصبر على فك رموزها إلا من أوتي صبراً وجلداً ، وقد رجا إخواناً له الكتابة في خطط بلدانهم . فاعترف لهم بفضلهم ، ونوّه بعملهم ، وعزا إليهم ما دونوه . وحين قامت الحرب الأولى واشتد أوارها وشغل الناس بويلاتها لم يسع

ARCHIVE

الأستاذ الرئيس إلا أن يطوي صفحات الكتاب ويقفل على أوراقه إلى أن تضع الحرب أوزارها .

ولما انتهت الحرب العالمية الأولى تألفت لجنة من أصحابه وعارفي فضله جمعوا نفقات الطبع ، وفتحوا باب الاشتراك في الشام ومصر والعراق ولبنان وغيرها فجاءت المبالغ تباعاً حتى بلغت زهاء ألف ليرة ذهبية ، وعلى هذا النمط من التعاون تمّ طبع الكتاب ، وكان لأول مرة وربما هي لآخر مرة يطبع كتاب بهذه الطريقة ، طبع من الكتاب ثلاثة آلاف نسخة بيع منه ألفان سددت نفقات الطبع والورق ، وأهدى من الألف الثالثة للمجامع وإلى دور الكتب العامة وإلى العلماء ، ولم يعد عليه مردود الكتاب إلا بجزء ضئيل من النفقات التي أنفقها على شراء الكتب والرحلات ، ناهيك بأتعابه خلال خمس وعشرين سنة من الجهد المتواصل . نقد الكتاب جماعة من العلماء والأدباء فسجل لهم نقدهم وتصويبهم وأغفل المدح والتقريظ وقال : « من طبعي أن يتدرب الناس على حب النقد للفائدة المتوقعة منه للمؤلف وللناس وللعلم ، ولم أنشر في كتبي ولا في المجلات والجرائد التي أكتبها تقريظاً أو شيئاً يشبه المدح في عملي » .

وألحق هذه النقود والتصويبات في آخر الجزء السادس من كتابه ، والناقدون يومئذ إذا ظهر كتاب لكاتب معروف أخذوه بالدرس والنقد والتقريظ ، وشعارهم : « ولا تَنْسَوا الفضلَ بينكُم » ، وما كان من خلقهم التجريح والتبريح ولا التجهيل والتسفيه ، وإنما نقدهم في سبيل النفع العام والفائدة للقارىء والمؤلف . نقدّه أعلام لهم وزنهم وأقدارهم من مثل : أحمد تيمور وشكيب أرسلان واسكندر معلوف ويعقوب صروف والكرملي وأسد رستم وفيليب حتّي .

وكتب الأستاذ الشاعر شفيق جبري في وصفه ما نصه قال: « إن الإنسان إذا ضرب بعينيه في هذا التأريخ، فأول ما يغلب عليه دهشة بدهشها وحيرة بحارها: يدهش من هذه الأمم التي تعاقبت على ديار الشام من أولى العصور، ويحار من هذه اللغات التي تزاحمت فيها، ثم لا يخرج من دهشته وحيرته إلا بهذه النتيجة العجيبة: كيف استطاعت القومية العربية أن تُعفّي على آثار كل القوميات التي تعاقبت على الشام، كيف استطاعت لغة العرب أن تطمس آثار كل اللغات التي تنازعت في هذا الوطن الكبير، فإذا خرج من قراءة خطط الشام بهذه النتيجة علم حينئذٍ مقدار فضل مؤلفه في جمع ما تبعثر من آثار العرب والإسلام، في السياسة والحضارة، حتى ينظمها في مسلك واحد يملأ الإنسان منه قلبه وعقله.

ومؤلفاته والكتب التي أنجز تحقيقها ومحاضراته ومقالاته في التأريخ والأدب والسير والاجتماع والدين وفي الحضارة العربية إنما باعثها الدفاع عن الإسلام والعروبة والرد على الشعوبية وعلى الاستعمار وأعوانه، ولم يفارقه المداد والقرطاس طوال حياته، وصاحبه القلم والكتاب حتى وهو في فراش المرض مع الدواء لا يجد عنها غنية أو بديلاً، وحسبه هذا الصرح العظيم — المجمع العلمي — الذي أشاد صرحه، والذي ما زال يشع بالعلم واللغة والأدب والذي يواصل مسيرته المباركة، ويضم هذه النخبة المختارة من رجال العلم والأدب الذين ندبوا أنفسهم لخدمة العروبة والإسلام، وأعطاه من وقته وقلمه وماله وجهده ما جعله مثابة للعلم وملتقى للعلماء والأدباء من سائر أقطار الدنيا شرقية وغربية.

وأخلص مما قدمت إلى أن تلك الرحلات التي رحلها إلى مصر وتركيا والحجاز وإلى أوربا بأوقات متفاوتة وحضر مؤتمر المستشرقين واستمع إلى بحوثهم، يضاف

إليها تلك اللقاءات مع العلماء والكتاب والشعراء والمستشرقين وما كان يردّ به على استفهام المستفهمين ويعقب على أخطاء أولئك المستعربين، متعمدين وغير متعمدين، كان مردود هذا اللقاح الفكري والأدبي وممارسة الكتابة المستمرة والقراءة لأمراء البيان أن تميز بأسلوب عربي مبين في الأسلوب والمضمون.

وإليكم سادتي هذه الفقرات، كتبها في عشر الثمانين في مناجاة نفسه، فيها الدلالة على أسلوبه الرفيع، وفيها الدلالة على ما تنطوي عليه نفسه من خُلُق هذّبه الدين وأنضجه العلم، وطبع كوّنه الأدب وصُحبته الكتاب. وفي هذه المناجاة يبرز أسلوبه الأنيق في الكتابة قال: «يا نفس! هو ذا الحادي يهيب بك لاجتياز المرحلة الأخيرة – دراكِ، وخففي في خفّ من أثقالك للحاق بمن تقدموك من الأهل والعشير، فالوقت ضاق، وأنت على أوفاز، والمنزل منزل قُلْعة. يا نفس! لا تغضبي ولا تأسي فقد عُمّرت طويلاً، ومُتّعت كثيراً.. واستكثرت من الخلان والمعارف، وسعدت إذ كنت أقرب إلى التفاؤل من التشاؤم، وإلى الرجاء أدنى من القنوط، وإلى السرور أكثر من الغمّ، وعشت في سلطان الرضا طيبةً الطُعْمة، لا يد لأحد عندك. علموك ما كانوا يأملون منه إعدادك للتجارة تمتثلين كما اغتنى أجدادك فأخفق تقديرهم، وهدتك الفطرة لأمور أخرى رفعتها فوق كل اعتبار، وصرفت فيها نقدَ عمرك، اعتقاداً منك أن فيها سعادةً لك ولغيرك، أخذت عن أشياخ أدخلوا الملل عليك بدساتير لهم حفظوها وما اهتدوا إلى العمل بها، وانصرفت عنهم بشكوكٍ ومعميات ما انحلّ لك بعضها حتى اتصلت بمن خرّجوك فيما غلب عليك، وأصبحت تنظرين في الأمور نظر العارفين، واقتديت بأرباب العقول قبلك فيما لم ينكشف لك سرّه، فسلِمْتِ كما سلموا، واستسلمتِ كما استسلموا،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واغتبطت أن أرضيت هواك فيما قرأت وبحثت، وفيما سجلت ودوّنت .

وحظّك الحظ فما ألفت إلا أولي الفضل، وما حرصت إلا على صداقتهم، ولا اختلفت إلا إلى مجالسهم ، وما شاقك إلا سماع أخبارهم .

وكنت على الأكثر لا تصحبين إلا من تستفيدين من علمه وتجربته، وتفرين من الأحاديث الغثة فرارك من الطعام الواحد والمنظر الواحد والنغم الواحد ، وما كنت كذلك شهد الله في حبك ووفائك ، هان عليك ما أنفقت في الضئيل من المعرفة التي كتب لك تحصيلها ، وكان استغراقك ساعةً واحدةً فيما ولعت به يوازي في نظرك أكثر المسرات والشهوات. درجت على بغض الفوضى وحب النظام ، وآثرت ثورة الأفكار على ثورة السلاح، ودققت في حساب يومك وغدك وأيقنت أن لا مجد إلا عن طريق المعرفة فأحرزت لك شهرة سعيت وراءها لأول أمرك ، فلما بلغت ما أربى على رجائك رحت تزهدين فيما صرت إليه ، وتندمين على فترات ضاعت سدى ، وإن أكسبتك مرانة ومرونة وأفادتك عبرة وتجربة . كان بلاؤك ما ينهال عليك من الضربات في تأييد الحق وتقويم المائل ، حتى صار ذلك فيك خلقاً وجبلّة ، وما عبأت بمن كانوا يحاولون التسلق إلى الشهرة بالحطّ منك ... علمتك الأيام التحلم وما كنت حليمة ، وزيّنت لك اللين وكنت جامحةً ، وأخذت من حوادث الدهر دروساً في الصبر والأناة بقدر ما سمح به مزاجك ، وما تقاضيت الناس ما لا يملكون ، وعذرت بعضهم على ما هم فيه ، وما كلّفت الأيامَ ضد طباعها ، وما أحببت أن تستثمري أحداً ولا أن يستثمرك أحد ، وقلما أتيت شيئاً وندمت عليه ، وما حزنت لرزية في مال ولا جاه بقدر حزنك لفقد الحبيب وفراق الصديق ...

وكنت تتخلين عن أصحابك في أفراحهم ، ولا تتركينهم في أتراحهم ... إذا أقبلت الدنيا على الصاحب تبتعدين عنه ، وإن أدبرت تكثرين من مواساته . عاداك من عادك عداء المتباينين في العقلية والثقافة ، ووجهوا إليك من التهم ما كان في وسعك رده لو جوّزت إضاعة الوقت في مهاتراتهم ، وبما قرفوك به أنك مستبدة فيما يبدو لك ، مفرطة في حرية رأيك ، حلوة الصداقة مرّة العداوة ، ضنينة بجاهك تكثرين من قول : لا أكثر من قول : نعم ، وهم كانوا يريدونك أن تشهدي المحق والمبطل ، وتدخلي فيما يعنيك ومالا يعنيك ، وقاعدتهم أن لا ضرر من العبث بحقوق الجماعة إذا كان منه تنفيس كربة الفرد .

يا نفس ! الحق مرّ والصادع به معذب ، وصاحبه أبداً هدف لطعن الطاعنين ، ومن يحاول إصلاحاً وتجديداً فهو عرضة للصفقين والمصفرين ... أنت يا نفس لم تحمدي واحمدت ، ولم تشمتي وشمت بك ، وإلى هذا كنت تهللين بسقوط المنافقين والمتجسسين ، وتتهللين يوم يدب التمزيق في أموال جمعت ببيع المروءة وفساد الذمة .

أنت ما عاديت إلا مأفون الرأي ، وما شاكست إلا زعانف الحشوية ، وما تأففت إلا من زبانية السياسة ، وإذا غلوت في القضاء على غلوائهم فمدرك كونك من الآدميين ، يجوز عليك ما يجوز عليهم من ضعف وغلط ، والتيار قد يقذف بالواقف في جريته إلى مخاضات لا يختارها . كرهت يا نفس التعصب والعصبية ، وحاربت الجهل والأمية ، ومقت الحزبية والجمعيات السرية ، وتفانيت في الدعوة إلى الاستقلال وحب القومية ، ودعوت جهرة للعرب والعربية والإسلام والمدنية العربية .

عاشرت أجيالاً ثلاثة : كان في الأول معلموك ومؤدبوك ، وفي الثاني إخوانك ومعارفك ، وفي الثالث المستحسنون والمستهجنون لعملك ، وكان جيلك الأول خير أجيالك لما تخلله من آمال وأحلام وبشارات بما كنت ترتجين في دنياك من استفاضة الصيت وإرادة النفع .. وتعرضت للهلاك غير مرة فنجوت لا بحسن حيلتك بل بقضاء وقدر ، وأدركت بأخرة أن ليس في العالم أمس واليوم وغداً غير التكرار ، وأن البشر في بلاء ومحنة . فإذا خرجت من هذه الفانية وحسناتك عدل سيئاتك أو شالت الحسنات قليلاً في ميزانك فقد فزت فوزاً عظيماً ، فلا تسألي خالقك بعد الذي جرى لك إلا العفو والعافية » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذكريات وانطباعات عن كرد علي

الأستاذ تيسير ظبيان

من الأقوال المأثورة عن الزعيم الخالد (سعد زغلول) الذي كان يمثل الشخصية المصرية في أروع صورها قوله : « إنني رجل قد وضعت تحت تصرف أمتي عقلي واختباري وبياني ، فإن استفادت الأمة من عملي فذاك ما يجعلني سعيداً ، وإلا فهو واجب قد أخذته على نفسي وأنا أقوم به لأريح ضميري » .

وهذا القول يكاد ينطبق إلى حد بعيد على علامتنا فقيد العلم والأدب والثقافة والعرفان المرحوم **محمد كرد علي** الذي كان يمثل الشخصية السورية في أبهى مظاهرها . ولقد أفادت الأمة من عقله واختباره وبيانه كما أفاد الشعب المصري من عقل واختبار وبيان زعيمه الراحل المرحوم **سعد زغلول** .

ويطيب لي أن أذكر بأنني تعرفت على علامة الشام منذ نعومة أظفاري ، وكان يحثني على التردد عليه والدي ، الذي كانت تربطه بـه

علاقات وروابط وثيقة العرى ، فقد كانا يعملان في حقل سياسي واحد أيام العهد العثماني ، كما كانا من أوائل المنتظمين في حلقة مربي ذلك الجيل المرحوم **الشيخ طاهر الجزائري**، فكنت أزوره في مكتبه بين الفينة والفينة ، وكنت أنعم بأحاديثه ، وأغرف من معين فضله ، وأصيخ السمع بشغف إلى توجيهاته ، فكانت صلتي به صلة التلميذ بأستاذه ، والمريد بشيخه . وكنت أشعر وأنا في مجلسه بأنني حيال بطل عملاق : قوي الشكيمة ، حاد النظرات ، متقد الذكاء ، واسع الاطلاع ، طلق المحيا واللسان ، حاضر الذهن ، سريع البديهة ، عذب الحديث ، ولا يكاد يخلو حديثه من دعابة مستملحة ، أو نكتة مستظرفة ، بالإضافة إلى مايتحفك به من آراء سديدة وتعليقات هادفة في مختلف المجالات ، وما يرويه لك من قصص ومغامرات وقعت معه في شتى أدوار حياته .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

ومن أبرز ما أثار إعجابي في مزاياه عطفه على الشباب وتقديره لمواهبهم ، وحثهم على اقتحام معارك الحياة وارتقاء معارج التقدم ، والثبات على المبدأ ، واحترام النظام ، والجرأة في قول الحق ، والعمل الدؤوب حتى إنه سنّ سنّة لم يسبقه إليها أحد من قادة الرأي في العالم العربي وهي إقامة الحفلات لتكريم أصحاب المواهب منهم ، وقد أقام بالفعل حفلاً تكريمياً في دار المجمع لأربعة من الشعراء الناشئين وهم : جميل سلطان ، وأنور العطار ، وزكي المحاسني ، وعبد الكريم الكرمي .

وإنني لأهتبل هذه السانحة لأروي لكم ثلاثة من مواقفه المجيدة وهي تنم عن شغفه بحب بلاده ، وتراث وطنه ، ورغبته في تقصّي الحقائق

والمعلومات التاريخية أينا كانت وبأية وسيلة كانت ، كما تنم عن حدبه على الشباب وتشجيعه لهم :

● **الموقف الأول :**

في عام ١٩٢٤ كنت أعمل مدرساً في إحدى مدارس مدينة (ابن الوليد) وكانت معرفتي بالفقيد حديثة العهد ، فبعث إليّ برسالة يطلب فيها أن أتوجه إلى إحدى القرى المجاورة لمدينة « حمص » للتحري عن بعض النواويس التي قيل إنه عثر عليها في تلك القرية ، وإليكم نص هـــذه الرسالة التي ما زلت أحتفظ بها :

المجمع العلمي العربي في دمشق

حضرة الأستاذ السيد تيسير ظبيان من أساتذة المدرسة التجهيزية بحمص المحترم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وردنا كتاب من سعادة رئيس المعارف بدمشق مفاده أنه عثر على قبرين من فخار في كهف مجاور لقرية فيروزة فأخذا ووضعا في مدرسة فيروزة ، فالمرجو أن تذهبوا إلى تلك القرية وتشاهدوا القبرين وتصفوهما لنا وتخبرونا هل يستحقان النقل إلى متحف دمشق ، وهل يمكن نقلها بسهولة وبأية واسطة ، وكم يلزمها من النفقة حتى إذا رأينا أنهما جديران بالنقل وأن نقلها سهل والنفقة ليست كثيرة بادرنا إلى اتخاذ الوسائل الكافلة باتمام العمل . وربما كلفناكم ذلك وبعثنا إليكم بالدراهم اللازمة ، فأجيبونا سريعاً ولكم الفضل .

٢١ شوال ٣٤٢ و ٢٥ أيار ٩٢٤

رئيس المجمع العلمي (محمد كرد علي)

● **الموقف الثاني :**

التمست منه ذات مرة أن يزودني بكلمة من صوغ يراعه لأضعها في كتاب أعددته باسم (الفردوس) ، جمعت فيه خير ما جادت به قرائح الفحول من كتابنا وشعرائنا في القرن العشرين فابتسم (رحمه الله) وقال : (حبذا الكتاب ، وحبذا اسم الكتاب) ثم فكر ملياً وأطرق برأسه المزدان بإكليل من النور وقال : (وهل ثمة باقة يمكن أن يعبق أريجها ويفوح شذاها في فردوسك أزكى من أريج الغوطة ؟) قلت : وماذا تعني ياسيدي ؟ فمد يده إلى درج مكتبه وأخرج مقالاً رائعاً كان قد كتبه عن غوطة دمشق حين غادر الفيحاء في إحدى المناسبات ، وقد تغنى فيه بجمال الغوطة وبسطها السندسية وأدواحها الجنية وتربتها الغنية ، كما أشاد بذكر الفيحاء وما تمتاز به من سحر وجمال .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

● **الموقف الثالث :**

استدعاني إلى مكتبه في يوم من أيام صيف عام ١٩٢٥ وكنت أعمل محرراً في صحيفة (ألف باء) وقال : ألم تتلق دعوة المجمع لحضور الحفلة التي ستقيمها بعد هنية لتكريم أمير الشعراء (أحمد شوقي) لكي تغطي وقائعها في (ألف باء) ؟ قلت : بلى يا سيدي وكنت في طريقي إليكم .. قال : ولكنني دعوتك لأمر آخر ، فقد وقع اختيارنا عليك لتلقي في الحفلة قصيدة الأستاذ خليل مردم بك (وكان من عادته أن لا يلقي قصائده بنفسه بل يعهد بإلقائها إلى الآخرين) ثم دفع إلي القصيدة وكانت قصيدة عامرة ولكنها مكتوبة بخط مضطرب وطويلة جداً . قلت : هذا يا سيدي

شرف عظيم لا يدانيه شرف فأشكركم على ثقتكم الغالية ، ولكن الوقت ضيق ، والقصيدة كما تلاحظون طويلة فأحتاج إلى بعض الوقت لمراجعتها وتفحص ألفاظها ، فالوقت ضيق والموقف رهيب أخشى أن لا يواتيني الحظ لأداء هذا الواجب فأتعثر في إلقائها . فأجابني وهو يداعب بأصابعه سلسالاً كان كثيراً ما يعبث به :

« في مثل هذه الظروف الدقيقة يجب أن تبرزوا مواهبكم معشر الشباب ، فلا بد من أن تلقي القصيدة مهما كلفك الأمر من جهد وعناء فتوكل على الله » . وقبل أن ينجز حديثه فوجئنا بحضور المحتفى به ، فخف رحمه الله لاستقباله وتركني في مكتبه أضرب أخماساً لأسداس ، بيد أن كلماته المشجعة ظلت ترن في أذني وتهز مشاعري وتفعل بها فعل السحر ، فعكفت على تلاوة القصيدة مرة واحدة استطعت في غضونها أن أتبين كلماتها وقد وفقني الله لإلقائها بيسر وسهولة . ومما يجدر ذكره بهذه المناسبة أن مدينة الفيحاء نالت أروع وسام من أمير الشعراء في هذا الحفل ، فقد خلد ذكرها في قصيدته التاريخية البليغة وتغنى بأمجادها واستفز صناديدها ، فلبت نداءه ووثبت وثبتها ، وصرخت صرختها ، وأضرمت ثورتها في وجه الاستعمار والمستعمرين ، وكلكم تعرفون هذه القصيدة الخالدة التي استهلها أمير الشعراء بقوله :

قم ناج جلق وانشد رسم من بانوا مشى على الرسم أحداث وأزمان

رحمك الله يا علامة الشام . فقد كنت عظيماً في علمك ، عظيماً في خلقك ، عظيماً في أدبك ، عظيماً في بيانك ، عظيماً في تفكيرك ، عظيماً في إحياء تراث أجدادك وخدمة بلادك ، عظيماً فيما أخرجته لنا من ثروات

علميـــة وكنوز أدبيـة ، وما فجرته في عالم العروبـــة من ينابيع الثقافة والعرفان .

أيها الســـادة :

بعد كتابة الكلمة وإرسالها إلى اللجنة القائمة باحياء هذه الذكرى مشكورة ، عثرت بين أوراقي القديمة على ديوان مخطوط لأحد شعرائنا الملهمين ، وقد أكل الدهر عليه ولم يشرب ، وأبقت عليه يد الحدثان فلم يذهب ، فقد أورد هذا الشاعر في ديوانه المذكور نبذة أدبية طريفة وقصة تاريخية ممتعة ، أبطالها أربعة من المفكرين أحدهم فقيدنا الكبير (محمد كرد علي) ، وقد رأيت من واجبي إضافتها إلى هذه الكلمة . ومن دواعي الأسى أن يتنكر الآباء والأجداد لذلك الشاعر المغمور ، ويتجاهله الأبناء والأحفاد ، فقد قضى نحبه في دمشق أيام العهد الفيصلي وهو لا يزال في ربيع العمر ونضارة الشباب ، شأنه في ذلك شأن أبي القاسم الشابي ، ويكاد يحاكيه في نشأته وفي نزعته وفي دقة شعوره ، ولنا وطيد الأمل بأن مجمعنا الكريم سيعمد إلى إحياء ذكرى هذا الشاعر الشاب المبدع (عجاج المهباني) كما أحيا القطر التونسي الشقيق معالم شاعره الفذ . وكان المهباني أحد رفاقنا في كلية صلاح الدين الأيوبي التي أنشئت إبان الحرب العالمية الأولى في بيت المقدس ، ويسعدني أن أرى في هذا الحفل اثنين من زملائي القدامى في تلك الكلية وهما الدكتور كامل عياد ، والأستاذ جميل قربي .

واليكم خلاصة هـــذه القصة الطريفة كما سجلها الأستاذ المهباني في ديوانه . قال :

« كنا أربعة في القطار : أحد البكباشية الأتراك ، ومحمد أفندي كرد علي ، وخير الدين أفندي الزركلي وأنا . وكرد علي كاتب سورية الاجتماعي والبحاثة الكبير . وأما الزركلي فشاعر الشبيبة في دمشق ولا أعرف من شيوخها من يجعله تحت ظله أو يماشيه ويجاريه فيبذه .

تعارفنا في القطار ، فسرّ كرد علي بهذا التعارف ، وكان سرور الزركلي أكثر . وكنت أعرفهما ولا يعرفانني . وملنا إلى بعضنا كل الميل . وأخذنا نتجاذب أطراف الأحاديث ، ونتلو من أشعار الشعراء بين قديم وحديث .

ووقف القطار بنا في موقف الزبداني فهوينا نتمشى ، وهناك البائعات يصحن (بالله عالتفاح) وآخرون من الصبية يدورون حاملين الخبز واللبن .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بين تلك البائعات فتاة في ريعان العمر ، في لباس القرويات ، ذات جمال باهر ، وطرف ساحر . نظرنا إليها مثبتين النظر فضرج خديها الحياء ، ومالت عنا بجيد أدماء . صعدنا إلى القطار وقد آن أن يتزحزح فأخذنا ننظر إليها من النوافذ . وبينما نحن كذلك إذا بالدم يسيل من أنفي ، فمال خير الدين إلى مقعده وأخذ القلم وكتب عفو الساعة :

سفرت تخجل المها والظباء   فرنونا نغازل الحسناء
غادة تشبه الهلال محيا   وبهاء ورونقاً وصفاء
كونت حسنها الطبيعة فتنا   نأ كما كونت الجمال ذكاء
هي كالظبي في النفار ولكن   هي فاقته مقلة كحلاء
شعرت أننا نطيل إليها   نظرات الهوى فصدت حياء
سكب العاشق المحب دماه   مستعيضاً عن الدموع الدماء

ليس للحب رأفة بالمحبين   فصبراً على الهوى وعناء
أنا أسلمت للغرام فؤادي   صائناً في حشاشتي ما شاء

وقدم شعره هذا إلي فأخذت دفتره وكتبت عفو الساعة :

لا تلمني إذا شكوت فإني   مغرم لما بكيت اشتكاء
قد أسالت دمي بلحظ وأودت   بفؤادي وعذّبتي جفاء
ذات حسن لو أسفرت في دجى اللي   ل لحال الظلام منه ضياء
غادة قد منحتُها حبة القل   ب وداداً نصونها وصفاء
فتولت بها وضنت علينا   بوداع لو كان كان شفاء
قال لي صاحبي أتعشق والعش   ق عذاب يجده في القلب داء !
قلت دعني فإنما الحب شأني   ولئن كان شقوة وعناء
حب غيري يريق دمع ذويه   وغرامي يريق مني الدماء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قيس دمشق

الأستاذ حسني فريز

دمشق أوّلُ حبٍّ رفّ بالأملِ ... وروعةُ الوجدِ في آلائه الأوّلِ
مِنْ قبلِ أن تُعرف الأشواق كان لها ... سحر يدق على الأفهام والمُقَلِ
هزت سريريَ أمّي وهي مُنشدة ... حُبُّ الشآم بقلب خافق ثَمِلِ
فلم يَزلْ نامياً حتى رأيتُ لها ... مطالع العزّ والأخلاق والمُثُلِ :
بردى الذي عبقت بالعطر غوطته ... وما تغنّى به الأطيار من قُبَلِ
وما تفتّحَ من زهر على فَنَنٍ ... واهتزّ من وَرَقٍ في روضك الخضلِ
وما تأطّرَ من دَلِّ الصبا غُصُنٌ ... يتيه بالحسن لا بالحلي والحُلَلِ
وما تأمل ذو وجد ومعرفة ... بما يكون من المعلول والعللِ
وإذ أبو النصر في أكناف غوطتها ... متيّم بكمال الحكم في الدولِ
والصالحون وأهل الله موئلهم ... على اختلاف الرؤى والرأي والنحلِ
ومذ ألمَّ بأرضِ الهند فارسها ... أطاف بالصين جند الشام في جذلِ
في الغرب كالشرق فتح لا مثيل له ... وذكره سائر في الناس لم يزلِ

* * *

وجاء دهر توارى نور بهجتها ... وصار وجه المنى والمجد للخجلِ

كذاك دهرك ما ينفك ذو غِيَرٍ — وكل ما شهد الإنسان ذو أجلِ
فقيّض الله نورَ الدين يُنجدها — ويبعث الروح في القلب والوكلِ
رسالة الحق بالأعمال جسّدها — وحشّد الناس بالإيمان والمثلِ
ولم يجاهد بأقوالٍ ينمقها — ولا بكتبٍ يزجّيها مع الرسُلِ
ولا بتفسير نصٍ أو روايته — ولا بتعليل أمْرٍ بيّن الدخلِ
ولم يقلْ إن أوربا تناجزنا — وما لنا باصطلاء الحرب من قِبَلِ
بل قال إني إلى ربي لمتجهٌ — والله حسبيَ في فرضٍ وفي نفلِ
وجاء تلميذه الميمونُ طالعهُ — يتمّ خطة ذاك السيّد البطلِ
أتى الهمام صلاح الدين فاضطربت
له العدى وأثارت كل محتملِ
قلب وعقل وسيف باتر حردٌ
وكيف يرضى بجرح غير مندملِ
وجمّع البغي في حطّين قوّته — وجاءه الحق بالإيمان والأملِ
وعسكرُ الظلم يخشى الناسُ مظهرَهم — كأنهم قطعٌ قُدّت من الجبلِ
واستنصروا بحديدٍ سال فوقهمُ — يحمي الجلود ولا يحمي من الوجلِ
وكيف يحميهمُ والجوُّ ملتهبٌ — عند الظهيرة والطعنات كالشعلِ
وكان جند صلاح الدين معتمداً — على الشهادة إن لم يودِ بالسقلِ
لما تبيّن أن النصر حالفه — وأن أعداءه صاروا إلى الفشلِ
أهدى إلى الأرض شكراناً لناصرهِ
لله، لا لصوابِ الرأي والحيَلِ
وطهّر الأرضَ منهم بعده صُبُرٌ — وعادت الدارُ للأشواق والغزلِ
حتى أتى من بني عثمان أفتكُهم — فراح يسلك فينا أشأم السبلِ

وقبلَ هذا أضعنا البحرَ فانحسرتْ   ظلالنا وخسرنــا عزّةَ النّقلِ
وسيطرَ الفقرُ فالأسواقُ كاسدةٌ   والأرضُ كالحةٌ من ذلكَ الشللِ
فطمَّنا الجهلُ حتى كان أعلمنــا   عُشُّ الخرافة والتوهين والخَبَلِ
هنا .. تجلببَ الاستعمارُ في بطلٍ   من الفرنسيس ذو بطش وذو دجلِ
فهزنــا جيشه هزاً بمعرفــة   واستيقظ الناس من نومٍ ومن وَهَلِ
وهبَّ منهم رجالٌ كان همُّــهمُ   بعثَ الحقيقة في التاريخ لا الجدلِ
فعــاد للغة الفصحى بشاشتهــا   وكلُّ ما كان في الماضي من النبلِ
ونورهم باهــرٌ في كلِّ ناحيةٍ   وجهدهم طـار في الأرض كالقللِ

* * *

وأنت يا بن عــليٍّ من شوامخهم   بالعلم والرأي والإيمان والعملِ
دمشقُ ليلاكَ لا هندٌ ولا دعدٌ   وأنت قيسُ دمشق كنتَ في الأزلِ
من حبك الشام زدت الخلقَ معرفةً   بما شرحتَ وما بينتَ من عللِ
قد يعذل الناس أهل الحبِّ من حسدٍ   لكنَّ هواكَ بلا لومٍ ولا عذلِ
نعمتُ بالود في محياك بل نعمتْ   بك البــلادُ وظلُّ الود لم يحلِ
قد أدركَ المجدَ أعلامٌ لما ظفروا   من المودة إلاّ بعــدَ مرتحلِ
وقــد ظفرتَ بكلتـــا الخصلتين ومن
حظ المحبين مــا أحرزتَ من نفــلِ
إن الغرامَ الذي زانتــكَ نسبته   قد زنته أنت في تاريخــكَ الجللِ
فســار مثل مسير الشمس من أفقٍ   عــال إلى أفق بالنور مكتحلِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمد كرد علي خزانة علم

الأستاذ محمود العابدي

في السادس عشر من نيسان ١٩٤٦ ذهبت مع وفد رسمي وشعبي من صفد للاشتراك في حفلات عيد الجلاء في دمشق ـ جلاء الاستعمار الفرنسي البغيض ، ولقد عشت ثلاثة أيام في فرح ونشوة لست اعتقد أنني سأعيشها مرة أخرى . لقد كانت دمشق غارقة في نشوة من الفرح والحبور لا مزيد عليها ولقد أبدعت رجالات الأحياء وشبانها بأشكال أنواع الزينات التي كانت تتخذ من المرجة (ساحة الشهداء) ملتقى لها من غياب الشمس حتى منتصف الليل .

ARCHIVE
http://ArchiveBeta.Sakhrit.com

بعد ذلك أخذت أسأل عن أصدقائي وأجتمع بهم . وتكرم اثنان منهم بوضع برنامج أسبوعي ، وفي اليوم الرابع أخذني الدكتور محمد عطايا ـ الصفدي الأصل والدمشقي الإقامة والمحبة ـ إلى دار الكتب الظاهرية وعرفني على قيّمها ثم رافقني إلى المدرسة العادلية التي هي مقر المجمع العلمي العربي في دمشق ، وعرفني على رئيس المجمع ، عالم سوريا ومؤرخها وأديبها ، الأستاذ الرئيس محمد كرد علي رحمه الله ، وبعد أن تم التعارف استأذن الدكتور عطايا وذهب لشأنه وتركني أنعم بالاستماع إلى شتى أحاديث

الرئيس الرحالة الذي سبق لي أن تعرفت عليه من خلال مقالاته وكتبه العديدة — ولا سيما خطط الشام في أجزائه الستة ..

سألني عن صفد وعن فلسطين وأهلها وموقفهم من اليهود ، وعن الازدهار الزراعي والنهضة التعليمية في فلسطين — ومن ثم تطرق للمقارنة بين الاستعمارين - الانكليزي بفلسطين والإفرنسي بسورية . . . ولما أعلمته أنني مشغول بوضع مؤلف عن صلاح الدين الصفدي ابتسم وفرح إذ عرف أن مواطناً للصلاح جاء يسأل عنه وعن أخباره في عاصمة ديار الشام الكبرى . وبعد التبسط في هذه الأحاديث ألحّ علي أن أجيئه غداً .

وفي العشرين من ذلك الشهر شربنا شاي الصباح ، وبدأ يطرح علي الأسئلة عن الصفدي ولم يكن ينتظر مني الأجوبة — بل كان يسرع للإجابة بسيل متدفق من المعلومات التي لا يمكن أن توجد في كتاب ، وامتد بحثه المتدفق إلى المستشرقين ونبّه بشدة إلى الحذر منهم - فهم على الأغلب صاحب هدف يسعى لتحقيقه — سواء أكان لخير العرب والمسلمين أو لغير ذلك - مع الاعتراف بتوسعهم وتعمقهم في أبحاثهم ، وإليهم الفضل في تجلية كثير من مظاهر الحضارة الإسلامية وإحياء التراث الأدبي للعرب - وخص منهم الأمير الايطالي « كايتاني » - صاحب أكبر مؤلف في تاريخ المسلمين ، ونوّه كثيراً بالمساعدات التي قدمها له في مكتبته العامرة والتي أمضى فيها مايربو على الشهر ، وهو يأسف لهذه الشخصية العلمية كيف انصرفت مؤخراً إلى السياسة - تلك الأمنية التي لم ينجح في الوصول إليها بسقوطه في الانتخابات والتي حولته قليلاً عن موضوع اختصاصه الذي كان يمكن أن تتسع الفائدة منه .

كما يخص المستشرق العالم المجري « غولدزيهر » بالثناء العاطر على جهوده

في حفظ التراث الإسلامي والاعتراف بأهميته وإقناع الغربيين بخدماته الجلّى للحضارة البشرية .

وكذلك العالم الألماني « مارتن هارتمن » وصنوه آدم متز صاحب كتاب الحضارة الإسلامية في القرن الرابع وقد عرفهم من مكتباتهم ، ومن حضوره لاثنين من مؤتمراتهم في سنتي ١٩٢٨ و ١٩٣٠ .

الصلاح الصفدي :

قال لي رحمه الله : إذا رجعت إلى المجلد الثامن من مجلة المقتبس الصادرة في دمشق سنة ١٩١٤ وجدت لي مقالاً مطولاً يعطيك فكرة واضحة عن هذا المؤلف : وبالفعل عندما طلبت هذا المجلد من مكتبة دار الكتب العادلية وجدت فيه :

« صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي أحد رجال القرن الثامن . ولد في صفد سنة ٦٩٦ هـ وتوفي بدمشق سنة ٧٦٤ هـ وهو إمام في اللغة والشعر والتاريخ والفقه ، وقد تخرج على علماء دمشق في عصره فأخذ الشعر عن جمال الدين بن نباتة ، واللغة عن أبي حيان النحوي ، والفقه عن الحافظ المزي وابن جماعة ، والتاريخ عن الذهبي ، والمغازي والسير عن ابن سيد الناس . وتولى عدة مناصب إدارية ومالية في صفد والقاهرة وحلب ودمشق . وقبره اليوم معروف بصفد .

وقد كان من المؤلفين المجيدين — ذكره بروكلمن في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية المطبوع سنة ١٨٩٨ وقال إن له ثلاثين مصنفاً تحوي على مئة مجلد ويكاد يكون اخصائياً في التراجم . وأهم كتبه الوافي بالوفيات يدخل في بضع مجلدات كبرى تحتوي على زهاء عشرة آلاف ترجمة من أول عهد الإسلام إلى عهد المؤلف ، وفيه ما في وفيات الأعيان لابن خلكان

وطبقات الأدباء لياقوت — مع زيادات كثيرة فاقت هذين المؤلفين . . ولقد كان يظن أن كتاب الوافي فُقد في جملة ما فقد من كتب العرب ، لكن تبين أن أجزاءه مبعثرة في خزائن الكتب في ديار الغرب .

وقد نشر المستشرق أميل لا مار في المجلة الآسيوية في باريز مقدمة كتاب الوافي مع ترجمتها بالفرنسية وعلق عليها حواشي في أربعة أجزاء ثم نشرت فيا بعد بمجلد خاص ، وفي كتابة التاريخ راعى الصفدي ما يراعيه كبار المؤرخين من القيود فقد قال : ويشترط في المؤرخ الصدق ، وألاّ يعتمد فيا ينقل على الذاكرة ، وأن يكون عارفاً بحال صاحب الترجمة علماً وديناً ، وأن يكون حسن العبارة وحسن التصور ، وألاّ يغلبه الهوى فيطنب في ترجمة من يحب ويبخس في غير ذلك . وقد طبق الصفـــدي هذه الشروط في كل ما كتب في التاريخ ، وساعده على هذا الإتقان تنقله في ربوع مصر والشام في أيام كانت خزائن الكتب موفورة ، وكان الملوك وأهل الخير من العلماء والأعيان يمدون المدارس والجوامع بالكتب ، وكان الناس يتنافسون في استنناء كل جيد منها ، ويقول العلامة كرينكو : إنا نجد في كتاب الوافي تراجم كثيرة نحاول عبثاً الظفر بمثلها في الكتب التي تماثل الوافي بموضوعها — والفهرست التام لأسماء الأشخاص الذين وردت تراجمهم في الأجزاء المعروفة من هذا الكتاب يشغل مجلداً ضخماً .

وابتدأت جمعية المستشرقين الألمانية بالنشرات الإسلامية فطبعت في اسطنبول سنة ١٩٣١ المجلد الأول الذي يضم المحمدين وكان عددهم ٢٤٦ شخصية في ٣٨٦ صفحة ، كما نشرت مجلات الاستشراق في روما عدة مقالات عن الوافي وعن صاحبه » .

وتمنى الأستاذ كرد علي يوماً أن يتيح الله من يقوم بطبع كل مخطوط

من أجزاء هذه الموسوعة ، ولقد استجاب الله دعاءه ، إذ بلغ عدد المطبوع من أجزاء الوافي تسعة مجلدات حتى يومنا هذا .

التذكرة الصلاحية :

وفي اليوم الثالث وضع بين يدي مقالاً نشر في الجزء الثاني من المجلد التاسع من مجلة المجمع الصادر في آب سنة ١٩٢١ بقلم الدكتور داود الجلبي من الموصل وهذا شيء مما ورد فيه :

عثر أحد تلاميذ ثانوية الموصل النجباء في مكتبة الحزب الوطني في الموصل على كتاب مخطوط قديم مجهول . فجاءني به يسألني تصفحه لعلّني أقف على شيء من أمره . وجدته مجلداً بجلد أحمر قد اسود .. وقد كتب على ورق ثخين بحبر أحمر في رؤوس المواد وأسود في المتن وأوراقه ١٨٢ ورقة ، في كل صفحة ٣٠ سطراً وعلى حافة الكتاب كتابة عسرة القراءة ، إذا أمعنت النظر فيها تقرأ : (مجموعة صلاح الدين الصفدي) .

ومن تصفّح الكتاب تحققتُ أنه للصلاح الصفدي ، وفيه مراسلات المؤلف مع معاصره ابن نباتة وغيره ، ويذكر صور تواقيع كتبها إذ كان رئيساً لديوان الإنشاء . هذا الكتاب حلقة من سلسلة طويلة على ما يظهر جاء في آخره مانصه : الجزء الثلاثون من أجزاء المصنف ومن خطه نقلت والحمد لله .

هل مجموعة صلاح الدين الصفدي هذه مجموعة معروفة ؟ ويحسب جرجي زيدان أنها التذكرة الصلاحية التي يقول عنها إنها كتاب مطول في الأدب والشعر في ثلاثين مجلداً .

وفي الجزء الحادي عشر من سنة المجلة تعليق بقلم المستشرق كرينكو جاء في أوله :

ARCHIVE

« لما قرأت ما كتبه السيد داود الجلبي .. من كتاب الصفدي ذكرت أني رأيت في مكتبة وزارة الهند بلندن نسختين من التذكرة الصلاحية .. وقد نقلت أبحاثاً منها ... ويظهر أن الصفدي نقل طول حياته من كتب مختلفة وقعت بين يديه، فالتقط ما أعجبه على غير ترتيب وأكثره مقتطفات نثرية وشعرية غير مطولة .

بعد أن فرغت من ترجمة الصفدي التي كتبتها في المعلمة الإسلامية وقع في ملكي أربعون ورقة بخط غير قديم من كتاب « في خطأ العوام وتصحيف العلماء » وقد نبهت في الترجمة المذكورة على أن الصفدي في آخر عمره صرف من كتب التراجم إلى كتب اللغة . ولعل هذا التصنيف آخر مؤلفاته ولم يتم . وتدل على أن النسخة « أصلا » مأخوذة من مسودة المؤلف كثرة البياضات بين كل فصل . ومع هذا اختصر أسماء الكتب التي نقل منها بحروف مكتوبة بالحمرة ... ورجائي أن يكون لأحد قراء المجلة معرفة بالأصل الذي نقلت منه نسختي - فإنها شامية الأصل بلا شك حيث كانت من جملة كتب الشيخ أحمد فارس الشدياق » .

ثم نشر الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب في الصفحة ١٨٠ وما بعدها من المجلد العاشر من مجلة المجمع تحت عنوان : **التذكرة الصلاحية** ما يلي :

« طالعت في الجزء العاشر من المجلد التاسع من مجلة مجمعنا العلمي العامر ما نشره العلامة المستشرق (ف . كرنكو) في شأن الجزئين من تذكرة صلاح الدين الصفدي المحفوظين في مكتبة وزارة الهند بلندن ، ووصفه ما احتويا عليه من الفصول الأدبية فأحببت أن أفيد قراء هذه المجلة بوجود جزء مفرد من التذكرة الصلاحية بخزانة مخطوطاتي (مكتبة آل عبد الوهاب بتونس رقم ٥٠٦) .

ولا يخفى أن هذه المجموعة الأدبية النادرة المثيل هي مبعثرة الأجزاء ، فالموجود منها متفرق بين مكتبة غوطا والمتحف البريطاني واكسفورد ودار الكتب المصرية وغير ذلك .

أما الجزء المحفوظ بمكتبتي فهو في ١٩٢ صفحة مكتوب بطالعه بالذهب المزركش : « الجزء السابع من التذكرة الصلاحية ، للشيخ الإمام العالم العلامة خليل بن ايبك الصفدي . وبآخره ما نصه : « تم الجزء الرابع عشر من التذكرة تأليف العلامة صلاح الدين الصفدي . وهو السابع من هذه النسخة والحمد لله رب العالمين » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فيتضح من هنا أن عدد أجزاء التذكرة يختلف باختلاف النسخ . فقد جمع ناسخنا كل جزأين في واحد . وخط هذا الجزء نسخ شرقي يرجع بحسب الظن إلى القرن الثامن — عصر المؤلف — والنسخة جميلة مقروءة اعتنى بها صاحبها وإن لم يسم نفسه » .

وفي اليوم الخامس أحضر لي المجلد السادس عشر ص ٣٨ ، من مجلة المجمع لأقرأ ما كتبه عن كتاب آخر للصفدي اسمه « جلوة المذاكرة وخلوة المحاضرة » قال فيه :

« الصلاح الصفدي من المكثرين من التأليف ، المجوّدين فيه . ومن جملة كتبه مخطوط في الخزانة التيمورية من فروع دار الكتب المصرية ، هذا الكتاب ، أوله :

الحمد لله الذي جعل لسان العرب أفصح الألسن .

قال : وبعد ، فهذه أوراق أودعتها أزاهر ما حضر في ذاكرتي ، وأدرجّ ضمنها جواهر ما قذفته حافظتي ، عرضت حاصل فكري فانتخبت

منه هذه الزبدة ، ورقمته في هذه البرود المحررة وأنبته في رباها الزاهرة والتزمت أن أورد فيها ما رق معناه وراق لفظه ، وشق الإتيان بمثله وشاق حفظه . وهذا الأسلوب حافظ عليه أهل الأدب من المتأخرين ، وسلكه أهل الذوق السليم من الناظمين والناثرين ، فجلوا أبكاره المستكنة في حدود خواطرهم ، وأطلعوا أقماره المستجنة في آفاق ضمائرهم ، لأن ما أتوا به أطرى في المسامع وأطرب ، وأسرى في القلوب وأسرب .

ومقدمة الكتاب في معرفة فنون الشعر وألقابها ، قال : إن الشعر إن أثني به على حي فهو مدح كقول أبي الطيب في سيف الدولة :

نهبت من الأعمار ما لو حويته   لهنئت الدنيا بأنك خالد

ولو ذكر فيه لؤم أو جبن أو بخل أو ما هو ملحق بذلك فهو هجاء كقول بعض العرب :

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم   قالوا لأمهم بولي على النار

زعم بعضهم أنه لم يسمع أشد هجواً من هذا البيت ، وذلك أنه وصفهم بالبخل من كون نارهم تطفأ لئلا يهتدي الأضياف إلى طلب قراهم — ثم إنه بالغ في وصفهم بشدة البخل لأنهم يطفئون النار ببول أمهم ، حرصاً منهم على الماء — ثم إنه وصفهم بالجبن والكسل لأنهم يتركون أمهم تتولى خدمتهم ليلا ولم يأنفوا من ذلك ثم إنه وصفهم بالعقوق وقلة الأدب إذ يخاطبون والدتهم بمثل هذا الخطاب السفيه ، ثم إنه وصفهم بالقلة والصعلكة بحيث أن نارهم في القلة إلى غاية تطفأ ببولة المرأة . والكتاب كله على هذا النحو في ٢٠٣ صفحة صغيرة » .

ثم قال رحمه الله : عندما عم الجهل البلاد العربية ومات من يقدر قيمة الكتب أخذت مخطوطاتنا تتسرب إلى خارج البلاد . وفي حاضرة الدولة العثمانية عدة دور عامة وخاصة تسربت إليها الكتب العربية ومن ضمنها مؤلفات الصفدي .

ففي اسطنبول مكاتب عبد الله فكري وعاشر أفندي وكوبرلي ونور عثمانية التي فيها سبعة أجزاء من كتاب الوافي ثم مكتبة أيا صوفيا .

وفي أوربا مكاتب الاسكوريال في إسبانيا . وفي مكتبة المتحف البريطاني بلندن تسعة مجلدات من الوافي ، وفي مكتبة أكسفورد ١٢ مجلداً منه . ومكتبة المكتب الهندي بلندن . وفي مكتبة باريس مجلدان ، وفي مكتبة شيفر مخطوط كتاب أعوان العصر في ١٢ مجلداً ، وفي مكتبة برلين توجد مخطوطة التذكرة الصلاحية في ثلاثين مجلداً ، وهناك مكتبة غوطا التي تضم قطعة من الوافي بخط المؤلف ، وهناك في ليدن بهولنده وفي فينا بالنمسا مخطوطات عربية ذات أهمية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي البلاد العربية مكاتب تضم مؤلفات الصفدي منها دار الكتب المصرية ، والمكتبة التيمورية فيها تسعة مجلدات من مؤلفات الصفدي ، والخزانة الزكية وخزانة أحمد زكي باشا ، وكمكتبة حلب التي تضم أربعة مجلدات من كتب أديبنا الصفدي ، والمكتبة الصادقية بتونس وفيها تسعة مجلدات ، ومكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة ،والمكتبة الخالدية بالقدس ، والمكتبة البارودية في بيروت، ومكتبة عيسى اسكندر المعلوف في زحلة .

وسوف تكشف لنا الأيام أن في بعض ديار العرب مكتبات خاصة فيها أجزاء من مؤلفات الصفدي .

وفي اليوم السادس أحضر جميع المطبوع من كتب الصفدي وهي :

١ – الغيث الذي انسجم على شرح لامية العجم ، طبع في مصر .
٢ – نكت الهميان في نكت العميان طبع في مصر .
٣ – لوعة الشاكي ودمعة الباكي – طبع في مصر .
٤ – تشنيف السمع في انسكاب الدمع – طبع في مصر .
٥ – تمام المتون في شرح لامية ابن زيدون » »
٦ – الأرب من غيث الأدب » »
٧ – رشف الرحيق في وصف الحريق – طبع في الآستانة .
٨ – رشف الزلال في وصف الهلال » » »
٩ – الروض الناسم والثغر الباسم » » »
١٠ – جنان الجناس » » »
١١ – نصرة الثائر على المثل السائر – طبع في ليدن في ١٥٣ صفحة
١٢ – مقدمة الوافي بالوفيات – طبعة المجلة الآسيوية الفرنسية ١٩١١ – ١٩١٢ ، ونشرت في كتاب على حدة مع ترجمة فرنسية بقلم أميل لامار .
١٣ – المجلد الأول من الوافي .

لا بد لك من الرجوع إلى هذه المراجع عن الصفدي :

١ – الطبقات للسبكي ج ٤ ص ٩٤ ، ١٠٣
٢ – الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ١٨١٠ – ١٨٢٣
٣ – معجم المطبوعات العربية ليوسف سركيس .
٤ – تاريخ آداب اللغة العربية لكارل بروكلمان ج ٢ ص ٣١

٥ – دائرة المعارف الاسلامية – كتب مادتها فريتز كرينكو

وفي اليوم السابع عرضت عليه ما كنت قد حصلت عليه من صحبته خلال أسبوع، وهو يعادل ما كنت قد حصلت عليه في سبع سنوات ويشمل باقي مؤلفاته فابتسم .

والآن وبعد مرور ثلاثين سنة على هذا اللقاء المفيد أتقدم بمقالي هذا لأعترف بالفضل العميم لعلامة الشام في النصف الأول من القرن العشرين . رحمه الله وعوض ديار الشام من يخلفه في هذه القمة الشامخة وفي هذا المقام السامي من مقامات العلم العالية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمد كرد علي في جوانبه المختلفة

الأستاذ روكس بن زائد العزيزي

المغفور له محمد كرد علي : الأديب ، الصحفي ، المؤرخ ، البحاثة ، والمحقق مائة عام تمر ، كأمس الذي عبر .

مائة عام تمر على مولد العلامة الذي أبقى أثراً بارزاً ، في كل ميدان ارتاده قلمه .

فما أقصر السنين وما أسرع جريانها !

أجل تمر السنون ، لكن الآثار التي يبقيها الرواد العظماء في الحياة تظل خالدة . لأنها تحفر في ذاكرة الزمن ، وفي لوحه المحفوظ

مزايا خص الله بها المغفور له الأستاذ محمد كرد علي ، قلما اجتمعت لعالم . فقد كتب العلم بأسلوب أدبي مشرق . وكان في كل ما كتب وألف دعامة من دعائم القومية العربية !..

كان أول ما قرأت للعالم الذي نحتفي بذكراه ، كتابه النفيس : (غرائب الغرب) ، وقرأت ما دار حوله من نقاش . فأحببت الرجل ، وسعيت إلى الحصول على كل ماينتج قلمه .

وتوالت قراءتي له ، فقرأت (دمشق) مدينة السحر والشعر ، فعشق قلبي دمشق قبل أن أزورها .

وقرأت غابر الأندلس وحاضرها

ثم جاء الكنز العظيم (خطط الشام) بأجزائه الستة ، والإدارة الإسلامية في عز العرب ، والإسلام والحضارة العربية ، وأمراء البيان ، وأقوالنا وأفعالنا ، وتاريخ الحضارة ، ورواية المجرم البريء ، وقصة الفضيلة والرذيلة ، ورسائل البلغاء - من تحقيقاته - وسيرة أحمد بن طولون - من تحقيقاته - وفاتني ، على مضض ، أن أقرأ له : ا - المذكرات ، ب - البعثة العلمية إلى دار الخلافة الاسلامية ج - المستجاد من فعلات الأجواد د ، كتاب الأشربة .

والمغفور له خالد مخلد في كتبه ، وتحقيقاته ، وبحوثه . فلقد كان - يرحمه الله - يكتب بعقله ، وبقلبه ، وأستطيع أن أقول : إنه كان يغمس قلمه بدماء قلبه ، فلامه بعضهم على الوهج العاطفي الأدبي ، الذي كان يتسم به أسلوبه العلمي . وعندي أن الرجل المطبوع على الأدب لايلام إذا هو أضفى على ما يقره العقل والعلم ، فيضاً من شعوره ، وقبساً من إخلاص قلبه ، وفيض عاطفته .

كان - طيب الله ثراه - مجموعة من المواهب التي لو وزعت على جمهور من أرباب القلم ، وسدنة الكلمة لكتبت لكل منهم الخلود !

فيوم كان وزيراً للمعارف ، أظهر من الألمعية ما أطلق عليه الألسنة بالثناء الطيب ، ويوم رأس المجمع العلمي - الذي كان أحد مؤسسيه - كان مفخرة .

وعندما وضع خطط الشام برهن على أنه مدرسة من مدارس العلم الصافي ، والوطنية المخلصة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي مجلته - المقتبس - التي حوّلها إلى جريدة ، كان مثال الباحث المحقق ، وكان في جريدته مثال الصحفي النزيه المخلص الذي ينشر الوعي القومي ، ويدعو إلى النهضة الفكرية التي لاتعرف جموداً ولا تحجراً . فكان رائداً وموجهاً للحركة الفكرية والأدبية .

ولما رأى مايقوم به المستشرقون من بعث للتراث العربي ، لم يغلق عينيه عما يفعلون ، بل رأى من واجبه أن ينوه بأعمالهم ، ويشكر فضلهم فكان صنيعه هذا ، داعياً لهم أن ينصفوا العرب ، وكانت صلاته بهم وسيلة لغرس حب العرب في قلوب هؤلاء القوم الذين ولج بعضهم باب الاستشراق مدفوعاً بالحقد على العرب ، والغض من قدرهم وإنكار فضلهم على الدنيا .

ولما حرر جريدة (الرائد المصري) كان طرازاً خاصاً بين رجال الصحافة .

ويوم أشرف على تحرير مجلة المجمع العلمي ، وهب لها من قلبه وفكره وقلمه ، ماكان مثاراً لإعجاب رجال العلم ، لما كان في مقالاته من الطرافة والجدة والإبداع .

وعندما كان قلمه يرتاد المقتطف والرسالة ، جذب إليها العديد من القراء ، إعجاباً بما خص الله قلمه من حيوية .

أما تحقيقاته لكتب التراث ، فكانت في مستوى راقٍ ، وكانت ثقافته اللغوية ، العربية والفرنسية والتركية ، تجعل قلمه مطواعاً لفكره النير.

لقد كان حر الفكر ، يقظ الضمير ، فاضطرته يقظة ضميره وحرية فكره أن يهرب من الإرهاب التركي ، فكان له أجر المجاهدين المهاجرين في سبيل المبدأ . وكان لصحبة الإمام الشيخ محمد عبده فضل في سعة آفاقه الفكرية والنفسية .

وحسبه فضلاً أن كتاباته كانت تحرك أشد الأقلام العربية أصالة لمناقشة ما يبسطه من آراء ، أمثال :

فارس الخوري ، عارف النكدي ، عباس محمود العقاد ، والشيخ عبد القادر المغربي ، والدكتور مصطفى جواد .

أما صراحته ، وإخلاصه للحق فبارزتان ، يشهد لها أنه اضطر أن يطوف بين عربان البادية ، هرباً من وجه من أرادوا به السوء .

فإذا كان المجمع العلمي الذي كان المحتفى بذكراه أول رئيس له ، يسعى إلى تخليده فتلك مزية عرف بها مجمع الخالدين بدمشق ، وعرفت بها دمشق الخالدة التي كانت ملاذاً للعرب والعروبة .

فتحيات خالدة لمجمع دمشق ، وتحية خالدة لدمشق الوطنية ، وسلام على المحتفى بذكراه ، يوم ولد ، ويوم مات ، ويوم يبعث حياً .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ركائز هذه الكلمة

١ — مؤلفات الاستاذ المرحوم محمد كرد علي
٢ — مجلة لغة العرب — المجلد الرابع
٣ — مجلة العرفان
٤ — مجلة المشرق
٥ — مجلة المقتطف
٦ — مجلة المجمع العلمي
٧ — مصادر الدراسات العربية ـ الجزء الثاني
٨ — مجلة المقتبس
٩ — محمد كرد علي ـ جمال الدين الألوسي

ملاحظة : ضاق هذا العدد عن استيعاب الكلمات والبحوث كلها وسندرج في عدد قادم ما بقي من ذلك معتذرين لأصحابها وشاكرين .

آراء وأنباء

تجديد رئاسة الأستاذ الدكتور حسني سبح
لمجمع اللغة العربية

صدر عن رئيس الجمهورية المرسوم التالي ذي الرقم ١٩٠٩ :

رئيس الجمهورية يرسم ما يلي :

مادة ١ - يجدد تعيين السيد الدكتور حسني سبح رئيساً لمجمع اللغة العربية لمدة أربع سنوات اعتباراً من ١٨/٧/١٩٧٦

مادة ٢ - يتقاضى الدكتور حسني سبح تعويضاً شهرياً ثابتاً معادلاً للراتب الشهري المقطوع المحدد لرئيس الجامعة ويصرف من الباب الأول والبند الأول « مخصصات ذوي المناصب ورواتب الموظفين » من موازنة مجمع اللغة العربية .

مادة ٣ - ينشر هذا المرسوم ويبلغ من يلزم لتنفيذه .

دمشق في ٤/١١/١٩٧٦

التوقيع : رئيس الجمهورية
حافظ الأسد

وكان مجلس المجمع قد انتخب الدكتور سبح رئيساً من قبل فلما انقضت السنوات الأربع بتاريخ ١٧/٧/١٩٧٦ جدّد المجلس انتخابه للأستاذ الدكتور سبح ، بالاقتراع السري بالاجماع ، رئيساً لمدة أربع سنوات أخرى .

ولجنة المجلة تتمنى للمجمع في ولايته الجديدة كل توفيق وخير .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مجمعي افتقدناه

المرحوم خير الدين الزركلي (*)

ولد في دمشق ١٣١ هـ = ١٨٩٣ م

وتوفي في القاهرة ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م

كانت وفاة الأستاذ المرحوم خير الدين الزركلي حدثاً مؤلماً حزّ في نفوس الذين عرفوه جميعاً من علماء العربية وأدبائها ، ومن المتتبعين لحركتها في مجال التجديد في التأليف العلمي أو في مجال الإبداع في الإنتاج الشعري ، ومن المؤرخين لحركتها الاستقلالية والقومية .

ذلك أن الأستاذ الزركلي الذي ولد في دمشق وعاش فيها صدر حياته كان أحد الشخصيات النشيطة في الحركة العربية التي كانت تنشد استقلال الأقطار العربية ووحدتها .

وقد عمل في ساحات متعددة قبل الحرب العالمية الأولى وخلالها وبعدها ، في نطاق الجمعيات السرية وفي ميادين الصحافة وفي تنظيمات الأحزاب ، بما

(*) أقام النادي العربي في دمشق مساء ٣ شباط ١٩٧٧ حفلاً تأبينياً للفقيد تحدث فيه ثلاثة من أعضاء المجمع هم الأساتذة : شفيق جبري والدكتور عدنان الخطيب والدكتور شكري فيصل ، بالإضافة إلى عدد من أبناء البلاد العربية ، وستنشر الكلمات والبحوث التي قدمت إلى هذا الحفل في كتاب خاص .

حمل الفرنسيين أول عهد الانتداب على إصدار حكمهم عليه بالإعدام . . وبطلعنا مؤلفاه النثريان : عامان في عمان ، وما رأيت وما سمعت ، على جوانب من هذا العمل ، كما يضيء شعره - وهو كثير في هذه المرحلة - جوانب أخرى منه .

ثم التجأ إلى القاهرة ولعله أدركه اليأس من العمل السياسي فانصرف فيها ، بعد حين ، إلى العمل الثقافي وأصدر ديوانه باديء ذي بدء[1] ثم أصدر كتابه الخالد : الأعلام في طبعته الأولى في ثلاثة أجزاء سنة ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٧ م .

وكان عمله بعدُ في وزارة الخارجية السعودية مدعاة إلى نوع من الاستقرار اتجه معه إلى إغناء هذا الكتاب وتجديده حتى صدر في طبعته الثانية في بيروت في عشرة أجزاء ، العاشر منها هو المستدرك الأول ، ظهرت خلال خمسة أعوام من سنة ١٣٧٣ - ١٣٧٨ هـ (١٩٥٤ - ١٩٥٩ م) .

وأتاح له تطوافه ، سفيراً للمملكة العربية ووكيلاً لخارجيتها في بعض الوقت ، زاداً وافراً من المخطوطات والمطبوعات النادرة طوى فوائدها كلها في هـذا الكتاب الذي أضحى مفتاحاً لكثير من الدراسات ودليلاً مرشداً للكثيرين من الدارسين .

وقد أصدر خلال ذلك كتابه عن « الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز » ، أربعة أجزاء في ثلاث مجلدات ، يعتبر نموذجاً للنثر العربي الوديع القوي في مجال الترجمة الشخصية للملك الراحل عبد العزيز . ثم نشر موجزاً له في جزء واحد وضع بين يدي طلاب المدارس الثانوية .

---

(١) نشر له الأستاذ أحمد عبيد ، قبل أن يصدر الديوان ، ماجدولين والشاعر ، وهي القصة المعروفة صاغها الفقيد على شكل موشح .

أما شعره الذي يمثل طبقة عالية في الشعر العربي المعاصر : متانة أسلوب وإحكام أداء وسلاسة بيان ، فقد كان الفقيد على أن ينشر ديوانه كاملاً قبيل أحداث لبنان الأخيرة ثم كانت الأحداث ، وكان بعدها أن فاجأه الأجل في القاهرة فانتقل إلى جوار ربه راضياً مرضياً ، وخلّف وراءه هذا التراث الثقافي والشعري وهذه السيرة الإنسانية الطيبة .

والمجمع - وقد كان الفقيد أحد أعضائه المراسلين - إذ ينعيه إلى البلاد العربية وإلى اخوانه وأصدقائه الكثر من العلماء في الأقطار الأخرى - يسأل الله له موفور الرحمة على ماقدم من عمل للعربية وأبنائها . أجزل الله ثوابه ، وأنزله منازل الأبرار ، وعوض العرب والمسلمين خيراً .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انتخاب زميلين جديدين

الدكتور عبد الكريم اليافي والأستاذ أحمد راتب النفاخ

عضوين عاملين في مجمع اللغة العربية

كان مجلس مجمع اللغة العربية في جلسته الأولى من الدورة المجمعية ٧٦-٧٧ ، بتاريخ ٧٦/٩/٢ ، قد انتخب كلًا من السيدين الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي والأستاذ أحمد راتب النفاخ عضوين عاملين في المجمع .

وقد صدر بذلك المرسوم الجمهوري التالي ذو الرقم ٢٧٩٨ والتاريخ ٧٦/١٢/٣٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رئيس الجمهورية ..

يرسم ما يلي :

مادة ١ — يعين كل من السيدين الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي والأستاذ أحمد راتب النفاخ عضوين عاملين في مجمع اللغة العربية .

مادة ٢ — ينشر هذا المرسوم ويبلغ من يلزم لتنفيذه .

التوقيع : رئيس الجمهورية
حافظ الأسد

مسابقة جديدة لمكتب تنسيق التعريب في الرباط

تلقينا من مكتب تنسيق التعريب في الرباط بياناً موضوعه المسابقة الجديدة التي ينظمها خدمة للثقافة العربية والدين الإسلامي الحنيف .

وقد جاء في هذا البيان — بعد مقدمة عن المسابقات الأربع الأولى - أن المكتب يعتزم تنظيم مسابقة خامسة لسنة ٧٧ – ٧٨ تفضلت اللجنة الوطنية للتربية والعلوم والثقافة بالجمهورية العربية الليبية بتمويلها بمبلغ ٤٠٠٠ دولار اميركي « ١٨٠٠٠ درهم مغربي » وذلك لتغطية الجوائز الأربع التي ستمنح للأبحاث الفائزة ، وستكون وفقاً لرغبة اللجنة الوطنية للتربية والعلوم والثقافة الليبية التي اتفق المكتب معها على تخصيص هذه المسابقة لموضوع يتطرق لمجال اللغة العربية وآدابها وذلك بتناول أحد الموضوعين الآتيين :

١ – مخطوط في اللغة العربية « لم يسبق نشره » له قيمة علمية في دفع حركة التطور اللغوي المعاصرة « تحقيق ودراسة » .

٢ – دراسة بيانية « لم يسبق نشرها » عن أسلوب الاستدارة في الكتابة الأدبية « تنظير وتطبيق » .

ويشترط في التقدم لهذه المسابقة مراعاة مايلي :

ا – ألا تقل الدراسة عن مائة وخمسين صفحة من الحجم المتوسط .

ب – يجوز اشتراك أكثر من شخص في البحث الواحد وفي هذه الحال تقسم الجائزة بالتساوي بين المشتركين .

ج – يرسل البحث في « نسختين » إلى مقر مكتب تنسيق التعريب ١٠ زنقة انكولا ص . ب ٢٩ – الرباط – المملكة المغربية .

د – تتألف لجنة التحكيم في هذه المسابقة من أعضاء تختارهم اللجنة الوطنية للتربية للعلوم والثقافة في الجمهورية العربية الليبية .

ه – تقبل البحوث ابتداءً من فاتح فبراير ١٩٧٧ إلى نهاية يناير ١٩٧٨

تقرير عن أعمال المجمع

في دورة ١٩٧٥ – ١٩٧٦

١ – مجلس المجمع :

عقد مجلس المجمع في دورته الماضية ١٩٧٥ - ١٩٧٦ ، ست عشرة جلسة بحث فيها شؤوناً مجمعية مختلفة من أهمها :

ا – متابعة الخطوات التي تمت في سبيل طباعة المعاجم الموحدة الثلاثة : علم الجيولوجية ، وعلم النبات ، وعلم الفيزياء ، وهي بعض المعاجم التي أقرها مؤتمر التعريب الثاني المنعقد في الجزائر في سنة ١٩٧٣ والتي تولت الحكومة السورية الانفاق على طباعتها ، تعاوناً مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

ب – دراسة موضوع تيسير تعليم النحو وذلك إعداداً للاشتراك في الندوة التي نظمها اتحاد المجامع العلمية اللغوية العربية ، والتي عقدت في الجزائر .

ج – تتبع الخطوات والمراحل التي قطعها البناء الجديد للمجمع .

د – بحث التدابير اللازم اتخاذها لتنظيم الاحتفال بالذكرى المئوية لولادة الأستاذ الرئيس المرحوم محمد كرد علي المزمع إقامته في النصف الأول من شهر تشرين الثاني لعام ١٩٧٦ .

هـ – متابعة أعمال اللجان المشتركة التي شكلها المجمع من بعض أعضائه وذوي الاختصاص من أساتذة الجامعات لتوحيد جميع المصطلحات العلمية في مختلف أقسام الجامعات ، وذلك تنفيذاً للمبادرات التي قام بها في هذا المجال رئيس المجمع واستجاب لها السيد وزير التعليم العالي والمسؤولون في جامعات القطر ، والتي أقرها مجلس المجمع في دورته السابقة .

و – بدأ المجلس بدراسة مصطلحات الضوء المستقاة من كتاب الأخيلة الضوئية مراجعة الأستاذ وجيه السمان .

٢ – اللجنة الإدارية

قامت اللجنة الإدارية في جلساتها الأسبوعية التي عقدتها في غضون هـــذه الدورة بدراسة مختلف الشؤون الإدارية والمالية ، وفاقاً لأحكام النصوص القانونية المحددة في اللائحة الداخلية للمجمع ، واتخذت فيها قرارات توخت فيها المصلحة العامة ، وسجلت ضبوطها في سجلها الخاص .

٣ – لجنة المجلة والمطبوعات

درست هذه اللجنة في جلساتها التي كانت تعقدها أسبوعياً ، ما ورد إلى المجلة من مقالات وبحوث . فأقرت نشر ما رأته صالحاً للنشر في ضوء أهداف المجمع وأغراض المجلة .

وقد أتمت اللجنة خلال هذه الدورة إصدار الجزء الأخير من المجلد الخمسين ، والأجزاء الثلاثة من المجلد الحادي والخمسين من المجلة .

٤ – لجنة المخطوطات وإحياء التراث

عقدت هذه اللجنة ، خلال الدورة ، ستة وعشرين اجتماعاً درست

فيها الكتب المحققة التي قدمت إليها ، فأقرت طباعة ونشر بعضها ، واستبعدت بعضها الآخر ، وفيما يلي عرض لأسماء الكتب التي طبعت ونشرت ، ولأسماء الكتب التي هي قيد الطبع .

ا ـ الكتب التي صدرت :

ـ ديوان طرفة بن العبد شرح الأعلم الشنتمري ، بتحقيق الأستاذين لطفي الصقال ودرية الخطيب .

ـ الملمع للحسين بن علي النمري ، بتحقيق وجيهة السطل .

ـ نضرة الاغريض في نصرة القريض للمظفر بن الفضل العلوي الحسيني ، بتحقيق الدكتورة نهى عارف الحسن .

ب ـ الكتب التي انجزت دراستها في الدورة السابقة وبوشر بطباعتها وتوشك على الصدور :

ـ التعازي والمراثي للمبرد ، بتحقيق الأستاذ محمد الديباجي

ـ إعراب الحديث للعكبري ، بتحقيق الأستاذ عبد الاله نبهان

ـ شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف لأبي أحمد العسكري ، بتحقيق الدكتور محمد يوسف

ـ سؤالات الحافظ السلفي ، بتحقيق الأستاذ مطاع الطرابيشي

ـ معجم المصطلحات الحديثية ، وضعه الدكتور نور الدين العتر وترجمه إلى الفرنسية الدكتور عبد اللطيف الشيرازي الصباغ والأستاذ عبد الله كريل

ـ جزء من تاريخ ابن عساكر ، وهو الجزء الذي يبدأ بعاصم بن بجدل الكلبي وينتهي بعايذ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ج - الكتب التي قررت طباعتها في هذه الدورة ولم يباشر بطباعتها بعد :

- الصاهل والشاحج لأبي العلاء المعري ، بتحقيق الدكتور أمجدالطرابلسي

- فهرس مخطوطات المكتبة الظاهرية في الفقه الحنفي ، للأستاذ محمد مطيع الحافظ

- تاريخ المنصوري ، بتحقيق الدكتور أبو العيد دبدو « جامعة الجزائر »

- فهرس مخطوطات المكتبة الظاهرية في التصوف ، وضع الأستاذ محمد رياض المالح

- تصنيف العلوم والمعارف ، وضع الدكتور المرحوم يوسف العش ومراجعة السيدة سماء المحاسني

٥ - مشاركات المجمع داخل القطر :

ا - شارك رئيس المجمع الدكتور حسني سبح وعضو المجمع الدكتور ميشيل الخوري والدكتور محمد هيثم الخياط في الندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب والمنعقدة بمناسبة افتتاح معهد التراث العلمي العربي في جامعة حلب بين ٥ و ١٢ نيسان ١٩٧٦

ب - اشترك بطلب من المجمع العلمي العراقي عضوا المجمع الأستاذان وجيه السمان ومحمد هيثم الخياط مع بعض أساتذة جامعة دمشق في الإشراف على ضبط المصطلحات الفرنسية في المعاجم الثلاثة الموحدة التي تولت الحكومة العراقية الإنفاق على طباعتها ، تعاوناً مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

ج - ألف المجمع ثلاث لجان اشترك فيها بعض أعضائه وأساتذة

الجامعات وذلك لتوحيد المصطلحات العلمية التي وافته بها بعض أقسام الجامعات وهي :

- لجنة توحيد مصطلحات علم النبات . وقد عقدت ثلاث عشرة جلسة
- لجنة مصطلحات علم الكيمياء . وقد عقدت عشر جلسات
- لجنة توحيد مصطلحات علم الحيوان . وقد عقدت تسعاً وعشرين جلسة

ومن المتوقع أن تستكمل الأقسام الأخرى في الجامعات تجميع المصطلحات العلمية الخاصة بها وأن توافي بها المجمع ليتم تشكيل لجان أخرى مشتركة لدراستها وتوحيدها .

د - ألف المجمع لجنة لدراسة المصطلحات المالية العامة وقد انهت اللجنة من أعمالها وستعرضها على المجلس .

هـ - اشترك عضو المجمع الدكتور ميشيل الخوري ومراقب المجمع الأستاذ مصباح غلاونجي في اللجنة التأسيسية التي ألفتها المديرية العامة للآثار والمتاحف بدمشق لإنشاء متحف للطب والعلوم عند العرب في مبنى البيمارستان النوري بدمشق .

و - شارك المجمع في جناح الكتب الخاص بوزارة التعليم العالي في معرض دمشق الدولي الرابع والعشرين

ز - شارك المجمع في معرض لايبزيغ الدولي للكتب الذي أقيم في مطلع شهر آذار ١٩٧٦

ح - وشارك في معرض الكتاب العربي السوري الذي أقيم في صالة المعارض بجامعة الكويت في ١٧ نيسان ١٩٧٦ بمناسبة عيد الجلاء .

ط - وشارك في المعرض الدولي للكتاب الذي أقيم في مونتريال بكندا في المدة الواقعة بين ١٩ و ٢٣ أيار ١٩٧٦

ي — ويشارك المجمع في الأسبوع الثقافي السوري الذي سيقام في تونس في الأسبوع الأول من شهر تشرين الأول لعام ١٩٧٦ تطبيقاً للبرنامج التنفيذي المعقود مع القطر التونسي الشقيق . وقد بعث بالكتب التي اختارها للعرض إلى تونس .

٦ — النشاط العلمي خارج القطر :

ا — شارك السيد رئيس المجمع الدكتور حسني سبح في الاجتماع الثاني للجنة المعجم الطبي الفرنسي العربي الذي عقدته الأمانة العامة لاتحاد الأطباء العرب في بغداد في المدة الواقعة بين ٢٠ و ٢٥ من شهر تشرين الثاني لعام ١٩٧٥ .

ب — اشترك الأستاذ الرئيس في الاجتماع الثالث للمعجم الطبي الفرنسي الذي عقد في القاهرة في المدة الواقعة بين ١٧ و ٢٤ شباط ١٩٧٦

ج — شارك السيدان رئيس المجمع ونائب الرئيس في الدورة الثانية والأربعين لمؤتمر مجمع اللغة العربية الذي عقد في القاهرة في المدة الواقعة بين ٢/٢٣ و ١٩٧٦/٣/٨ وقد نشر تقريرهما عن هذا المؤتمر في العدد الثاني من المجلد الحادي والخمسين من مجلة المجمع .

د — اشترك عضو المجمع الأستاذ عبد الهادي هاشم في اجتماعات لجان تعريب مصطلحات العلوم الإدارية التي عقدتها منظمة العلوم الإدارية في الاسكندرية في المدة الواقعة بين ٢٢ آذار و ٢ أيار ١٩٧٦ .

و — شارك السادة رئيس المجمع ونائب الرئيس وعبد الهادي هاشم عضو المجمع والسيد عاصم البيطار الأستاذ في جامعة دمشق في ندوة تيسير تعليم النحو التي أقامها اتحاد المجامع العلمية اللغوية في الجزائر في المدة الواقعة بين ٢٦ حزيران و ٣ تموز لعام ١٩٧٦ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ز ـ شارك السيدان رئيس المجمع والدكتور محمد هيثم الخياط عضو المجمع في الاجتماع الرابع للجنة المعجم الطبي الفرنسي الذي عقد في تونس في المدة الواقعة بين ٢٤ تموز و ٢ آب لعام ١٩٧٦ .

٧ ـ أعضاء المجمع :

ا ـ استقبل المجمع خلال هذه الدورة في جلسة علنية عقدها في قاعة المجمع في ٢٩ نيسان ١٩٧٦ الزميل الجديد الدكتور محمد هيثم الخياط . افتتح الجلسة الأستاذ رئيس المجمع بكلمة رحب فيها بالزميل المستقبل واستعرض فيها أوضاع المجمع بإيجاز . ثم ألقى الدكتور شكري فيصل خطاب الاستقبال ، وتلاه الزميل الدكتور محمد هيثم الخياط فألقى خطاباً جامعاً تحدث فيه عن سلفه الراحل الدكتور صلاح الدين الكواكبي .

ب ـ فجع المجمع والعالم العربي والإسلامي بعضو من أعضائه العاملين البارزين هو العلامة الأستاذ محمد بهجة البيطار ، وقد وافته المنية يوم السبت الواقع في ٢٩ أيار ١٩٧٦ تغمده الله برحمته . وقد شارك أعضاء المجمع في تشييع جنازته .

٨ ـ مكتبة المجمع :

انتاب سيرها بعض التعثر لأن المشرف على شؤونها ما زال بعيداً عنها في خدمة العلَم ، وقد بلغ عدد الكتب التي زودت بها خلال هذه الدورة إهداء وشراء ٢٨٢ كتاباً ، كما أنها زودت ببعض المجلات الجديدة .

٩ ـ بناء المجمع الجديد :

ا ـ أرسي الحجر الأساسي لمبنى المجمع الجديد تحت رعاية السيد رئيس الجمهورية العربية السورية يوم الأربعاء الواقع في ١٩ تشرين الثاني

سنة ١٩٧٥ وذلك بمناسبة الذكرى الخامسة للحركة التصحيحية ، وقد أناب السيد الرئيس عنه الدكتور محمد علي هاشم وزير التعليم العالي وألقى كلمته كما ألقى السيد رئيس المجمع كلمة في هذه المناسبة .

ب - عهد أمر تنفيذ البناء إلى الهيئة العامة للأبنية المدرسية . وقد عقدت اتفاقاً مع أحد المختصين لإقامة هيكله خلال هذه السنة .

ج - أقيم الطابق تحت الأرضي من البناء وينتظر أن ينتهي هيكله في أواخر هذا العام .

١٠ - دار الكتب الوطنية الظاهرية :

دائرة المطبوعات

ا - بلغ عدد الكتب التي زودت بها الدار إهداء وشراء خلال هذه الدورة ١٨٨١ كتاباً ، منها ١٤١٨ كتاباً عربياً و ٤٦٣ كتاباً أجنبياً .

- بلغ عدد المجلات العربية ٩٦٠ والأجنبية ٣٤٧ .

ب - استحدثت فهارس جديدة للموضوعات على بطاقات ، وقد تم تنظيم ٢٥٠٠ بطاقة ، وتم تنظيم ٣٠٠٠ بطاقة حسب شهرة المؤلف و٣٠٠٠ بطاقة حسب عنوان الكتاب .

ج - بلغ عدد الكتب المعارة ١٩٢٥٠

- بلغ عدد رواد قاعة المطالعة العامة خمسين ألفاً .

- بلغ عدد رواد قاعة الباحثين ٨٠٠ باحث .

و - أصبحت قاعة الباحثين تفتح أبوابها من الساعة الثامنة صباحاً حتى السابعة والنصف مساء .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

هـ - أصبحت مستودعات المطبوعات مفتوحة الأبواب للإعارة من الصباح حتى المساء .

دائرة المخطوطات :

ا - تم إعداد فهرس حسب شهرة المؤلف .

ب - بدأ العمل بإعداد فهارس جديدة حسب عنوان الكتاب .

جـ بدىء بتصوير المخطوطات التي يكثر تداولها بين أيدي الباحثين.

د - بلغ عدد المخطوطات المعارة داخل الدار ١٥٠٠ مخطوط .

هـ - بلغ عدد المخطوطات التي صورت للجامعات والأفراد داخل القطر وخارجه ٣٠٠٠ مخطوط .

و - دعم الجهاز الإداري بأربعة عناصر جديدة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق

في سنة ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م

ا ـ الأعضاء العاملون

	تاريخ دخول المجمع		تاريخ دخول المجمع
الدكتور حسني سبح «رئيس المجمع»	١٩٤٦	الأستاذ محمد المبارك	١٩٦١
الدكتور أسعد الحكيم	١٩٢٣	الدكتور أمجد الطرابلسي	١٩٦١
الأستاذ شفيق جبري	١٩٢٦	الأستاذ وجيه السمان	١٩٦٨
الدكتور حكمة هاشم	١٩٥٢	الأستاذ عبد الهادي هاشم	١٩٦٨
الدكتور محمد كامل عياد	١٩٥٨	الدكتور ميشيل الخوري	١٩٧١
الدكتور عدنان الخطيب «نائب الرئيس»	١٩٦٠	الدكتور شاكر الفحام	١٩٧١
الدكتور شكري فيصل	١٩٦١	الدكتور محمد هيثم الخياط	١٩٧٦

ب ـ الأعضاء المراسلون في البلدان العربية (١)

المملكة الأردنية الهاشمية

الدكتور ناصر الدين الأسد ١٩٦٩

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

الأستاذ محمد العيد محمد علي خليفة ١٩٧٢

الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي ١٩٧٢

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

---

(١) ذكرت الأقطار حسب الترتيب الهجائي ، والأسماء حسب الترتيب الزمني .

المملكة العربية السعودية

الأستاذ حمد الجاسر ١٩٥١

الجمهورية العربية السورية

الأستاذ محمد سليمان الأحمد ١٩٤٥

الأستاذ عمر أبو ريشة ١٩٤٨

الدكتور قسطنطين زريق ١٩٥٤

الجمهورية العراقية

الأستاذ محمد بهجة الأثري ١٩٣١

الأستاذ أحمد حامد الصراف ١٩٤٨

الأستاذ كوركيس عواد ١٩٤٨

البطريرك أغناطيوس يعقوب الثالث ١٩٦٩

الأستاذ ناجي معروف ١٩٦٩

الأستاذ محمود شيت خطاب ١٩٦٩

الدكتور فيصل دبدوب ١٩٦٩

» عبد الرزاق محيي الدين ١٩٧٣

» أحمد عبد الستار الجواري ١٩٧٣

» إبراهيم شوكة ــ

» عبد اللطيف البدري ــ

» جميل الملائكة ــ

» عبد العزيز الدوري ــ

» محمود الجليلي ــ

» فاضل الطائي ــ

الدكتور جميل سعيد ١٩٧٣

» سليم النعيمي ــ

» عبد العزيز البسام ــ

» صالح أحمد العلي ــ

» يوسف عز الدين ــ

الأستاذ محمد تقي الحكيم ــ

الأستاذ كمال إبراهيم ــ

الأستاذ طه باقر ــ

الدكتور صالح مهدي حنتوش ــ

فلسطين

الدكتور إحسان عباس ١٩٧٢

الجمهورية اللبنانية

الأستاذ أنيس المقدسي ١٩٤٥

الدكتور صبحي المحمصاني ١٩٤٨

الدكتور عمر فروخ ١٩٤٨

الأستاذ محمد جميل بيهم ١٩٦٦

الدكتور فريد الحداد ١٩٧٢

الجمهورية العربية الليبية

الأستاذ علي الفقيه حسن ١٩٥٧

جمهورية مصر العربية

الأستاذ حسن كامل الصيرفي ١٩٧٢

الأستاذ محمد عبد الغني حسن ١٩٧٢

المملكة المغربية

الأستاذ عبد الله كنون ١٩٥٦

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جـ ـ الأعضاء المراسلون في البلدان الأخرى

إسبانية

الأستاذ غومز (إميليو غارسيا) ١٩٤٨

إيران

الدكتور علي أصغر حكمة ١٩٥٧

إيطالية

الأستاذ غبريلي (فرانشيسكو) ١٩٤٨

باكستان

الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي ١٩٢٨

الأستاذ يوسف البنوري ١٩٥٥

الأستاذ محمد صغير حسن معصومي ١٩٦٦

البرازيل

الأستاذ رشيد سليم الخوري ١٩٥٧

الدانيمرك

الأستاذ بدرسن (جون) ١٩٢١

السويد

الأستاذ ديدرنغ (س.) ١٩٥٦

فرنسة

الأستاذ كولان (جورج) ١٩٣١

الأستاذ لاوست (هنري) ١٩٤٢

فنلاندة

الأستاذ كريسكو (اهنن) ١٩٢٣

المجر

الدكتور عبد الكريم جرمانوس ١٩٦٦

النمسا

الدكتور موجيك (هانز) ١٩٢٨

الدكتور أشتولز كارل ١٩٥٤

الهند

الأستاذ آصف علي أصغر فيضي ١٩٥٦

الأستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي ١٩٥٧

الولايات المتحدة الأميركية

الدكتور فيليب حتي ١٩٢٣

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

١ ـ الأعضاء العاملون

	تاريخ الوفاة
الشيخ طاهر السمعوني الجزائري	١٩٢٠
الأستاذ إلياس قدسي	١٩٢٦
الأستاذ سليم البخاري	١٩٢٨
الأستاذ مسعود الكواكبي	١٩٢٩
الأستاذ أنيس سلوم	١٩٣١
الأستاذ سليم عنحوري	١٩٣٣
الأستاذ متري قندلفت	١٩٣٤
الشيخ سعيد الكرمي « نائب الرئيس »	١٩٣٥
الشيخ أمين سويد	١٩٣٦
الأستاذ عبد الله رعد	١٩٣٦
الشيخ عبد الرحمن سلام	١٩٤١
الأستاذ رشيد بقدونس	١٩٤٣
الشيخ عبد القادر المبارك	١٩٤٥
الأستاذ أديب التقي	١٩٤٥
الأستاذ معروف الأرناؤوط	١٩٤٨
الدكتور جميل الخاني	١٩٥١
السيد محسن الأمين	١٩٥٢

	تاريخ الوفاة
الأستاذ محمد كرد علي « رئيس المجمع »	١٩٥٣
الأستاذ سليم الجندي	١٩٥٥
الأستاذ محمد البزم	١٩٥٥
الشيخ عبد القادر المغربي « نائب الرئيس »	١٩٥٦
الأستاذ عيسى إسكندر المعلوف	١٩٥٦
الأستاذ خليل مردم بك « رئيس المجمع »	١٩٥٩
الدكتور مرشد خاطر	١٩٦١
الأستاذ فارس الخوري	١٩٦٢
الأستاذ عز الدين التنوخي « نائب الرئيس »	١٩٦٦
الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي « رئيس المجمع »	١٩٦٨
الأستاذ الأمير جعفر الحسني « أمين المجمع »	١٩٧٠
الدكتور سامي الدهان	١٩٧١
الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي	١٩٧٢
الأستاذ عارف النكدي	١٩٧٥
الأستاذ محمد بهجة البيطار	١٩٧٦
الدكتور جميل صليبا	١٩٧٦

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ب ـ الأعضاء المراسلون الراحلون

من الأقطار العربية

المملكة الأردنية الهاشمية

الأستاذ محمد الشريقي ١٩٧٠

الجمهورية التونسية

الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب ١٩٦٨

〃 محمد الفاضل بن عاشور ١٩٧٠

〃 محمد الطاهر بن عاشور

〃 عثمان الكعاك ١٩٧٦

الجمهورية الجزائرية

الشيخ محمد بن أبي شنب ١٩٢٩

الأستاذ محمد البشير الابراهيمي ١٩٦٥

المملكة العربية السعودية

الأستاذ خير الدين الزركلي ١٩٧٦

جمهورية السودان

الشيخ محمد نور الحسن ١٩٧١

الجمهورية العربية السورية

الدكتور صالح قنباز ١٩٢٥

الأب جرجس منش ١٩٢٧

الأب جرجس شلحت ١٩٢٨

الأستاذ جميل العظم ١٩٣٣

الشيخ كامل الغزي ١٩٣٣

الأستاذ جبرائيل رباط ١٩٣٥

الأستاذ ميخائيل الصقال ١٩٣٨

الأستاذ قسطاكي الحمصي ١٩٤١

الشيخ سليمان الأحمد ١٩٤٢

الشيخ بدر الدين النعساني ١٩٤٣

الأستاذ ادوار مرقص ١٩٤٨

〃 راغب الطباخ ١٩٥١

الشيخ عبد الحميد الجابري ١٩٥١

〃 عبد الحميد الكيالي ١٩٥٦

〃 محمد زين العابدين

الشيخ محمد سعيد العرفي ١٩٥٦

البطريرك ماراغناطيوس افرام ١٩٥٧

المطران ميخائيل بخاش ١٩٥٨

الأستاذ نظير زيتون ١٩٦٧

الدكتور عبد الرحمن الكيالي ١٩٦٩

الجمهورية العراقية

الأستاذ محمود شكري الآلوسي ١٩٢٤

〃 جميل صدقي الزهاوي ١٩٣٦

〃 معروف الرصافي ١٩٤٥

〃 طه الراوي ١٩٤٦

الأب أنستاس ماري الكرملي ١٩٤٧

الدكتور داود الجلبي الموصلي ١٩٦٠

الأستاذ طه الهاشمي ١٩٦١

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

الأستاذ محمد رضا الشبيبي ١٩٦٥
« ساطع الحصري ١٩٦٩
« منير القاضي ١٩٦٩
الدكتور مصطفى جواد ١٩٦٩
الأستاذ عباس العزاوي ١٩٧١
الشيخ كاظم الدجيلي ١٩٧٢

فلسطين

الأستاذ نخلة زريق
الشيخ خليل الخالدي ١٩٤١
الأستاذ عبد الله مخلص ١٩٤٧
« محمد إسعاف النشاشيبي ١٩٤٨
السيد خليل السكاكيني ١٩٥٣
« عادل زعيتر ١٩٥٧
الأب ا.س مرمرجي الدومنيكي ١٩٦٣
الأستاذ قدري حافظ طوقان ١٩٧١

الجمهورية اللبنانية

الأستاذ حسن بيهم ١٩٢٥
الأب لويس شيخو ١٩٢٧
الشيخ عبد الله البستاني ١٩٣٠
الأستاذ جبر ضومط ١٩٣٠
« عبد الباسط فتح الله ١٩٢٩
الشيخ مصطفى الغلاييني ١٩٤٥
الأستاذ عمر الفاخوري ١٩٤٦
« بولس الخولي
« أمين الريحاني ١٩٤٠
الأستاذ جرجي يني ١٩٤١
الأمير شكيب أرسلان ١٩٤٦
الشيخ إبراهيم المنذر ١٩٥١
الشيخ أحمد رضا العاملي ١٩٥٣
الأستاذ فيليب طرازي ١٩٥٦
الشيخ فؤاد الخطيب ١٩٥٧
الدكتور نقولا فياض ١٩٥٨
الشيخ سليمان ظاهر ١٩٦٠
الأستاذ مارون عبود ١٩٦٢
« بشارة الخوري ١٩٦٨
« عباس الأزهري
« أمين نخلة ١٩٧٦

جمهورية مصر العربية

الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي ١٩٢٤
« رفيق العظم ١٩٢٥
« يعقوب صروف ١٩٢٧
« أحمد تيمور ١٩٣٠
« أحمد كمال ١٩٣٢
« حافظ إبراهيم ١٩٣٢
« أحمد شوقي ١٩٣٢
« داود بركات ١٩٣٣
« أحمد زكي باشا ١٩٣٤
« محمد رشيد رضا ١٩٣٥
« أسعد خليل داغر ١٩٣٥

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

الأستاذ مصطفى صادق الرافعي ١٩٣٧
« أحمد الاسكندري ١٩٣٨
الدكتور أمين المعلوف ١٩٤٣
الشيخ عبد العزيز البشري ١٩٤٣
الأمير عمر طوسون ١٩٤٤
الدكتور أحمد عيسى ١٩٤٦
الشيخ مصطفى عبد الرازق ١٩٤٧
الأستاذ أنطون الجميل ١٩٤٨
الأستاذ خليل مطران ١٩٤٩
الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني ١٩٤٩
الأستاذ محمد لطفي جمعة ١٩٥٣
الدكتور أحمد أمين ١٩٥٤
الأستاذ عبد الحميد العبادي ١٩٥٦
الشيخ محمد الخضر حسين ١٩٥٨

الدكتور عبد الوهاب عزام ١٩٥٩
الدكتور منصور فهمي ١٩٥٩
الأستاذ أحمد لطفي السيد ١٩٦٣
الأستاذ عباس محمود العقاد ١٩٦٤
الأستاذ خليل ثابت ١٩٦٤
الأمير يوسف كمال ١٩٦٦
الأستاذ أحمد حسن الزيات ١٩٦٨
الدكتور طه حسين ١٩٧٣
الدكتور أحمد زكي ١٩٧٥

المملكة المغربية

الأستاذ محمد الحجوي ١٩٥٦
الأستاذ عبد الحي الكتاني ١٩٦٢
الأستاذ علال الفاسي ١٩٧٣

ج ـ الأعضاء المراسلون الراحلون

من البلدان الأخرى

الاتحاد السوفييتي

الأستاذ كراتشكوفسكي (أ.) ١٩٥١
الأستاذ برتلز (ايفيكين) ١٩٥٧

اسبانية

الأستاذ آسين بلاسيوس (ميكل) ١٩٤٤

ألمانيـــة

الأستاذ هارتمان (مارتين) ١٩١٨
« ساخاو (ادوارد) ١٩٣٠
« هورو فيتز (يوسف) ١٩٣١
الأستاذ هوميل (فريتز) ١٩٣٦

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأستاذ ميتفوخ (اوجين) ١٩٤٢
« هرزفلد (ارنست) ١٩٤٨
الأستاذ فيشر (اوغست) ١٩٤٩
« بروكلمان (كارل) ١٩٥٦
« هارتمان (ريشارد) ١٩٦٥
الدكتور ريتر (هلموت) ١٩٧١

إيران

الشيخ أبو عبد الله الزنجاني ١٩٤٧
الأستاذ عباس إقبال ١٩٥٥

إيطاليـة

الأستاذ غرفيني (اوجينيو) ١٩٢٥
« كايتاني (ليون) ١٩٢٦
الأستاذ جويدي (اغنازيو) ١٩٣٥
« نالينو (كارلو) ١٩٣٨

البرازيل

الأستاذ سعيد أبو جمرة ١٩٥٤

البرتغال

الأستاذ لويس (دافيد) ١٩٤٢

بريطانية

الأستاذ ادوارد (براون) ١٩٢٦
الأستاذ بفن (انطوني) ١٩٣٣
الأستاذ مرجليوث (د. س.) ١٩٤٠
الأستاذ كرنيكو (فريتز) ١٩٥٣
« غليوم (ألفريد) ١٩٦٥
« اربري (ا . ج) ١٩٦٩
« جيب (هاملتون ا. ر) ١٩٧١

بولونيـة

الأستاذ كوفالسكي (ت.) ١٩٤٨

تركيـة

الأستاذ زكي مغامز ١٩٣٢
« أحمد أتش

تشيكوسلوفاكية

الأستاذ موزل (ألوا) ١٩٤٤

الدنيمرك

الأستاذ بوهل (ف.م.ب.) ١٩٣٢
« استروب (ج.) ١٩٣٨

السـويد

الأستاذ سترستين (ك . ف) ١٩٥٣

سويسـرة

الأستاذ مونته (ادوارد) ١٩٢٧
« هس (ح . ح) ١٩٤٩

فرنسـة

الأستاذ باسيه (رينه) ١٩٢٤
« مالنجو ١٩٢٦

الأستاذ هوار (كليمان) ١٩٢٧
« كي (ارتور) ١٩٢٨
« ميشو (بلتير) ١٩٢٩
« بوفا (لوسيان) ١٩٤٢
الأستاذ فران (جبرائيل) ١٩٥٣
« مارسيه (وليم) ١٩٥٦
« دوسو (رينه) ١٩٥٨
« ماسينيون (لويس) ١٩٦٢
« ماسيه (هنري) ١٩٧٠
الدكتور بلاشير (ريجيس) ١٩٧٣

المجـــر

الأستاذ غولد صهير (اغناطيوس) ١٩٢١
« ماهلر (ادوارد) ١٩٤٥

الهنـــد

الحكيم محمد أجمل خان

هولندة

الأستاذ غور غرينه (سنوك) ١٩٣٦
« اوراندوك (ك .)
« هوتسما (م . ت) ١٩٤٣
« شخت (يوسف) ١٩٧٠

الولايات المتحدة الأميركية

الأستاذ ما كدونالد (د . ب) ١٩٤٣
« هورزفلد (ارنست) ١٩٤٨
« سارطون (جورج) ١٩٥٦
الدكتور ضودج (بيارد) ١٩٧١

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الرابع من عام ١٩٧٦

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
مؤامرة الصهيونية والهندوكية على المسلمين	أبو الحارث محمد حامد	إسلام أباد ١٩٧٦
صابر	محمد جعفر جعفروف ـ ترجمة سنان سعيد	باكو ١٩٦٢
صندوق البريد (قصتان)	جليل محمد قلي زاده ـ تعريب يوسفي أحمد	« ١٩٧١
التاريخ السياسي لعلاقات العراق الدولية بالخليج العربي	د. مصطفى عبد القادر النجار	البصرة ١٩٧٥
الخليج العربي: بيلوغرافيا مختارة	عبد الرضا محمد الصافي	« «
« « « عن علوم البحار والثروة السمكية	جمع وتنظيم نجاح عبود حسين	« «
الدليل الإحصائي السنوي ــ جامعة البصرة (٧٥-٧٦)	مديرية التخطيط والمتابعة	« ١٩٧٦
علم النفس التربوي	صبحي عبد اللطيف المعروف	« ١٩٦٩

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه	
فهرس الكتب العربية الموجودة في المكتبة المركزية	جامعة البصرة	البصرة	١٩٧٦
المصادر والمراجع الأجنبية عن العراق	عبد الجبار عبد الرحمن	»	»
أصول أسماء المدن والمواقع العراقية (الجزء الأول)	المحامي جمال بابان	بغداد	١٩٧٦
حكايات وفلسفة	يوسف أمين قصير	»	»
الدر المنتثر في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر	علي علاء الدين الآلوسي . تحقيق جمال الدين الآلوسي وعبد الله الجبوري	»	١٩٦٧
ديوان الطغرائي	تحقيق الدكتور علي جواد الطاهر والدكتور يحيى الجبوري	»	»
محكمة العدل الدولية والقانون الداخلي للمنظمات الدولية	د. صبيح مسكوني	»	١٩٦٨
الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين	الجامعة الليبية	بيروت	
لسان الواعظ	اغناطيوس يعقوب الثالث	»	١٩٧٥
المسح الاجتماعي الاقتصادي لمدينة اجدابيا	الجامعة الليبية	»	
المسلمون أمام التحدي العالمي	د. احسان حقي	»	١٩٧٦
مقدمة في الفلسفة المعاصرة	د. ياسين خليل	»	١٩٧٠

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه	
النشاط الثقافي في ليبيا من الفتح العثماني حتى بداية العصر التركي	د. أحمد مختار عمر	بيروت	١٩٧١
العنصرية الصهيونية في الدستور والقوانين الأساسية الإسرائيلية	المحامي إحسان سامي الكيالي	تونس	١٩٧٦
منهج التبريزي في شروحه	د. فخر الدين قباوة	حلب	١٩٧٤
صفحات دراسية من القديم والحديث	د. عباس الجراري	الدار البيضاء	١٩٧٦
الاحصاء التطبيقي	د. ناظم حيدر	دمشق	١٩٧٥
الأحوال الشخصية في الأهلية والوصية والتركات	د. مصطفى السباعي ود. عبد الرحمن الصابوني	دمشق	١٩٧٠
الأخلاق	د. عادل العوا	»	١٩٧٥
ادارة أعمال الاستيراد والتصدير	د. هيثم هاشم	»	»
الادارة المالية في المشروعات الاقتصادية	د. أكرم شقرا	»	١٩٧٥
ادارة المبيعات	» » »	»	»
ادارة المشتريات والتخزين	د. محمد عدنان النجار	»	»
الاعياء	ليونيد بترسكو . ترجمة أديب شيش	»	»
الأزمة النقدية في الغرب	ا. ف. اينكين . ترجمة غسان رسلان	»	١٩٧٦
أمالي الثقافة القومية الاشتراكية	جامعة دمشق	»	١٩٧٥

(٣ ١)

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه	
تاريخ العرب القديم في العصر الجاهلي	د. نبيه عاقل	دمشق	١٩٧٥
التخدير الموضعي في جراحة الفم والأسنان	د. شفيق الأيوبي	»	١٩٧٤
تغذية الحيوان والدواجن	د. عبدالغني الاسطواني	»	١٩٧٥
تقرير عن حالة الأمن لعام ١٩٧٥	قيادة قوى الأمن الداخلي	»	١٩٧٥
التكامل الفني في العرض المسرحي	الكسي بوبوف - ترجمة شريف شاكر	»	١٩٧٦
حالات ادارية وتسويقية	د. هيثم هاشم	»	١٩٧٥
الحالات والدراسات في الشركات	د. حمدي السقا	»	١٩٧٥
الحشرات الاقتصادية (القسم العملي)	د. محمد عادل الفتيح	»	١٩٧٥
الحشرات الاقتصادية (القسم النظري)	» » » »	»	»
الحليب ومنتجاته	د. غانم حداد	»	»
دراسات في تاريخ العصر الأموي	د. نبيه عاقل	»	»
دراسات في الدعاوة السياسية (١ ٣)	ناظم الطحان	»	»
دروس في الفيزياء (القسم الأول)	ديفوره وانوكان - ترجمة د. عدنان الحاسب	»	»
الرياضيات العامة - الجبر والتحليل (القسم الأول)	ش. بيزو - م زمانسكي ترجمة د. عدنان حموي	»	».

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه	
الصبية (مسرحية)	فيكتور روزوف – ترجمة اسكندر كيني	دمشق	١٩٧٦
الصحة النفسية	نعيم الرفاعي	»	١٩٧٥
الصهيونية في روسيا القيصرية	ي. س. بفسيف و ل. فوستوكوف ترجمة هاشم حمادي	»	١٩٧٦
الطب في إنجازاته وإغراءاته	جان برنار – ترجمة د. بشير العظمة	»	»
العالم من حولنا	طالب عمران	»	»
عزف منفرد على الكمان (قصص)	جورج سالم	»	»
العشق في الزمن الضحل (شعر)	فؤاد كحل	»	»
علم الحشرات العام	د. محمد عادل الفتيح ود. أحمد زياد الأحمدي	»	١٩٧٥
» » (القسم العملي والتصنيف)	د. أحمد زياد الأحمدي ود. محمد عادل الفتيح	»	»
علم النسج والتشريح المقارن	د. محمد أبو حرب	»	١٩٧٤
علم نفس الطفولة والمراهقة	د. حسين فيصل الغزي	»	١٩٧٥
الفقه الإسلامي في اسلوبه الجديد	د. وهبة الزحيلي	»	»
الفيزياء العامة والتجريبية – الضوء (١ – ٢)	بيير فلوري – جان بول ماثيو – ترجمة د. توفيق المنجد ود. طاهر التربدار والمهندس وجيه السمان	»	١٩٧٦
كتاب التشريح الوصفي (الجزء الأول)	د. محمد فائز المط	»	١٩٧٥

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه	
الكتابة على أعمدة الشمس (شعر)	نجيب جمال الدين	دمشق	١٧٧٦
محاضرات في تطور الادب الأوربي	د. حسام الخطيب	«	١٩٧٥
مباحث الكتاب والسنة من علم الأصول	د. محمد سعيد رمضان البوطي	«	«
مبادىء الإدارة	د. هيثم هاشم	«	«
المحاسبة التجارية الحديثة (١-٢)	د. حمدي السقا وفخري الحمام	«	«
محاسبة التكاليف الصناعية	د. سليمان قداح	«	١٩٧٥
المدخل لدراسة التشريع الاسلامي ٢	د. عبد الرحمن الصابوني	«	١٩٧٥
مرآة ظلال الشعور و أليعازر ،	اندريه مالرو - ترجمة صباح الجهيم	«	١٩٧٦
المراجعة وتفتيش الحسابات	د. حمدي السقا	«	١٩٧٥
المعاهد الجامعية للتكنولوجيا	ميشيل ايف برنار - ترجمة أحمد القادري وحسن الحراكي ومراجعة مهاة فرح الخوري	«	١٩٧٦
معطف الاخفاء (قصص للأطفال)	عادل أبو شنب	«	«
الملهاة السوداء	ج. ل. ستيان - ترجمة منير صلاحي الأصبحي	«	«
مناسك الحج والعمرة	محمد ناصر الدين الألباني	«	١٣٩٥
من تراثنا	صلاح بن خليل الموصلي	«	١٩٧٦
الموجز في أحاديث الأحكام	د. محمد عجاج الخطيب	«	١٩٧٥
المؤلفات الكاملة	زكي الأرسوزي	«	١٩٧٦

ARCHIVE http://Archive.beta.Sakhrit.com

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
النباتات الرعوية ذات الأهمية الاقتصادية	د محمد فؤاد الرباط	دمشق ١٩٧٥
نجمة الصبح (قصص للأطفال)	أيوب منصور	« ١٩٧٦
النظام النقدي الدولي	جاك ـ بني ـ دولة ـ ترجمة د. مصطفى عدنان السيوطي	« «
النقد والأدب	جان ستاروبنسكي ـ ترجمة د. بدر الدين القاسم مراجعة أنطون مقدسي	« «
قضية فلسطين في الشعر المغربي حتى حرب رمضان	د عباس الجراري	الرباط ١٩٧٥
معجم الفقه والقانون (فرنسي ـ عربي)	المكتب الدائم لتنسيق التعريب	« ١٩٦٩
الصورة الفنية في الشعر الجاهلي	د نصرت عبد الرحمن	عمان ١٩٧٦
عبد الله بن المبارك المروزي	د. عبد المجيد المحتسب	« ١٩٧٢
من أعلام الفكر والأدب في فلسطين	يعقوب العودات (البدوي الملثم)	« ١٩٧٦
تاريخ اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية	ترجمة طه صواف	موسكو
من أيام الجلالي في القاسم	وهاب الحاج قاسم محمد الحلي الأسدي	النجف ١٩٧٦
ناعية الطف : السيد حيدر الحلي	عبد الجبار الساعدي	« «

تصويبات عدد سابق « م ٥١ ج ٣ »

ص	س	الصواب	ص	س	الصواب
٦٢٤	١٩	٣٤٤/٩	٦٣٢	٧	٧٦٣/٢
٦٢٦	٨	جاهلة	٦٣٤	١	٥٨٣/٢
٦٢٦	١٥	١٦	٦٣٤	١٦	٢٧/١
٦٢٧	١٨	٢٢٣/٨	٦٣٥	٤	٢٢٥
٦٢٨	١٥	جرّيتما			

* * *

تصويبات هذا العدد « م ٥٢ ج ١ »

ص	س	الصواب	ص	س	الصواب
١٢	٩	إحياء	١٩٠	٢	مَقْصِدِ
١٥	١٤	تحولتْ	١٩٢	٣	يشفِ
٢٢	٦	تجلية	١٩٢	٨	وناشر
٢٥	٣	سيرتيه	٢٠٢	٤	بالنقمْ
٤٠	١١	اسمك	٦٠٩	٦	من قولِ : لا
١٠٤	٣	برآه	٢١٢	٣ -	وأنور
١١٠	٧	إن	٢١٨	٥	وعذبتني
١٩١	٧	اطراده	٢١٣	١٠	لاهندْ .. دعدْ
١٦٤	١٠	يجيء	٢٢٣	رأس الصفحة	محمود العابدي
١٨٩	٥	مرَغِيدِ	٢٢٥	١٤	اقتناء